

منهيك جانب من الآثار النخبة التي وجدت في پرسوپوليس في ايران كشفها الاستاذ هرزفيلد عميلا المهجد الشرقي
 بجامعة شيكاغو [الصورة منقولة عن اخبار لندن المصورة]

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد الثاني والثمانين

١ مايو سنة ١٩٣٣

٦ محرم سنة ١٣٥٢

اساطين العلم الحديث

مندليف

سيبيريا تنجب متنبئاً كيماوياً

من جوف روسيا الاسيوية خرج متنبئاً كيماوي. قال: «ثمة عنصر لم يكشف بعد. وقد دعوته «اكا الومنيوم» وسوف يعرف بصفات تشبه صفات الالومنيوم. ابحاثوا عنه تجدوه». كان هذا القول نبوءة جريئة. ولكنها لم تكن اخرى نبوءاته. لانه لم يلبث طويلاً حتى تنبأ بعنصر آخر يشبه عنصر البورون. بل انه تجرأ وذكر وزن العنصر الذري قبل وجوده. ثم لم يلبث ذلك الصوت العلوي، حتى تنبأ بعنصر ثالث واتى على بيان صفاته. كانت هذه العناصر الثلاثة مما لم تقع عليه عين انسان من قبل، حتى علا صوت هذا الروسي العجيب. كان ذلك سنة ١٨٦٩ وكان عصر العجائب والخوارق قد انقضى. ومع ذلك رأى العالم هذا الكيماوي الذي يشغل منصب استاذ الكيمياء في جامعة مشهورة، وقد اتخذ لنفسه وشاحاً كوشاح الانبياء القدما. هل جمع انباءه من بلورة الساحر، او ذهب الى قبة الجبل حيث هبط عليه الوحي فعلمه ما لم يعلم؟ ولكن هذا النبي الحديث لم يتشع بوشاح الكهنة، بل اعلن تنبؤاته من مختبره الكيماوي، حيث تنعقد البحرة العناصر غيوماً، صادرة من فرنه المشتعل

[بجامعة شيكاغو] الصورة منقولة عن اخبار لندن المصورة

لا من العليقة الملتببة ، وفي هذه الغيوم رأى القاعدة التي بنى عليها اكتشافه الكيميائي العظيم كان علم الكيمياء ميداناً للتنبؤ العلمي . ذلك ان العالم لافوازييه رأى اذ احى قطعة من القصدير في انبوبة مقفلة شاهدها قد تغيرت شكلاً ووزناً ، رأى بعينه النافذة حقيقة جديدة ، وتنبأ بوجوده اخرى من التغير قياساً عليها . كذلك كان لسكير الانكليزي (السر نورمن الذي أسس مجلة نايتشر الانكليزية) قد رأى قبل ذلك السبكتروسكوب وهو آلة الحل الطيفي التي صنعها العالمان الالمانيان بنسن وكروشوف . في هذه الآلة رأى لسكير خطوطاً خاصة بعنصر جديد وهو كان يحلّ النور الواصل اليه من قرص الشمس فدعاها « الهليوم » وتنبأ بوجوده على الارض . فاما انقضت عشرون سنة على نبوءته عثر وليم هلمراند الاميركي على هذا الغاز في المعدن النادر المدعو كليفييت (Cleveite)

ولكن نبوءات المتنبي الروسي كانت ابعث على الدهشة وادعى للاستغراب . ذلك ان نبوءاته لم تجيء نتيجة لتجارب جربها ، بل كانت كأنها وحي هبط عليه من المكان الارفع او كأنها بذرة او جرثومة ظلت تغتذي في عقله الخصب حتى افرخت فلما ازهرت استرعت اعجاب العالم بروعة جمالها

جاء السر وليم رمزي احد زعماء الكيمياء الحديثة سنة ١٨٨٤ الى لندن ليحضر احتفالاً اُعِدَّ فيها لتكريم وليم بركن مكتشف الصبغ البنفسجي . قال رمزي : — وبكرت الى مكان العشاء وكنت احاول تمضية الوقت بقراءة اسماء المدعويين على بطاقات مخصوصة وضعت في مكان كل منهم ، واذا انا برجل غريب الشكل كل شعرة في رأسه تتصرف مستقلة عن كل شعرة اخرى ثم اقترب مني وهو ينحني فقلت بالانكليزية « الحاضرون كثير » فقال لا اتكلم الانكليزية فكلمته بالالمانية فاذا هو يتكلمها ولا يجيدها . وتباحثنا في موضوع اختصاصنا . والظاهر انه نشأ في شرق سيبيريا ولم يتعلم الروسية قبلما بلغ السابعة عشرة من عمره . ولعله واحد من اولئك العلماء غربي الاطوار

كان هذا الرجل « الغريب الاطوار » العالم « مندليف » المتنبي الكيميائي الذي اصنى الناس الى صوته . فهب البحاث يبحثون عن العناصر المجهولة التي تنبأ بوجودها ووصفها . بحثوا عنها في جوف الارض ، في غبار المصانع ، في مياه المحيطات ، في كل بقعة من بقاع الارض ، واختلفت الفصول ، وتعاقبت السنوات ومندليف لا يزال يركز بصحة ما تنبأ به . الى ان كانت سنة ١٨٧٥ اذ كشف عن العنصر الاول من العناصر المجهولة التي تنبأ بها . ذلك ان « ليكوك ده بوا بوردان » عثر على عنصر « الاكا الومنيوم » في تبر زنكي يستخرج من جبال « البرنيه » الواقعة بين اسبانيا وفرنسا . ولما دقق « ده بوا بوردان » البحث في صفات العنصر الجديد

وجدها تتفق وما قاله عنه مندليف . فدعاه بعنصر الغاليوم Gallium نسبة الى بلاده بلاد الغال Galle

ولكن كان ثمة من لم يؤمن . لان تحقيق نبوءة مندليف في نظرهم لم تعد كونها حزرًا محقق . وانه من السخف ان نعتقد ان العناصر المجهولة يمكن التنبؤ بها بمثل هذه الدقة العجيبة ، فهو اشبه شيء بالتنبؤ بولادة نجم جديد في رحاب الفضاء ! لم يقل لافوازيه العظيم ان كل ما يمكن ان يقال في طبيعة العناصر وعددها محصور في مناقشات موسومة بسمه «وراء الطبيعة» ؟ كذلك احتج المعارضون

فلم يلبثوا حتى هتوا لما وردت الانباء من المانيا ان ونكلر Winkler عثر على عنصر جديد صفاته تشبه صفات عنصر «الأكسلكون» الذي تنبأ به مندليف . واذا وزنه الذري وكثافته وصفاته الطبيعية وصفات اكسيده تطابق ما قاله مندليف . ولم تقم شبهة ما على ان نبوءة مندليف الثانية تحققت كالاولى . واعلن ونكلر اكتشافه لهذا العنصر واطلق عليه اسم «جرمانيوم» اسم وطنه . فصعق المعارضون وقالوا في ذوات نفوسهم لعل هذا الروسي ليس خداعاً مشعوذاً كما كنا نظن

فاما انقضى على ذلك سنتان ، زال كل شك يشوب اذهان الناس في صدق الرجل . ذلك ان نلسن Nilson في البلاد السكنديناوية فاز باستفراد عنصر «الاكابورون» فاذا هو كما قال مندليف عنه . لقد اصبحت الادلة على صدقه قاطعة . وها هم رجال العلم يطرقون الباب على هذا الروسي في بطرسبرج (لننغراد) زرافات ووحداً

تخدر ديمتري ايفانوفتش مندليف Mendeléeff من اسرة من الرواد المقادير . كان بطرس الاكبر ، قبل ولادة مندليف بنحو قرن من الزمان قد شرع في ادخال الحضارة الغربية الى روسيا . فأقام في بطيخة من بطائح الشمال الغربي مدينة (بطرسبرج) لتكون منفذ روسيا الى الغرب . ومن الناحية الاخرى كانت روسيا تتطلع الى الشرق . وفي سنة ١٧٨٧ انشأ جد مندليف في مدينة توبولسك بسيبيريا اول مطبعة في تلك البلاد واصدر اول جريدة . في تلك البقعة النائية التي استعمرها القوزاق في منتصف القرن الخامس ولد المترجم له فكان الولد السابع عشر لأمه وابيه

ولكن النوازل نزلت بالاسرة . فكف نظر الوالد — وكان مدير المدرسة العالية في المدينة — ولم يلبث ان مات مسلولاً . وكانت والدته ماريا كورنيولوف من حسان الترفع عزت عن ان تعمل اسرتها الكبيرة بمعاش سنوي قدره مائة جنيه فاعادت فتح مصنع للزجاج

كانت اسرتها قد انشأته في سيبيريا. وكانت توبولسك حينئذ مركزاً للمشردين والمنفيين السياسيين من روسيا. ومن احد هؤلاء تعلم ديمتري مندليف مبادئ العلوم الطبيعية. فلما دمرت النار مصنع الزجاج، حملته امه — وكانت في السابعة والخمسين من عمرها — الى موسكو لعلها تمهد له سبيل الانتظام في جامعتها، فحال دون ذلك حوائل حمة. ولكنها كانت عازمة على تنشئة ابنها تنشئة عامية فسارت به الى بطرسبرج وبعد جهاد عنيف مكنته من الانتظام في الدائرة العلمية بمعهد التعليم وهو معهد المدرسين. في هذا المعهد توفّر على الرياضة والطبيعة والكيمياء وكان يكره الآداب القديمة. فلما اصبح ذا مقام علمي كبير عيّن عضواً في لجنة اصلاح التعليم فقال « اننا نستطيع ان نعيش الآن من دون افلاطون. ولكننا نحتاج الى كثيرين من امثال نيوتن للكشف عن اسرار الطبيعة، وتمهيد سبيل الاتساق بين الحياة ونواميسها »

وكان مندليف طالباً مجتهداً فتخرج في طليعة فرقة. ولكنه كان ضعيف البنية فلما توفيت والدته اصابه باعياء الاعصاب. وكان قد اسرع اليها وهي على سرير الموت فخطبته قائلة « دع عنك الاوهام. اجعل همك الاعمال لا الاقوال. كن صبوراً في البحث عن الحقائق الالهية والعلمية ». ولم ينس مندليف هذه الكلمات قط في خلال حياته، حتى في الساعات التي كانت ترأوده فيها الاحلام والرؤى كان يحس ان قدميه مثبتتان في الارض الصلدة

وبلغ اليأس من طبيبه ان ظن ان اجله لن يطول اكثر من ستة اشهر. فامره بالذهاب الى الجنوب، حيث الجو الدافئ يؤاتيه. فتمكن من الفوز بمنصب مدرس في بلدة سمفريول ببلاد القرم. فلما نشبت حرب القرم ذهب الى اودسا ومنها عاد الى بطرسبرج وهو في الثانية والعشرين فعين مدرّساً في الجامعة وهو منصب يسمح له فيه بتدريب الطلاب الذين يحضرون محاضرات الجامعة. فلبث فيه بضع سنوات ثم استأذن وزير المعارف في السفر الى فرنسا والمانيا للتوسع في العلم والتعمق فيه لتعذر ذلك في روسيا، فاذن له. فدرس في فرنسا على الاستاذ هنري رنيو (Regnault) وفي جامعة هيدلبرج الالمانية، حيث اجتمع بينصن (Bunsen) وكرشوف (Kirchoff) فتعلم من الاخير استعمال السبكترسكوب (آلة الحل الطيفي) وحضر مؤتمر كارلسروهي (Karlsruhe) الذي دارت فيه معركة الجدال على جزيئات افوغاردو (Avogadro) فكان ذلك خاتمة مطافه، اذ عاد بعد ذلك الى روسيا

كانت السنوات التالية سنوات جدّ وارهاق. تزوج في خلالها، ووضع كتاباً مدرسياً في الكيمياء العضوية في ستين يوماً مع ان صفحاته تربي على الحسمائة وفاز برتبة دكتور في الكيمياء برسالة موضوعها « اتحاد الكحول بالماء » فلما تبينت جامعة بطرسبرج مزايا هذا المعلم الموهوب، والفيلسوف الكيماوي، اختارته استاذاً وهو لم يبلغ الثانية والثلاثين من العمر

ثم جاءت تلك السنة — هي حد فاصل في تاريخ الكيمياء الحديثة — سنة ١٨٦٩ كان مندليف قد قضى عشرين سنة يقرأ كل ما عرف عن العناصر ويجرب تجاربها. ويجمع الحقائق عنها من كل مصدر يمكن الوصول اليه. وكان قد رتب هذه الحقائق وبنائها وأعاد ترتيبها وتبويبها لعله يتوفق الى كشف سر غامض. وكان هذا العمل مضيئاً لان طائفة كبيرة من العلماء، متفرقة في مختلف جامعات العالم، كانت قد عنيت بدراسة العناصر المعروفة. فجمع الحقائق التي كشفت كان يقتضي صبراً ومواظبة وشغفاً، والآن فهو مقضي عليه بالحيية ثم ان العناصر المعروفة كانت قد زادت بفضل ما كشفه العلماء منها. كان الصناع الاقدمون قد صنعوا ادواتهم من الذهب والفضة والنحاس والحديد والزنك والرصاص والقصدير والكبريت والكربون. ثم اضاف علماء الكيمياء القديمة (Alchemy) ستة عناصر في خلال مجهم عن سر تحويل المعادن الى ذهب. فوصف الطبيب الالماني « باميل فالنتين » عنصر الانتيوم سنة ١٤٩٢ وجورجيوس اغريكولا عنصر البرموت سنة ١٥٣٠ وپاراسلس عنصر الزنك وبراندت Braundt عنصر الفسفور. ثم اضيف اليها عنصر الزرنيخ والكوبلت وقبل ان ينصرم القرن الثامن عشر اكتشف الهلاتين — سنة ١٧٣٥ — في كولمبيا ثم تلاه النيكل فالايديروجين فالنتروجين فالالكور فالمنغنيس فالنتنستين فالكروم فالمولبدنوم والتيتانيوم فاللوريم والزركونيوم والاورانيوم. فلما استهل القرن التاسع عشر اكتشف عنصر الكولمبيوم (النيوبيوم). فلما كانت سنة ١٨٦٩ كان المعروف من العناصر ٦٣ عنصراً وقد وصفت في مجلات العلم في انكلترا وفرنسا وألمانيا والسويد وغيرها

جمع مندليف كل الحقائق المعروفة عن هذه العناصر الثلاثة والستين. لم يفتئه عنصر واحد منها. بل انه اضاف اليها عنصر الفلور مع ان احداً لم يفكر قبل ذلك باستفراده. فاذا امامه قائمة بعناصر مركبة من ذرات تتباين اوزنها الذرية من ١ (وزن الايديروجين) الى ٢٣٨ (وزن الاورانيوم) وكلها مختلفة الصفات بعضها غازي كالأكسجين والايديروجين والكلور والنتروجين. وبعضها سائل في الاحوال العادية كالزئبق والبروم. والباقي جامد كالذهب والفضة والزرنيخ والكربون والفسفور. بعض المعادن صلب قاس كالبلاتين والاريديوم وبعضها لين كالصوديوم والپوتاسيوم. كان اللشيوم معدناً خفيفاً يطفو على الماء مع ان الاسميوم معدن يفوق وزنه النوعي وزن الماء النوعي اثنين وعشرين ضعفاً ونصف ضعف. وهذا الزئبق، معدن لكنه سائل. ثم انها تختلف لوناً. فالنحاس احمر والذهب اصفر واليود رمادي قائم والفسفور أبيض والبروم احمر. وبعض الفلزات كالنيكل والكروم يصقل حتى يخطف البصر بلمعانه، وبعضها يمكن صقله ولكنه يظل قائماً لا يلمع. اما الذهب فلا يكمد عند تعريضه للهواء واما الحديد فيصدأ واما اليود فيتصعد. وبعض هذه العناصر يتحد بذرة

واحدة من الاوكسجين وبعضها بذرتين وبعضها بثلاث ذرات وبعضها باربع . ومنها طائفة قليلة كالپوتاسيوم والفلور شديدة الفعل يصعب تناولها بالاصابع . تقابلها عناصر لا يطرأ عليها تغيير طال ما طال عليها الزمن

ما هذا التباين المحير للعقل ، في صفاتها الطبيعية والكيميائية ؟ هل ثمة نظام بين هذه الذرات المتباينة ؟ هل ثمة اية صلة بينها ؟ أمن الممكن العثور على سلك ينظم نشوءها على مثال ما نظمت الخلائق الحية والبائدة في سلك التطور ؟ فتننت هذه المسائل لب مندليف ، فعيّنه في النهار شاردة ذاهلة ، ومضجعه في الليل تقضه اشباح الذرات وطيوف العناصر وكان مندليف من العلماء الذين ينزعون الى الفلسفة ، فتهافت به هاتف وجداني ان لا بد من وجود المفتاح لنظام هذه الحقائق المتباينة . او لعل للطبيعة نظاماً مستسراً تطويه في ثنايا حقائقها المتباينة . وكان يعتقد ان مجد الطبيعة في اخفاء سرها ولكنه كان يعتقد كذلك ان من شرف الملوك البحث عن ذلك السر !

أخذ العناصر وجعل يرتبها بحسب اوزانها الذرية مبتدئاً بالايديروجين اخفها وزناً ومتدرجاً الى الاورانيوم اثقلها . فلم يجد في ترتيبها على هذا المنوال جدوى . وكان رجل خر قد سبقه الى هذا الترتيب . ذلك ان جون نيولندز كان قبل ذلك بثلاث سنوات قد قرأ امام الجمعية الملكية الكيميائية بلندن رسالة في ترتيب العناصر وكان نيولندز قد لاحظ ان كل عنصر ثامن يشبه العنصر الاول في جدولهِ . فرأى في ذلك غرابة تسترعى النظر . فشبهه جدول العناصر باصابع البيانو الثمانية والثمانين وهي مقسومة الى احدى عشرة مجموعة كل مجموعة منها ثمانية اصابع . فقال ان العلاقة بين كل طائفة من العناصر تشبه العلاقة بين الاصابع في مجموعة واحدة من اصابع البيانو . فهزأ أعضاء الجمعية بهذا القول . ووقف الاستاذ فوستر يسأل في سخرية : « لماذا لم ترتب العناصر بحسب حروفها الاولى ! ولماذا لا يشبه ايزن الصاديوم وهو يحترق على سطح الماء بموسيقى الاجرام السماوية ! » فاجع الكل على سخف القول ونسج على ذكر نيولندز ورأيه ستار من النسيان

ولكن مندليف اخذ ٦٣ بطاقة وكتب على كل منها اسم عنصر من العناصر المعروفة وخواصه . وعلق البطاقات على جدار معمله . ثم راجع ما يعرف عنها من الحقائق . واختار طوائف العناصر التي تتشابه في خواصها ووضعها على حدة . فوجد علاقة جلية بين افراد الطوائف تسترعي العناية . ثم رتب العناصر في سبع طوائف مبتدئاً بالليثيوم (وزنه الذري ٧) يتبعه البريليوم (وزنه الذري ٩) فالبورون (وزنه الذري ١١) فالكربون (وزنه الذري ١٢) فالاكسجين (وزنه الذري ١٦) فالفلور (وزنه الذري ١٩) . وكان العنصر الذي يلي هذه العناصر في وزنه الذري عنصر الصوديوم (وزنه الذري ٢٣) ، وكان الصوديوم يشبه الليثيوم شهاً

عجيباً في خواصه الكيميائية والطبيعية . فوضعه تحت الليثيوم في جدولهِ . وبعد ما وضع خمسة عناصر قالية للصوديوم في اماكنها وصل الى الكالور . وهو يشبه الفلور في خواصه — فوجد انه يقع من تلقاء نفسه في الخانة التي تحت خانة الفلور — فسره هذا التأييد . ومضى في ترتيب العناصر على هذا المنوال . وكل عنصر كان يقع في محله فيتنفق في خواصه مع العناصر التي فوقه وتحتهُ . ففي العمود الاول من الجدول كان طائفة المعادن الفعالة — الليثيوم وتحتهُ الصوديوم فالپوتاسيوم فالكوبيديوم فالكيزيوم . وهي الطائفة الاولى . اما العناصر الفعالة غير المعدنية فجاءت في طائفة واحدة اعلاها الفلور وتحتهُ الكلور فالبروم فالايود . وهي الطائفة السابعة

كذلك اكتشف مندليف « ان خواص العناصر صفات دورية لاوزانها الذرية » اي ان الخواص كانت تتردد في كل عنصر ثامن . فالثامن يشبه الاول ، والخامس عشر يشبه الاول والثامن . والتاسع يشبه الثاني ، والسادس عشر يشبه التاسع والثاني وهلمَّ جرّاً ثم نظر في عناصر هذه الطوائف . وما أعجب ما رأى !

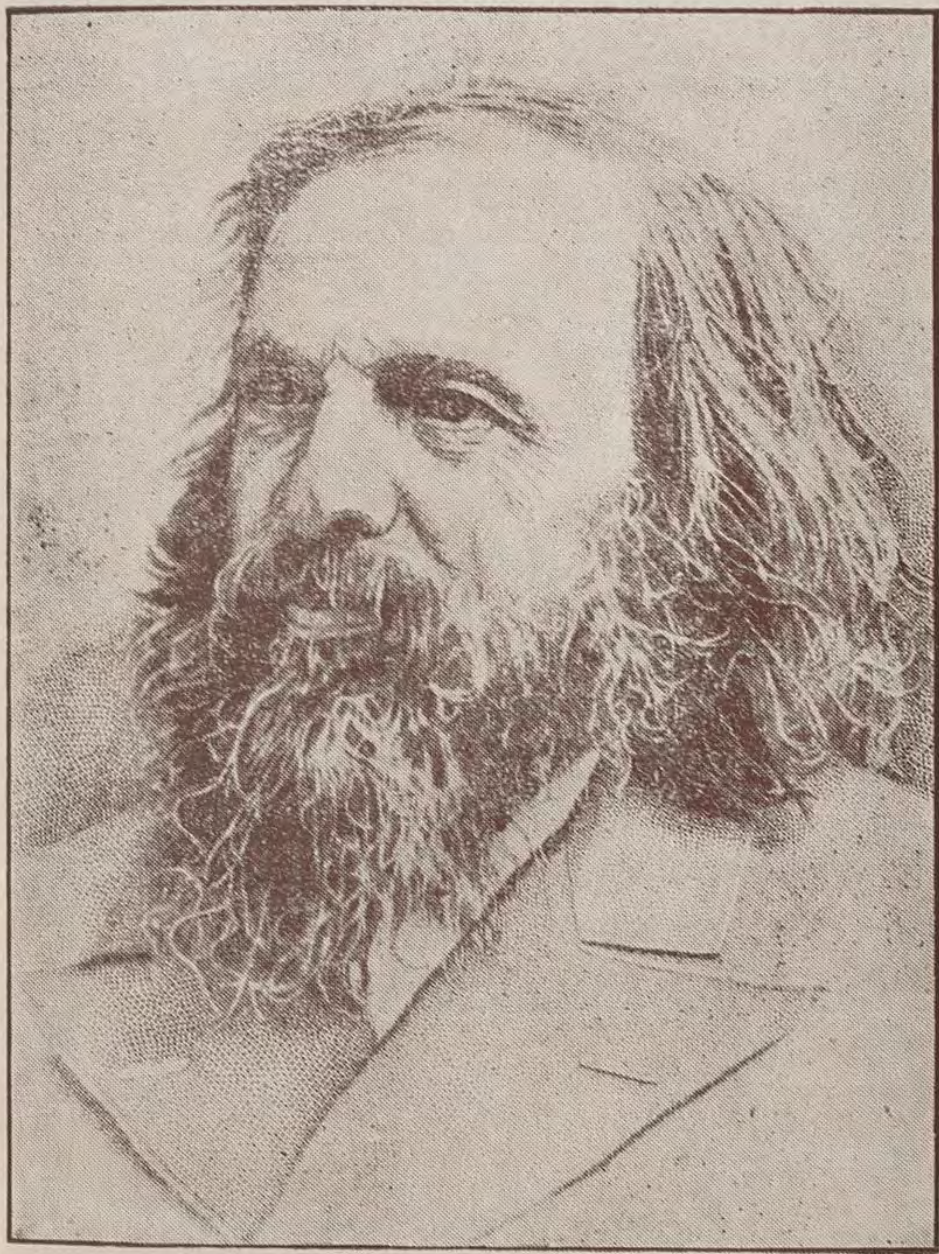
ان عناصر الطائفة الاولى تتحد ذرة منها بذرتين من الاكسجين . وعناصر الطائفة الثانية تتحد ذرة واحدة منها بذرة واحدة من الاكسجين . وعناصر الطائفة الثالثة تتحد ذرتان منها بثلاث ذرات من الاكسجين . وعلى ذلك قس التشابه في عناصر الطوائف المختلفة . هل في الطبيعة ما هو ابسط من ذلك ؟ فاذا شئت ان تعرف خواص عنصر معين وجب ان تعرف الخواص العامة التي تتصف بها تلك الطائفة . ان ذلك يسهل تناول الكيمياء على الطلاب هل يمكن ان يكون هذا التشابه بين خواص العناصر في جدولهِ اتفاقاً مجرداً ؟ فليعد النظر اذا في صفات العناصر حتى اشدها ندرة . ولينقب في كل الرسائل والمؤلفات الكيميائية لعله يجد حقائق اغفلها في سورة الحماسة للجدول الذي فتن لبّه ببساطته وشموله . هاهو ذاك كشف عن شيء جديد يتعارض والبناء الذي رفع ! كان المعروف ان وزن اليود الذري ١٢٧ ووزن التلوريوم ١٢٨ وكان قد وضعهما في المكان الذي يجب ان يكونا فيه من حيث تشابه خواصهما مع العناصر السابقة واللاحقة . ولكن وزن التلوريوم الذري يتنافى والمكان الذي تقتضيه خواصهُ . ما العمل ! هنا وقف مندليف وقفة المتنبئ الجريء وقال ان الوزن الذري المقرر لعنصر التلوريوم خطأ ، وأنه يجب ان يتباين من ١٢٣ الى ١٢٦ فقبل عنه انه يهرف ولكنه اكتفى بوضع التلوريوم في المكان الذي تقتضيه خواصهُ مع ان وزنه الذري المقرر حينئذٍ يقتضي ان يكون في مكان آخر — فلما اتقنت وسائل تعيين الاوزان الذرية بعد ذلك بسنوات تبين ان مندليف كان مصيباً ، فعمله هذا في الكيمياء كان من قبيل التنبؤ بالسيار نبتون ومكانه في علم الفلك

بعد ذلك ظن ان الجدول اصبح سليماً من مواطن الضعف . ولكنه احب ان يتثبت . فاعاد النظر فيه ، فوجد تناقضاً آخر . ذلك ان الوزن الذري المقرر للذهب كان ١٩٦٢ وهذا يقتضي ان يجعله في الجدول في مكان يجب ان يكون في الواقع لعنصر البلاتين (وزنه الذري المقرر حينئذ ١٩٦٧) . والانسان لا يخلو من ضد ولو كان في رأس الجبل ، فالطلقت السنة النقد ، وشرعت اقلامهم ، في تبين هذا التناقض . فتجرأ مندليف ثانية وقال ان الارقام التي يقررها المحللون لوزنيهما الذريين فيها خطأ . وانه يكفي الآن بالانتظار ، وان البحث لابد ان يؤيده في المستقبل . والواقع ان ميزان الكياوي اثبت بعد ذلك انه كان مصيباً هنا ، كما كان مصيباً هناك ، وان وزن الذهب الذري اكبر من وزن البلاتين . عجيب والله ! ان في جدول هذا الروسي عيناً ترى الخفايا !

على ان الصدمة الكبرى التي صدم بها علماء العصر جاءت بعد ذلك . ان في هذا الجدول اماكن فارغة ، لم تملأ باسم عنصر ما . هل تبقى فارغة ، او ثمة عناصر ، لم يكشفها البحوث ؟ ولو ان رجلاً آخر اقل جرأة من مندليف كان محله ، لا حجوم عن الاستنتاج الذي يقتضيه ايمانه بصحة الاكتشاف الذي وفق اليه . ولكن مندليف ، الذي رفض ان يحجم شعره ، مرضاة للقيصر اسكندر الثالث ، لم يهرب سخرية المنتظعين من الكياويين

ففي الطائفة الثالثة من جدول خانة فارغة بين الكالسيوم والتيتانيوم . ولما كانت الخانة الفارغة واقعة تحت عنصر البورون ، صرح مندليف بان العنصر المجهول الذي يجب ان يملأ هذه الخانة ، يجب ان يكون مشابهاً لعنصر البورون . فدعاه « اكلوبورون » اي ما « بعد البورون » ثم هناك خانة فارغة في الطائفة نفسها تحت عنصر الالومنيوم . فقال ان العنصر المجهول الذي يجب ان يملأها يجب ان يشبه الالومنيوم ودعاه « اكالومنيوم » . ثم وجد خانة فارغة في الطائفة الرابعة بين الزرنيخ والالومنيوم واقعة تحت السلكون فقال ان العنصر المجهول يجب ان يكون مشابهاً للسلكون ودعاه « اكالسلكون » . كذلك تنبأ مندليف بثلاثة عناصر مجهولة وترك البحث عنها لمعاصريه

وفي سنة ١٨٦٩ تقدم مندليف الى الجمعية الكيميائية الروسية برسالة عنوانها « في العلاقة بين خواص العناصر واوزانها الذرية » فبسط فيها باسلوبه البارع النتائج التي خلص اليها . فدهشت الدوائر العلمية . ولكن بذرة هذا الاكتشاف العظيم كانت قد بُذرت قبيل ذلك اذ لاحظ ده شانكورتوى في فرنسا وسترخر في المانيا ونيولندز في انكلترا وكوك في اميركا بعض وجوه الشبه بين خواص العناصر . ولكن الاغرب من ذلك ان لوثرار مير Meyer الالماني وصل الى نفس النتائج التي وصل اليها مندليف في نفس الوقت او بعيده ، فنشر سنة ١٨٧٠ في مجلة « لينغ انال » جدولاً للعناصر كجدول مندليف تقريباً . ذلك ان العصر كان يقتضي مثل هذا



الكيمائي الروسي : ديمتري مندليف

امام صفحة ٥١٥

مقتطف مايو ١٩٣٣

الحكم العام ، وكان ما كشف من العناصر حتى ذلك الوقت كافياً ليكون اساساً لمثل هذا البحث فليّ الرجلان حاجة العصر باكتشافهما الجدول الدوري . ولو ان مندليف ولد قبل ولادته بجمل واحد ، لتعذر عليه اكتشاف الناموس الدوري Periodic Law لان الحقائق المعروفة عن العناصر كانت غير كافية كاساس للبحث

ذكر مندليف في جدولهِ ثلاثة وستين عنصراً ، وتنبأ بثلاثة عناصر مجهولة . ولكن هل نزل العناصر المجهولة الباقية مستسرة عن لمس الانسان وبصره ام يكشف عنها بالسير على الخطه التي سار عليها مندليف نفسه فتصبح الكيمياء في دقة تنبؤها بالحوادث كعلم الفلك والواقع انه ما انتقضت على اذاعة جدول مندليف خمس وعشرون سنة حتى كشف انكليزيان طائفة كاملة من العناصر دعيت طائفة الصفر لانها تحيى قبل الطائفة الاولى في جدول مندليف وكانت عناصر هذه الطائفة سبعة من اضعف العناصر فعلاً كيميائياً . حتى البوتاسيوم والفلور وهما من افعل العناصر المعروفة لم يستطيعا ان يخرجوا هذه العناصر من عزلتها . فلا عجب اذا ان ظلت هذه العناصر مجهولة هذا الزمن الطويل

روقب اول هذه العناصر — وكانت كلها غازات — في طيف اكليل الشمس في كسوف حدث سنة ١٨٦٨ ولكن لم يعرف عنه الا الخط الذي يمثله في الطيف . لذلك لم يذكره مندليف في جدولهِ . على ان هلمبراند الاميركي ، وصف بعيد ذلك غازاً يخرج من معدن الكليفت Cleveite وعرف انه يختلف عن النتروجين ولكنه لم يتمكن من النفوذ الى سرّ حقيقته . فجاء رمزي (السر وليم رمزي) بنموذج من هذا المعدن واخرج منه الغاز المذكور ثم امر فيه شرارة كهربائية وصوّر طيفه فاذا هو يحدث في الطيف خطاً كالخط الذي شوهد في طيف الاكليل الشمسي . فعرف ان الغاز الذي يخرج من الكليفت هو ذلك الغاز الذي في طيف الشمس ومن هنا اسمه العالمي « هليوم » اي الشمسي . وفي السنة التالية اثبت كيزر Kayser وجود مقادير يسيرة جداً من الهليوم في الهواء (النسبة ١ : ١٨٥٠٠٠) وليس هنا مجال البحث في اكتشاف رمزي وتفرس لبقية الغازات النادرة التابعة لهذه الطائفة — وهي الارغون والكربتون والنيون والزينون والنيون^(١) — وانما يكفي ان نقول انهما استخرجا مقادير يسيرة جداً من هذه الغازات من ١٢٠ طنناً من الهواء بعد اسالتها واستعمل رمزي في خلال تجاربه ميزاناً دقيقاً كل الدقة يتأثر بجزء من ١٤ مليون جزء من الاوقية

(١) راجع مقتطف اكتوبر سنة ١٩١٦ مجلد ٤٩ صفحة ٣١٧ — ٣٢٠

وهذه العناصر على ندرتها وصعوبة استخراجها ، تستعمل الآن في المصاييح الكهربائية والاعلانات الملونة والبلونات . ومضى الباحثون عن العناصر المجهولة على قدم وساق ، تحذوهم الثقة بصحة نظر مندليف وتستثيرهم الحماسة التي يشعر بها من يعثر على مجهول . فلما توفي مندليف سنة ١٩٠٧ كان عدد العناصر المعروفة قد اصبح ٨٦ عنصراً

وقد اشترك مندليف في تأييد حركة الاصلاح في بلاد الروس ، وكان ميالاً الى تأييد مذاهب الاحرار ، فلقى عنثاً من اصحاب الحكم ، ولما قدم رسالة الى الحكومة تتضمن المطالبة ببعض وجوه الاصلاح ، قيل له ان لا يتدخل في ما لا يعنيه وان يعود الى عمله العامي . فاحس ان هذا الرد كان صفة له ، فاستقال من الجامعة وتأييده للاحرار انشأ له عداوة في دوائر المحافظين اولياء الامر — على مثال ما تم لجوزف بريستي^(١) — فرفضت الاكاديمية الروسية سنة ١٨٨٠ ان تنتخبه عضواً في قسمها الكيميائي وهو اكبر كيميائي عصره . ولكن جامعة موسكو انتخبته عضواً شرف فيها ومنحته الجمعية الملكية بلندن مدالية ديفي بالاشتراك مع لوثر مير لترتيبها العناصر ذلك الترتيب الدوري . ويقال انه في آخر حياته دعت الجمعية الكيميائية البريطانية الى حفلة لتمنحه فيها مدالية فرادي — ولعلها اعلى شرف في دوائر العلم الكيميائي يناله الباحث — فلما اعطى مندليف لباساً يحتوي على قدر من المال يعطى عادة في مثل هذه الحالات ، فتح الكيس واخرج منه الجنيئات الذهبية وقال « انه لن يقبل مالا من جمعية شرفته بتكريمها له في المكان الذي قام به فرادي بمباحثته الخالدة » . ومن ثم بدأت تنهال عليه الالقاب العالمية من الجمعيات العلمية في اميركا والمانيا ومن جامعات برنستن وكبردج واكسفرد وغوتنجن ، فلما عين الوزير وت Witte الروسي وزيراً للمالية في عهد اسكندر الثالث عين مندليف مديراً لمصلحة المقاييس والموازن

بعيد وفاته بالنزلة الصدرية في فبراير سنة ١٩٠٧ قال العالم باتيسن ميور «للمستقبل وحده الحكم على بقاء الجدول الدوري او زواله» . ولو ان مندليف عاش بضعة سنوات ، لكان رأى قبل وفاته ، كيف اتم موزلي^(٢) البناء الضخم الذي شيده مندليف ، فاقتما معاً تخطيط خريطة العناصر التي تتركب منها اشكال المادة

(١) ذكرنا اسمه الاولى خطأ في العدد الماضي فقلنا انه جون وصوابه جوزف

(٢) راجع مقتطف يونيو ويوليو سنة ١٩٣١

ماركس ومذهبه

على ذكر انقضاء خمسين سنة على وفاته

تحدث كارل ماركس ، واضع الاسس التي شيدت عليها الاشتراكية الحديثة في مختلف
الوانها ، من اصل يهودي ، وكان ابوه محامياً يدعى «مردخاي» تحول الى المسيحية سنة ١٨٢٤
اي بعد ولادة كارل بست سنوات . وكان المتوقع ان ينظم الابن في سلك المحاماة بعد
تلقي القانون والتاريخ والفلسفة في جامعتي بون و برلين وتخرجه سنة ١٨٤١ حائزاً للقب
دكتور في الفلسفة . ولكنه لم يمل الى المحاماة ، فاقدم وهو في العشرين من العمر على خوض
ميدان الصحافة محرراً لجريدة اشتراكية تدعى « صحيفة الرين » Rhenish Gazette ثم اتصل
بجريدة «فورورس» التي كان لها نصيب كبير في الدعاية الاشتراكية بالمانيا . فلما اصبح في
الثلاثين من العمر كان بر اوريا قد اصبح حرماً عليه ، بعد ما طرد من فرنسا والبلجيكا والمانيا ،
لعنفه ، فلاذ بانكلترا وكانت ملجأ حينئذ لامثاله من مشردي السياسة والاجتماع ، فعاش
فيها اربعاً وثلاثين سنة حتى وفاته في ١٤ مارس سنة ١٨٨٣ وكان قبيل مجيئه الى انكلترا قد
نظم في بلاد البلجيكا «عصبة شيوعية» واسس «الجمعية الدولية للعمال»

ولا ريب في ان كارل ماركس كان متفوقاً من الناحية الذهنية بين الذين اشتركوا في تأييد
الدعاية الاشتراكية والترويج لها ، وكتابه رأس المال بمثابة كتاب منزل في نظر الشيوعيين
والعمال الاشتراكيين بوجه عام . قال الاستاذ هارولد لاسكي فيه . « في خلال خمسين سنة
انقضت على وفاة ماركس اتسع نطاق نفوذه اتساعاً كان من المتعذر توقعه . ان مذهبا ، لم يكن
من نحو جيل او اكثر قليلاً ، الا تصوراً كاليائياً يخالطه الجنون ، ابدعه مني ثوري ،
قد اصبح من المذاهب المنجسية في العالم الحديث . فهو الآن متشع بوشاح الدولة المسلحة في
(روسيا) واسم صاحبه يوقظ في صدور الملايين معاني الايمان والاحلال ، على ما لم يعهد من
قبل الا في الرسل والانبياء لا في اصحاب المذاهب الفلسفية . ان كلماته تورد تأييداً وادحاً
في المناقشات التي تدور حول السياسة الاجتماعية ، وفيها القول الفصل الذي كان يعلق باقوال
التوراة والانجيل عند المدرسين في القرون الوسطى . ولا ريب في انه ليس ثمة اشتراكية
يصح ان يُعنى بها رجال الدول الا اشتراكية ماركس» . ثم يبين الاستاذ لاسكي في فقرة تالية

ان فلسفة ماركس كانت اولاً عقيدة تدين بها شرذمة قليلة من الجمعيات الثورية التي تعمل في الخفاء فأصبحت ايماناً يواجه الناس في سبيله السجن والموت كما فعلت الديانات الكبرى في العصور الماضية

والى القارئ ملخصاً عن فلسفة ماركس الاقتصادية الاجتماعية نقلناها عن كتاب المستر كول المدعو « مرشد الرجل الذكي في الفوضى العالمية » . وهو من افضل الكتب الحديثة التي تعالج اضطراب العالم الاقتصادي وصاحبه من اساتذة الاقتصاد في جامعة كمبرج

العمال والمتمولون

يعتقد الاشتراكيون ان التغلب على النزاع بين العمال والمتمولين ، امر متعذر في نظام رأسمالي . لان هذا النزاع قائم على اساس من عدم التكافؤ في القوتين المتقابلتين والتناقض في اغراضهما . اما الوجهة الاشتراكية في هذا الموضوع فقد بسطها ماركس في كتابه المشهور « رأس المال » Das Capital والاشتراكيون على اختلاف نحلهم وأوان تفكيرهم مجمعون على التسليم بأصول المذهب الماركسي

يذهب ماركس الى ان العمل ، يحسب خطأ في مجتمع رأسمالي ، سلعة تباع وتشتري . فتحسب قوة العامل في عداد النفقات التي تنفق على صناعة المنتجات التي يخرجها المصنع ، بدلاً من ان يكون العامل نفسه ، الهدف الذي لاجله قامت الصناعة وارتقت . « فقوة العمل » تباع وتشتري . والمتمول يبتاعها لانه لا ندحة له عنها كعامل من عوامل الانتاج . وعلى العامل ان يبيع قوته على الانتاج اذ لا سبيل آخر له للارتزاق . ولو كان هذا التبادل حراً لصلحت الحال . ولكن ظروف التبادل غير متساوية في اساسها . لان المتمول ، بفضل المال المتجمع في يديه ، يختص نفسه بكل الفوائد التي تجني من زيادة المقدرة على الانتاج الناشئة عن التوسع في الصناعات وتقسيم الاعمال فيها . فالعامل ينال اجراً على الجهد الفردي الذي يبذله في الانتاج ، وهذا الاجر تعينه كثرة العمال الذين يطلبون ان يعملوا العمل نفسه ، او قلمهم . فاذا برع العمال في ناحية معينة او زادت مقدرتهم لارتقاء الاساليب الميكانيكية ، فزاد الانتاج ، جنى المتمول الجانب الاكبر من فوائد هذه الزيادة ، بدلاً من ان يجنيها العامل . وللعامل ان يتحدوا ، ويطلبوا متحدين ان يزيد نصيبهم من ارباح الصناعة القائمة عليهم ، بل ان اجور العمال ، حيث العمال قليلون ، ترتفع من تلقاء ذاتها ومن دون اتحاد العمال انفسهم . ولكن ماركس واتباعه يرون ، ان في المجتمع الرأسمالي ، ميلاً بديهياً ، الى توزيع الارباح التي تجني من تقدم الصناعة ، على عوامل الصناعة المختلفة — كاجرة الارض والبناء وفائدة المال وأجور المديرين — دون العامل الذي ينال نصيباً يسيراً جداً من الربح اذا قيس بنصيبه الكبير

في الانتاج . بل ان ماركس كان يرى ان العامل لم ينل جزاء له على عمله ، حتى هذا النصيب اليسير
فالفكرة الاساسية في مذهب ماركس هي ان جمع اسباب الانتاج في ايدي افراد قلائل من
التمولين يفضي ضرورة الى الجور في استغلال العمال . فالصناعة الحديثة هي في اساسها عمل
تعاوني . ولكن انقسام القائمين بها الى فريقين متخصصين من حيث علاقة كل منها بالعمل
نفسه ، ينفي عن العمل صفة التعاون . ولا بد من ان يصلح الخلل على مر الزمن . فامتلاك
الحكومة للصناعات وتوزيع الربح ، هما في نظر ماركس ، النتيجة المنطقية لما بلغته الصناعة
الآلية من التطور في العصور الحديثة

ويخطئ من يسند الى ماركس القول بأنه يطلب لكل عامل الاستيلاء على ثمرة عمله
كاملة . بل انه وقف كتاباً من كتبه (القيمة والربح) ردّ هذا القول . لان ماركس
يرى - وكان على صواب - ان في الصناعة الحديثة لا يمكنك ان تشير الى بضاعة معينة وتقول
هذه ثمرة عمل العامل الفلاني . وليس ثمة الا النتيجة المشتركة للعمل المشترك يقوم به عمال كثيرون .
ومن المتعذر ان ندلّ على نصيب كل عامل من العمال في هذا العمل المعقد الذي يخرج بضاعة
تتناولها - هي او احد مقوماتها - يد عامل من العمال في خلال دور من ادوار صنعها . وليس
ما تخرجه الصناعة نتيجة عمل العمال فقط ، بل هو نتيجة منتجين آخرين سبقوهم . فشكل
من اضاف بمستنبطاته شيئاً الى النظام الصناعي ، هو بحق احد المنتجين للبضائع التي تخرجها
المصانع . وعليه يرى ماركس انه من المتعذر ، توزيع ارباح الصناعة ، على العناصر المختلفة
التي اشتركت في اخراج منتجاتها ، توزيعاً عادلاً . ولما كانت منتجات الصناعة نتيجة عمل
مشترك وجب ان تكون ملكاً للمجتمع بأسره . وتوزيعها ، لا يكون الغرض منه جزاء
كل عامل على عمله بالقدر الذي يستحقه ، بل اقتساماً لما اشتركت في خلقه الجمعية البشرية من
الثروة . وهذا المتمول لا يمنع توقيع العقاب على الذين يقصرون في القيام بنصيبهم في هذا
الخلق ، او منح الجزاء حيث يكون باعثاً على الجهد المنتج . ولكن كلا هذين العاملين في توزيع
الدخل ثانوي . والمبدأ المرشد لجميع الاشتراكيين هو جعل الدخل متساوياً لكل الناس ،
ما سمح بذلك الامكان

تفسير التاريخ تفسيراً اقتصادياً

والقول بان المتمول في النظام الرأسمالي ، يستغل العامل ، باختصاصه نفسه بالجانب
الاكبر من ثمرة الانتاج ، عنصر واحد من عناصر المذهب الماركسي . ولفهم هذا المذهب
فهماً متزنًا يجب ان نتبين ما يعرف بتفسير التاريخ تفسيراً اقتصادياً او مادياً . وقد اسيء

من قبل فهم هذه الناحية من مذهب ماركس ، فيجدر بنا ان نكون حذورين في تبينها يقول ماركس ان في كل حضارة في اي دور من ادوارها « قوى انتاجية » ، تقوم على مصادر الثروة المادية ومعرفة الانسان بتشييرها . فالفحم في مناجمه لا يحسب « قوة » من قوى الانتاج حتى يكشفه الانسان ويستخرجه ويعرف انه يكثر ويولد طاقة يمكن استخدامها . وقوى الانتاج هذه تتغير تغيراً دائماً وفقاً لاتساع معارف الانسان . وعليه فالاساس الذي تقوم عليه الحضارة اساس دائم التغير . وفي كل مرحلة من مراحل الحضارة نجد وسائل هي الوسائل المثلى لتنظيم قوى الانتاج في تلك الحضارة . فالجماعة التي تعيش بالصيد والقتل ، او بالزراعة ، او بالصناعة على اختلاف اساليبها ، عليها ان تتخذ ، في تنظيم حياتها الاقتصادية ، الوسائل التي تتفق والضرورات التي تقتضيها طبيعة قوى الانتاج والاعمال الانتاجية التي تراوحتها . فصيد السمك او تعدين الفحم او توليد الكهرباء : يقتضي نظاماً اقتصادياً خاصاً ، يوضع خاصة لتحقيق الغرض المعين وهذا النظام يقتضي بطبيعته احكاماً للمالك والملاك وعلاقة الناس بعضهم ببعض . اذ لابد من طرق لتعيين من يسيطر على ادوات الانتاج ومصادر الثروة الطبيعية ، ومن يصدر الاوامر للقيام بالاعمال المختلفة التي يقتضيها الانتاج في مراتبه المتباينة . كذلك يقرم على اساس من استغلال مصادر الثروة الطبيعية ، صرح من العلاقات الاقتصادية . على ان ماركس يرى ، ان صرح العلاقات الاقتصادية يسيطر على بناء الجماعة السياسي ويتحكم فيه . لان الدولة في عرفة ، هي المنظم للعلاقات السياسية ، وان باعث وجودها الاوحد ، هو الاحتفاظ بالاحوال المواتية للانتاج واسباب المعيشة

وقد وصف ماركس في بيانه الشيوعي « Communist Manifesto » المراحل المتعاقبة في تنظيم اوربا السياسي ووافق بينها وبين المراتب المتعاقبة في تنظيمها الاقتصادي ، وهذه من ناحيتها ، تحولت بحسب تحول سيطرة الانسان على مصادر الثروة الطبيعية واسباب الانتاج . فالفئدية (الاقطاع Feudalism) ونظام العلاقات الشخصية القائم على علاقة كل فرد او طبقة بالارض ، هي مرتبة في التنظيم السياسي توافقت مرتبة في النظام الاقتصادي قائمة على الزراعة في تطور قوى الانتاج . اما « الرأسمالية الحديثة » وما تقوم عليه من حرية التعاقد ، والالوف الذين يشتمرون أموالهم في الشركات الكبيرة ، والوف الالوف من العمال ، واوضاعها البرلمانية ، وديمقراطيتها الظاهرة ، فكأنما هي مرآة تعكس لنا النظام الاقتصادي الجديد وهو نظام الانتاج الآلي القائم على توزيع العمل وتعاون العمال وارتقاء الوسائل العلمية الصناعية ويذهب ماركس الى ان هذه المراتب في نشوء قوى الانتاج واحكام الملك وصروح الانظمة السياسية تسفر عن نشوء طبقات اقتصادية مميزة للنظام الذي تنشأ فيه . وكل نظام

انتاجي في تاريخ الارض فرق الناس طبقات دفعت الى التنارع والتناحر فيما بينها بمنطق الارتقاء الانتاجي نفسه . فالقندية تنشئ ضرباً معيناً من العلاقة بين الطبقات كطبقة الزراع واصحاب الارض من الامراء . اما الرأسمالية فتطلق العامل من عبوديته للارض واصحابها وتمنحه حرية التعاقد، ولكنها حرية وهمية ، لان الممولين يحتكرون السلطة في ظل النظام ، والتعاقد الحر معهم ليس في الواقع الا تعاقداً مكبلاً بالاغلال

واذن يرى ماركس، ان نشوء الرأسمالية في العهد الحديث يحمل طبقة الممولين على تنظيم العمال في طوائف كبيرة ومعامل متسعة وجمعهم في مدن ، رغبة منهم في جني اعظم ما يمكن جنيته من ثمار الصناعة الآلية . ولكنها — أي طبقة الممولين — لا تستطيع ان تفعل ما تفعل وان تمنح في الوقت نفسه تنظيم صفوف العمال فيما بينهم . واتحادات العمال تقوى على مر الزمان وتتفاهم حتى تصبح قادرة ان تساوم اصحاب المال على اجور العمال . ومن ثم يبدأ العمال يدركون مدى قوتهم المشتركة والصفة الاشتراكية التي يتصف بها العمل الذي يقومون به . وهذا يولد في اذهانهم وتقوسهم روح المقاومة لاستقلالهم وعقيدة راسخة بان الامة يجب ان تملك الصناعة لان الصناعة اشتراكية في طبيعتها واساسها . كذلك يعتقدون المذهب الاشتراكي ويصبحون من اشد مؤيديه تأييداً عملياً . وتنظيم صفوفهم اذا بلغ مدي بعيداً يمكنهم من تسلم مقاليد الامور وتحويل ادوات الانتاج لفائدة المجتمع ، مستغنيين عن الملكية الخاصة ورؤوس الاموال التي يملكها افراد او جماعات من الافراد . وكان ماركس يتوقع ان يتم فوز طبقة العمال اذ تتخذ غلبتهم شكلاً سياسياً . اذ ذاك يكون فوزاً عاماً لطبقة العمال لالتفريق منها دون آخر . ذلك انه كان يعتقد ان الصفة الاشتراكية التي تتصف بها الصناعة تربط بين طبقة العمال ، وان فوزها على الرأسمالية رهين بأرها السياسي كحزب منظم يمثل طبقة العمال بأسرها

الاشتراكية والركناتورية

ولكن فوز طبقة العمال في نظر ماركس يختلف اختلافاً اساسياً في طبيعته وأثره عن اي تحول سابق في علاقات الطبقات بعضها ببعض . ذلك انه لما اصبحت طبقة الممولين على جانب كاف من القوة للتغلب على النظام القدي وانشاء الدولة البورجوزية الحديثة بانظمتها البرلمانية ، ظل تحتها في البناء الاجتماعي طبقة كبيرة — هي كثرة الامة الساحقة — تستغلها لأربها الخاصة ، وما لبثت حتى اندمجت في طبقة الممولين طبقة ملاك الارض ، واصبحت الاملاك صنفاً من رأس المال لا يختلف في طبيعته والدخل الذي يجني منه عن صنوف الرأسمال الأخرى . فكان الممول بدد أولاً سلطة الاقطاعيين ثم جعل مصالحهم مصالحه الخاصة

ولكن اذا فازت طبقة العمال على طبقة الممولين — كما فاز الممولون على امراء الفدنية — لا يبقى تحت طبقة العمال طبقة اخرى من الامة تستغل في سبيل الطبقة الجديدة التي فازت بالسلطان . لذلك يكون الاجتماع الذي ينشأ على اثر فوز العمال اجتماعاً لا طبقات فيه ، فلا يكون قائماً حينئذ على استغلال طبقة لا اخرى ، بل على الاشتراك في نتيجة الجهد الاقتصادي العام

على ان هذا الانتقال الى اجتماع لا طبقات فيه ، لا يمكن ان يتم فجأة . ذلك ان الانتقال من الفدنية الى الرأسمالية اقتضى اولاً القضاء التام على ارباب الفدنية ثم تحويل مصالحهم وجعلها مصالح الرأسماليين . كذلك طبقة العمال ، لا تستطيع ان تزيل الفوارق بين الطبقات قبل ان تقضي على الرأسماليين القضاء الاخير . ففي فترة الانتقال هذه تتسلم طبقة العمال مقاليد الامور وتحكم كطبقة ، من دون ان تشرك معها في الحكم ارباب النظام الزائل . هذه هي الفترة التي تعرف بفترة « دكتاتورية العمال » Dictatorship of the Proletariat وهي مرحلة لا ندحة عنها في الانتقال من الرأسمالية الى النظام الاشتراكي التام

ويرى بعض اتباع ماركس ، وبوجه خاص حزب الديمقراطيين الاشتراكيين في المانيا ان فترة الانتقال الموسومة بسمة دكتاتورية العمال ليست من صميم مذهب ماركس . لان فلسفتهم الاجتماعية قائمة على عقيدتهم بان الدولة الاشتراكية تنشأ نشوءاً متدرجاً من النظام الرأسمالي عن طريق التطور البرلماني . ولكن ليس ثمة ريب على الاطلاق في ان ماركس كان يرى ضرورة فترة الانتقال ودكتاتورية العمال في خلالها

وقد جعل الشيوعيون الروس فكرة الدكتاتورية ركناً من اركان الخطة التي جروا عليها . ففي رأيهم لا يمكن ان تصبح روسيا امة لاطبقات فيها ، قبل ان يزول كل خطر من ثورة رجعية على النظام الشيوعي يقوم به فلول الرأسماليين واتباعهم ، وقبل ان يقضى القضاء الاخير على العناصر غير الاشتراكية في الامة الروسية . لذلك عمد الروس الى ابعاد افراد الطبقات الرأسمالية والحاكمة وتجريد الباقين منهم من الحقوق السياسية واضطهاد الملاك والسعي سعياً حثيثاً الى تحويل الزراعة في روسيا واقامتها على اساس اشتراكي . ولكن الروسيين لا يفكرون في جعل الدكتاتورية نظاماً باقياً للحكم في روسيا ، بمعنى تجريد بعض ابناء الامة الروسية من حقوقهم السياسية . على انه لا بد من ابقاء الدكتاتورية حتى يتم الانتقال . عندئذ يفتح عهد الدولة الاشتراكية في اجتماع لا طبقات فيه

غرائب المناعة

اكتشاف خطير في العلاقة بين المناعة ضد الامراض
والافعال العكسية المحولة

تشير المباحث الحديثة التي يقوم بها الدكتور متالنيكوف Metalnikov في معهد باستور الى إمكان الحصول على مناعة وقية ضد مرض من الامراض بمجرد امر الأمر. ولا يبعد ان يصبح في حيز التنفيذ العملي دعوة فرقة من الجنود الى الانتظام ثم ينفخ في البوق امامهم لحن معين فيكتسبون مناعة ضد الحمى التيفودية او الكوليرا !

ان مسألة المناعة من اخطر المسائل في علوم الحياة والطب. ومناعة الجسم ، أي مقاومته لمكروبات الامراض التي تغزوه ، صفة من الصفات الاساسية في الاجسام الحية. فثمة أولاً المناعة الموروثة التي تولد في الجسم ساعة يولد . فالانسان منيع على الطاعون البقري وكوليرا البجاي اي لا يمكن أن يصاب بهما . والاساريح منيعة على الدفتيريا والكزاز ولو حقنها بحجرات كبيرة من ميكروباتهما ، فان الكريات البيض في دمها لا تلبث بضعة ايام حتى تلتهم هذه الميكروبات كلها ثم هنالك مناعة مكتسبة . فالاصابة بالحصبة مرة تمنحنا مناعة ضد الحصبة مدى الحياة على الغالب. كذلك الاصابة بالجدري . ومنذ ان قام العلامة باستور بمباحثته الخالدة تعلم الاطباء كيف يمنحون الجسم مناعة مكتسبة ضد امراض معينة . فالحقن بجرعة من مكروبات مرض معين ، بعد معالجتها بالاحماء او غير ذلك من طرق المعالجة لكسر شوكتها ، يهيئ الجسم لهجوم الميكروبات الفائعة عليه ، فيعرف كيف يتقيها. والحقن بالميكروبات الضعيفة ، ينشئ في الدم مواد كيميائية ، تعرف بالاجسام المضادة ، وهذه اذا جاءت الميكروبات الفائعة ، قتلتها او جعلتها طعمة سائغة لكريات الدم البيض

فالمناعة ، موروثة او مكتسبة هي احدى غرائز البقاء او المحافظة على الكيان . ودرس هذه الظاهرة في النباتات والحيوانات يحاول لنا فرقاً من اخطر الفروق بين الاجسام الحية وغير الحية . على ان غرائز البقاء تقتضي جهازاً عصيباً. فالدفاع ، سواء كان بالقتال او بالتأوت ، يسيطر عليه الجهاز العصبي . وافعال الدفاع ، في الغالب افعال عكسية عصبية ، لا سيطرة شعورية للدماغ عليها من هنا بدأ الدكتور متالنيكوف بحثه فسأل نفسه : ليست المناعة ضد المرض ، وهي من اقدم واطهر وسائل الدفاع عن النفس ، تحت سيطرة الدماغ كذلك ؟

جرب الدكتور متالنيكوف بحاربه الاولى بالاساريح (Caterpillars) . ولهذه الحيوانات ميزتان خاصتان تجعلانها صالحة لمثل هذه التجارب . أولاً يسهل توليد المناعة ضد الامراض فيها.

فاذا حققت هذه الاساريح بمجرات كبيرة من مكروبات الكوليرا قضت عليها ، ولكن تتولد فيها مناعة ضد الكوليرا في خلال اربع وعشرين ساعة اذا حققت حقناً متتالية بمجرات صغيرة . والميزة الثانية ان دماغها ليس مركزاً في مكان واحد من جسمها كدماغ الانسان . فهو مقسم اقساماً عديدة في كل مقطع منها قسم قريب من الجلد ، فكان هذه الاقسام عقد من الحَبَّات ، تتصل كل حبة بالاعصاب التي تمتد في الجسم . ويسهل على الباحث ان يتلف احد هذه الاقسام بغرزة ابرة من دون ان يميت الحشرة نفسها

فافسرت التجارب التي جربها متالنيكوف عن ان مقدرة الحشرة على توليد المناعة في جسمها لا يتأثر قط اذا اتلفت كل اقسام الدماغ في جسمها ، الا القسم الخامس من الرأس . ذلك انه اذا اتلفت خلايا الدماغ في هذا المركز اصبحت الحشرة لا تستطيع ان تولد المناعة في جسمها ضد مكروبات الكوليرا . ففي هذا برهان قاطع على ان للجهاز العصبي يدافع الحيوان عن نفسه ضد مكروبات المرض فلما ثبت له هذا في اجسام الاساريح ، اراد ان يعرف موقف الحيوانات الفقيرة — ومنها الانسان — من هذه الحقيقة . ولكن التجربة في الحيوانات الفقيرة اكثر تعقداً منها في الحشرات . وصحيح ان تجارب كثيرة كانت قد جربت في الكلاب باتلاف بعض مراكز الدماغ ومراقبة النتائج في تصرف الكلب فعرفت وظائف مراكز الدماغ المختلفة بوجه عام . ولكن الوصول الى تعيين الخلايا الدماغية التي تسيطر على المناعة بهذه الطريقة ، عمل معقد ممل . لذلك اختار الدكتور متالنيكوف خطة اخرى للبحث

لقد بينا ان اعمال الدفاع في سبيل البقاء ، في الجسم الحي هي في الغالب افعال عصبية عكسية (reflex action) اي انها تتم من دون سيطرة الدماغ الشعورية . فالأيل يفر مبادرة اذ يرى شيئاً متحركاً . والرجل الذي يوشك ان يغرق يتعلق باصغر الاجسام الطافية . ومنه المثل العربي (الغريق يتعلق بمجال الهواء) . وقد عني الاستاذ بافلوف الروسي في اواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن بدراسة هذه الناحية من الافعال العصبية فوسّع نطاق معرفتنا بها . وقد اثبت بافلوف انه اذا كان الباعث على فعل عصبي عكسي يصحبه باعث آخر ، امكن بعد ترديد الباعث مراراً ، الاستغناء عن الباعث الاول والاكتفاء بالباعث الثاني في استثارة الفعل العصبي نفسه . فاذا قدمت لكلب طعاماً كان تقديم الطعام باعثاً على سيل لعابه . وسيل اللعاب في الكلب يتم بفعل عصبي عكسي . فاذا اقترن تقديم الطعام بقرع جرس ، عدة مرات ، ثم استغني عن تقديم الطعام واكتفي بقرع الجرس ، كان قرعه باعثاً على سيل اللعاب ، اي على احداث الفعل العصبي العكسي ، فهو فعل عكسي عصبي محوّل . وقد دعي بالانكليزية Conditioned reflex وكتب عالم في مجلة نايتشر ان هذا الاسم غير موفق ، لذلك نرى ان ترجمته الحرفية — اي بالفعل المعكوس الشرطي او المشروط غير موفق

كذلك، والافضل ترجمة الاصطلاح بمعناه — وهو التحول — والتحول هنا هو سيل اللعاب لقرع الجرس بدلاً من سيله لرؤية الطعام

وقد اختار الدكتور متالنيكوف اسلوب «الافعال العصبية المحوثة» لامتحان فكرة المناعة التي اثبتها في تجاربه بالاساريح، حتى يعلم هل لدماغ الحيوانات الفكرية اثر في توليد مناعة الجسم او لا اخذ طائفة من الارانب وخنازير الهند، وحقنها بمكروبات مرضية اضعف فعلها بالاحياء وفي الوقت نفسه كان يدغغ الحيوانات المحقونة ويخمش آذانها أو ينفخ ببوق معين على مقربة منها. فتولدت المناعة في اجسامها بالطريقة العادية. ثم لم تلبث هذه المناعة ان زالت كما تزول كل مناعة مكتسبة بعد زمن قصر او طال. وزوال المناعة المكتسبة يعني ان الارانب وخنازير الهند اصبحت غير قادرة على مقاومة مكروبات المرض الفائعة اذا دخلت جسمها. ولكن بدلاً من ادخال مكروبات المرض الفائعة في جسمها لمعرفة مقدرتها على مقاومة المرض وهل هي لا تزال عندها مناعة او لا، توجد طرق اثبتها العلم تعرف بها حالة دم الحيوان وهل زالت مناعته المكتسبة او لم تزل. ذلك انه اذا اكتسب الدم مناعة حدث فيه تحولان: اولاً يزيد عدد كريات البيض. ثانياً تتكون اجسام مضادة. فالكريات البيض يمكن احصاؤها. والاجسام المضادة يمكن الكشف عنها بكواشف خاصة، مثل وضع قطرات الدم في انبوب وازافة ميكروبات اليها فاذا فتك بالمكروبات ثبت ان في الدم اجساماً مضادة

واذن بعد انقضاء زمن، تزول المناعة المكتسبة من دم الارانب وخنازير الهند. وتصبح حالة دمها عادية. فليس فيه اجسام مضادة، وليس فيه زيادة في كراته البيض. كذلك الانسان. فانه اذا حقن ضد الحمى التيفودية او الكوليرا، تزول مناعته المكتسبة بعد سنة او سنتين فيجب ان يحقن نفسه من جديد اذا شاء ان يبقى منيعاً عليها

وهنا مكان الاكتشاف الجديد. ذلك ان الدكتور متالنيكوف وجد انه بدلاً من ان يعيد حقن خنازير الهند بالمكروبات ليعيد الى دمها المناعة المكتسبة التي زالت بعد زمن، يمكن من ان يحدد هذه المناعة بمجرد دغغتها او خمش آذانها او النفخ ببوق على مقربة منها، اي بتكرار الفعل الذي صحب الحقن من قبل — وهو من قبيل الفعل العصبي المحول. وعلى اثر ذلك ظهرت في الدم الاجسام المضادة. ويقول الدكتور منرو فوكس — استاذ الحيوان بجامعة برمنغهام ومحرر مجلة «المخلاصات البيولوجية» الذي لخصنا عنه ما تقدم — ان هذه النتائج أبدها باحثون آخرون قاموا بتجاربههم على حدة وهي تثبت اولاً ان للجهاز العصبي يداً في المناعة، وان هذه الحقيقة قد تكون ذات خطر في شؤون الناس الصحية. وليس في ذلك ما يثير العجب. فالاوذيما (انتفاخ في الديدن) والحروق والخراجات شفيت بالاستهواء. والقيء والنوم والتغير في ضغط الدم يمكن احداثها بكلمة او بفعل عكسي محول

الله والشاعر

للشاعر علي محمود طه

لا تقزعي يا أرضُ : لا تفرقي من شَبَّحَ تحت الدجى عابر
ما هوَ إلاَّ آدميٌّ شقيٌّ سَمَّوهُ بين الناسِ بالشَّاعرِ

حنانك الآن فلا تُنكري سبيلَهُ في ليلى العابسِ
ولا تُضليه ولا تُنفِري من ذلك المستصرخِ البائسِ

مُدِّي لعينيه الرحابِ الفساحَ ورقري الأضواءَ في جفنه
وأمسكي يا أرضُ عصف الرياحِ والراعدَ المنصبَّ في أذنه

أُسمعُ الآنَ في صوتهِ تَهْدُجُ الأَناتِ من قلبه ؟
وتقرأين الآنَ في صمتهِ تَمُردُ الرُّوحُ على ربه ؟

في وقفةِ الدَّاهِلِ ألقى عصاهُ مُوَلِّيَ الجبهةِ شطرَ الفضاءِ
كأنما يَرُقُّ الدجى ناظراه ليستَشِفَّ ما وراءَ السماءِ

يَسْقُطُ ضوءُ البرقِ في لمحِه على جبينِ باردٍ شاحبِ
ويستثيرُ البردُ في لفحهِ ناراً تَلْطِئُ من فمِ ناضبِ

أنتَ لَهُ يا أرضُ أمَّ رؤومٍ فأشهدِي الكونَ على شِقْوَتِهِ
ورددِي شكواهُ بين النجومِ فهوَ ابنكِ الإنسانُ في حيرته !

ما هوَ إلاَّ صوتكِ المرسلُ وروحكِ المستعبدُ المرهقُ
قد آده الدهرُ بما يحملُ خفاءً عن آلامِهِ ينطقُ ؟

طنخى الأسى الدَّأوي على صوتهِ يا للصدى من قلبهِ الناطقِ
مضى يَبْثُ الدهرُ في خفتهِ شكايَةَ الخلقِ إلى الخالقِ

لا تَعُدُّني يا ربَّ في محنتي ما أنا إلاَّ آدميٌّ شقيٌّ
طردتني بالأمسِ من جنتي فاغفرْ لهذا الغاضبِ المحنِّقِ ؟

حنانك اللهم لا تغضب
ان كنت في شكواي بالمدن
انت الرفيق القلب جم الحنان
فمنك يارب أخذت الأمان

ما أنا بالزاري ولا الحاقدي
أفنت عمري في الأسي الخالدي
لكنني الشاكي شقاء البشر
فجئت أستوحيك لطف القدر

تمردت روحي على هيكلي
ذلك الضعيف الرأي لم يفعل
وهيكل الجسم كما تعلم
إلا بما يوحي إليه الدم !

يَعْرِقُ حَدَّ السِّيفِ مِنْ لَحْمِهِ
وَيَنْخَرُ الْجُرْثُومُ فِي عَظْمِهِ
ويحطم الصفوان بنيانه
ومنه ينسجي القبر ديدانه !

ما هو إلا كومة من هباء
فكيف يشي الروح عما تشاء ؟
تحقق العسة من غضبتك
وكيف يقوى ؟ وهي من قدرتك !

روحك في روحي تبث الحياة
فإن جفاها ذات يوم سناه
زلت دنيائي على نورها
لاذت بليل الموت في قبرها !

ومنا قدّرت صورتها
طبيعة في الخلق ركبته
فروحك الصوت وروحي الصدى
وما أرى لي في بناها يدا !

لكنما روحك من جوهر
أولاً ؟ فما للخير لم ينمر
صاف وروحي ما صفت جوهرها
فيها ؟ وما للشر قد أنمرا !!

تقول روحي إنها ملهمة
مقودة في سيرها مرغمه
فهي لما قدّرت له مستبعدة
وإن تراعت حرّة طيعة !

قيّدتها بالجسم في عالم
كلاهما في حبه الآثم
تضج بالشهوة فيه الجسم
لم يصح من سكره وهو المولوم !

تبدى به الأجسام سحر الحياة
نوايس الأجنان حو الشفاء
في معرض يجلو غريب الفنون
شديدة الإغراء شتى الفتون !

ولم أكن أول مغرَى بما أغرت به حواء أو آدماء
إرث تمشّى في دمي منهما ميراثه ينتظم العالماء !!

فأنت قدّرت عليّ الشقاء من حيث قدّرت عليّ النعيم
وما أرى !! هل في غد لي ثواء بالخلد ؟ أم مثوأي نار الجحيم ؟

ما أثممت روجي ولا أجرت ولا طغى جسمي ولا استهترا
عنصر الروح بما ألهمت أوحى إلى الجسم فما قصّرا

كلاهما لم ينعُدْ تصويرة ما كان إلا منبأ كونا
كم حاولا بالأمس تغييره فاستكبر الطبع وما أذعنا

أمنذري أنت بيوم الحساب ؟ ولائمي أنت على ما جرى ؟
رُحماك ! ما يُرضيك هذا العذاب لطيع لم يعص ما قدّرا !!

ما كنت إلا مثماراً كسبت غرازي : ماشئت لا ما أشاء
فلتجزها اليوم بما قدّمت وإن تكن مما جنته براء !

وفيم تجزى وهي لم تأثم ؟ ألت أنت الصائغ الطابعا ؟
ألم تسمها قبل بالميسم ؟ ألم تصنع قلبها الرأعا ؟؟

ألم تصفها عنصراً عنصراً من أين ؟ ما علمي ؟ وأنت العليم !
جبلتها يوم جبلت الثرى من عالم الدرّ ودنيا السديم

الخير والشرُّ بها توأمان والحبُّ والشهوة في طبعها
حواء والشيطان لا يبرحان يُساقطان السحر في سمعها !

تشككت نفسي بما تنتهي إليه دنياها وماذا يكون !
مضت فما آبت بما تشتهي من حيرة الفكر وهجس الظنون !

رأت أسارى في قيود ثقال بين يديّ ذي مرّة ينسمون
يسوقهم في فلوات الليال في بطش جبّارين لا يرحمون

إِنْ ضَجَّ فِي الْأَغْلَالِ مِنْهُمْ طَلِيحٌ أَخْرَسَهُ السُّوْطُ الَّذِي يُرْهَفُ
وَإِنْ هَوَى لِلْأَرْضِ مِنْهُمْ جَرِيحٌ أَهْضَهُ فِي قَيْدِهِ يَرْسُفُ

يَا وَيْحَهُمْ مَا عَرَفُوا مَوْتًا مِنْ قَسْوَةِ الدَّهْرِ وَجُورِ الْقَضَاءِ
يَا أَرْضُ مَا كُنْتَ لَنَا مَنْزِلًا مَا أَنْتِ إِلَّا مَوْبِقُ الْأَبْرِيَاءِ !!

أَفِي سَبِيلِ الْعَيْشِ هَذَا الصَّرَاعُ ؟ أَمْ فِي سَبِيلِ الْخُلْدِ وَالْآخِرَةِ ؟
وَهَؤُلَاءِ الْبَائِسُونَ الْجِيَاعُ تَطْحَنُ تِلْكَ الرَّحَى الدَّائِرَةُ ؟؟

مَا ذَنْبُ هَذَا الْعَالَمِ الثَّائِرِ ؟ إِنْ حَاوَلَ الْإِفْلَاتُ مِنْ آسَرِهِ ؟
مَا كَانَ فِي مِيلَادِهِ الْغَابِرِ أَسْعَدَ حَالًا مِنْهُ فِي حَاضِرِهِ !!

مَا كَانَ لَوْ لَمْ تَنْزُ أَلَامُهُ بِالْمَاجِنِ الرُّوحِ وَلَا الْهَانِمِ
وَلَوْ جَرَتْ بِالْصَفْوِ أَيْامُهُ مَا كَانَ بِالزَّارِي وَلَا النَّاqِمِ

رَأَى بَعَيْنِيهِ الْمَصِيرَ الرَّهيبَ وَكَيْفَ غَالَ النَّاسَ مِنْ قَبْلِهِ
وَكُلَّ يَوْمٍ لِلْعَنَاءِ عَصِيبَ يَسُوقُهُمْ لِلْمَوْتِ مِنْ حَوْلِهِ !

فَخَقِرَ الدُّنْيَا وَأَزْرَى بِهَا وَقَالَ : مَا لِي أَنْكَرُ الْوَاقِعَا ؟
فَلَمْ تَسْعُدِ النَّفْسُ بِأَتْحَابِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَى الْغَدَ الرَّأْعَا !

أَيَصْبِحُ الْإِنْسَانُ هَذَا الرَّمِيمَ ؟ وَالْخَيْفَةُ الْمُلَقَاةَ نَهَبَ التَّرَابَ ؟
أَيَسْتَحِيلُ الْكَوْنُ هَذَا الْمَهِيمَ وَالظَّامَةُ الْجَائِمُ فِيهَا الْخَرَابَ ؟

لِمَنْ إِذَا تُبْدِعُ تِلْكَ الْعُقُولُ ؟ أَفِي الرَّدَى تَدْرِكُ مَا فَاتَهَا ؟ ؟
أَمْ فِي غَدْرِ تَنْوِي بِتِلْكَ الطُّلُولُ وَيَسْحَقُ الدَّهْرُ يَوَاقِيَتَهَا ؟ ؟

وَأَسْفَا لِلْعَالَمِ الْبَائِدِ لَيْسَ لَهُ مِمَّا يَرَى مَهْرَبُ
عَلَى رَنِينِ الْمُنْجَلِ الْخَاصِدِ مَضَى يُغْنِي.. وَهُوَ لَا يَطْرُبُ ..

فَدَعَاهُ يَنْسَى بَعْضَ مَا حُمِّلَا مِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا وَضَنْكِ الْحَيَاةِ
وَأَوَّلَهُ الْعَطْفَ الَّذِي أُمِّلَا فَانْهُ أَوَّلَى بِعُطْفِ الْإِلَهِ !

ما هي إلا لحظات قصار
ثم مثل الومض في عينه
فان مضى الليل وجاء النهار
عاوده الخالد من حزنه !

وما أتى الغي ليعصى الاله
يوماً ، ولا كان به مغرماً
لكن لينسى شقوات الحياة
وسرها المستغلقة المبهماً !

يا للشقي القلب كم سامه
توهم النعمة ما لا يُطبق
يريد أن يُقنع اوهامه
بأنه ذاك الخلي الطابق

هأنذا ارفع آلامه
إلى سماء المنقذ الاعظم
أنا الذي تُرسل أنغامه
قيثارة القلب وناي القم

من عبراتي صُغت هذا المقال
ومن لهيب الروح هذا القلم
ملأت منه صفحات الليال
فضممت كل معاني الالم

انا الذي قد سئت احزانه
الشاعر الباكي شقاء البشر
فجرت بالرحمة الحانه
فاملاً بها يارب قلب القدر !

ما الشاعر الفنان في كونه
الا يد الرحمة من ربه
مُعزي العالم في حزنه
وحامل الآلام عن قلبه

عزاؤه شعر به أهزج
في نغم مستعذب ساحر
ما يحزن العالم او يهيج
الا على قيثارة الشاعر

يارب ما اشقيتني في الوجود
الا بقلبي : ليت لم يكن
في المثل الأعلى وحب الخلود
حملته العبء الذي لم يهن

خلقته قلباً رقيق الشغاف
يهم بالنور ويهوى الجمال
حلت له النجوى ولذ الطواف
بعالم الحسن ووادي الخيال

بعثته طيراً خفوق الجناح
على جنان ذات ظل وماء
أطلقتها فيها قبيل الصباح
وقلت : غن الأرض لحن السماء

فهامَ في آفاقها الواسعة الثور يهفو حوله والندى
مُصنِّقاً للضحوة الساطعة ومُنشِداً ما شاء أن يُنشدا

إن جاء صيفٌ أو تجلَّى ربيعٌ حيَّاهُ منه عبقرى الغناء
وكم خريفٍ في نشيدٍ بديعٍ تظلُّ ترويه ليالي الشتاء

قيثارةٌ تصدرُ في فنها عن عالم السحر ودنيا الخفاء
على الصدى الحائر من لحنها يستيقظُ الفجرُ ويغفو المساء

مشَّتْ على الأمواج أنغامها والأرضُ قيدَ النشوة المسكرة
كأنما رقصُ أحلامها في ليلةٍ شرقيةٍ مُقمره !

من قلبه أسلست أوتارها فقلبه يخفقُ في كفته
يشدو فتعلمي النفس أسرارها عليه فهي اللحنُ من عزفه

ذات صباح طار لا يمهلُ والأرضُ سُكرى من عبير الزهور
على حصاها رنَّهم الجدولُ وفي دواليها تُغنِّي الطيور

ما كان يدري قبل أن ينظرا ما خبأته النظرة العاجله
ما أبدع الحلم الذي صوراً لو لم تشبهُه اليقظة القاتله !

مرَّ بنهرٍ دافقٍ سلسبيلُ تهفو القهاري حوله شاديه
في ضفتيه باسقات النخيل ترعى الشياهُ تحمها ثاغيه

فهاجت النظرة مما رأى في قلبه السحر وفي عينه
الكونُ يبدو وادعاً هائلاً كأنه الفردوس في أمنه

فظلَّ في التفكير مستغرقاً من فتنة الدنيا ومن سحرها
ما كان إلا ريثماً حدقاً حتى جَلَّتْ دنياه عن سرها

رأى بعينه الذي لم يره الذئب والشاة وحرب البقاء
ما عرَفَ القتلَ ولا البصره ولا رأى من قبل لون الدماء !

ما هي إلا صرخاتُ الفزعِ وصيحةُ المقتولِ والقاتلِ
قد انقضى الامرُ كأن لم يقعِ وضاع صوتُ الحقِّ في الباطلِ

وبعدَ ساعاتٍ يُوتلي النهارُ ويقبلُ الليلُ وما يعلمُ !!
سيلبثُ السرُّ وراءَ الستارِ ويختفي الشلوُ ويمحى الدمُ !!

فروغَ الشاعرُ مما رآه وهامَ في الارضِ على وجهه
أين ترى يا ارضُ يُلقي عصاهُ؟ وأيَّ وادٍ ضلَّ في تيهه؟

حتى اذا شارفَ ظلَّ الشجرِ في روضةٍ غناء رُبنا الأديمِ
قد ضحككتُ للنورِ فيها الزهرُ وصفقتُ اوراقها للنسيمِ

إختارَ في الظلِّ له مقعدا في ربوةٍ فانتةٍ ساحره
أذابَ فيها الشفقُ العسجدا وناسمتها النفحة العاطره

بيننا يَجْمِلُ العينَ في سحرها إذ أبصر الصلَّ بها مُطْرِقا
قد انتحى الاطيارُ في وكرها فسامها من نابِه موبقا

هل سمعتَ أذناكَ قصفَ الرعودِ في صخبِ الريحِ ورجفَ البحارِ؟
هل أبصرتَ عيناك ركضَ الجنودِ في فزعِ الموتِ وهولِ الفرارِ؟

إن كنتَ لم تبصرْ ولم تسمعْ فقفْ الى ميدانها الاعظمِ
ما بين ميلادك والمصرعِ ما بين نابي ذلك الأرقمِ !!

جريمةُ الغدرِ وسفكُ الدمِ جريمةٌ لم يخلُ منها مكانُ
يا لجةً كلَّ إليها ظمي قد جاز طوفانك شمَّ القنانِ !

من علّمَ الوحشَ الاذى والقتالَ؟ وبثَّ فيه الشرَّ أو ألهمه؟
من علّمَ الثعبانَ هذا الختالَ؟ والحيوانَ الغدرَ من علّمه؟

يا أرضُ هذا الوحيُّ من ظلمك الطينُ والماءُ به يشهدانُ
ظلمتُ إنسانك ما أظلمك إذ سمته بالامس هجر الجنانِ !

يا ضلّة الشاعر أين النجاة وأين أين المنزل الآمن
أكل وادّ نزلته خطاه طالعه منه الردى الكامن ؟

حتى اذا ضاقت عليه السبيل وعزّ في الارض عليه المقام
أوى الى كهف بسفح الجبل عساه يقضي ليله في سلام

ما كان إلا حلمًا كاذبا أفاق منه مستطير الجنان
البحر يرغي تحته صاخبا والشهب نار والدياجي دخان

الارض من أقطارها راجفه كأنما طاف عليها المنون
تضج في أرجائها العاصفه كأنما الناس بها يحشرون !

ثم استقرّ العالم الثائر وأقبل النور وولّى الظلام
واعجبًا مما يرى الشاعر كأنما أمسى بوادي الحمام !

بدت له الارض كقبر عفا إلا بقايا رمة أو حجر
قد أصبح القاع بها صنفصفا فما عليها من حياة أثر

مررت بالبلدان مستعبرا أبكي الحضارات وأرثي الفنون
أنقاضها تملأ وجه الثرى وكن بالامس مشار الفنون !

أتى على اليابس والاخضر الموج والنوء وسيل الحميم
يا رحمة الله اهبطي وانظري ما حصد الموت ودك العدم !

أيستحقّ الناس هذا العقاب ؟ أم حانت الساعة من نعمتك ؟
ما احتملوا يارب هذا العذاب إلا رجاء الغوث من رحمتك ؟

أما ترى منفرجات الشفاء عن آخر الصيحات من رعبها ؟
ما زال فيها من معاني الحياة إجماعة الشكوى إلى ربها !

وهذه الأعين نهب العفاء في رقدة الموت كأن لم تنسم
محدثات في نواحي السماء تشهدها على الأسى والألم !

وهذه الايدي تحوط الصدور كأنها في موقف للصلاة
لم تنفس في زرع الحياة الغرور ضراعة ترسمها للآلة !

ما عرفت في صعقات الردى إلاك من غوث ومن منجد
ولا سرى في الارض منها صدى إلا ودوى باسمك الأجد !

أعيرة تذكرها كل حين للعالم الذاك إمتا نسي ؟
أم ضربات قاسيات تسلين بهن قلب الفظ والأشرس ؟

أم موجة الطهر التي تغسل مآثم الكون وتمحو أذاه
يارب ضقنا بالذي نحملُ خسبنا آلامنا في الحياة !!

ألم تطهر ذلك العالم من كل عاص أو غوي جموح ؟
ما غادر الموج به قائما يوم احتوى الاعلام طوفان نوح !

إذا فما للناس ضلوا الهدى وأخطأوا اليوم سبيل الرشاد ؟
لعل نوحا أخطأ المقصدا فأغرق الخير ونجى الفساد !!

يا ليت لما دعا بابنه وحالت الأمواج أن يُسمعها
لج عليه القلب في حزنه فلم ير الجودي لما دعا !!

يا أرض ولى عهد نوح وزال فن لك اليوم بطوفانه
مسكنة تطوين بحر الليال قد عزك المرسى بشطآنه !

إلام تطوين عباب السنين شوقا إلى فردوسك الضائع ؟
غررت يا أرض بما تحمين فاستيقظي من حلمك الخادع !!

وابقي كما أنت على وجه تميزق الانواء منك الشراع
يقذفك التيار في لجه عشواء لا يهديك فيه شعاع !

سلي القداسات وأربابها ضراعة تُصغي إليها السماء
أو فاطري بالبت أبوابها لعلها ترفع عنك الشقاء !

يا أيها الغادون والرائحون في شُعب الأرض وليل الهموم
تَمْسُونَ أَشْتَاتًا كما تَصْبِحُونَ والشمس حيرى فوقكم والنجوم!

مَدُّوا لها الأيدي وولُّوا الجباه وأرسلوها صيحةً واحدة
قولوا لها: يا من شهدت الحياة من أين تلك النظرة الجامدة؟

من أين تلك النظرة الهادئة؟ والقسماتُ المشرقاتُ الجبين؟
هل أنتِ من آلامنا هازئة؟ أم أنتِ يا أعينُ لا تُبصرين؟!

أم هكذا أوحى اليك القضاءُ فما عرفتِ الحزنَ والأدما؟
يا أيُّها الناس اضرعوا للسماءِ قد آن أن تُصغى وأن تُشفعا!

هاتوا الأزاهير وهاتوا الغصون وكلَّ ما يحلو وما يجمل
قد آن أن تُفَضُّوا بما تشعرون فأشعلوا النارَ بها أشعلوا!!

أو فاملاؤا من زهرها البانع مجامرَ النارِ وألقوا البخورَ
وردِّدوا في ذلَّة الضارع انفاسكم نشوى بتلك العطورَ

أحبب بها من أنثى طاهرة في مسمع الأملاك إذ تصعدُ
أصداؤها الرفافة الحائرة في وجهها الآفاقُ لا توصدُ!!

يا أرض ناديتُ فلم تسمعي أنكرت صوتي وهو من قلبك
لا تفرقي مني ولا تفرغي من شاعرٍ شاكٍ إلى ربِّك

أيتها المحزونة الباكية لا تيأسي من رحمة المنقذ
لعلَّ من آلامك الطاغية إذا دعوت الله من منفذٍ!

فابتلي الله واستغفري وكفري عنك بنار الألم
وقدَّمي التوبة واستمطري بين يديه عبرات الندم!!

في اي طريق تساق الحضارة؟

الازمة الاقتصادية : بواعثها واحتمالاتها الاخيرة

لاسماعيل مظهر

مقدم

لكل عصر من العصور ، حتى العصور التي ساد فيها الرخاء المالي وتيسرت الارزاق ، ازماته الروحية . غير ان للازمات الروحية مبتدءاً وخبراً كالجلمة الصحيحة في تركيب الكلام . ولقد بدأت الازمات الروحية العنيفة تتكون في بداية العصر الانتاجي ، وظهرت في صور عديدة أهمها انقسام الجماعات الى شطرين كبيرين ، العمال واصحاب الاموال ، وكادت الآن تصل الى النهاية او بالاحرى كادت يكون لها خبراً — ينذر الاجتماع الانساني بانقلاب خطير في نظمه الاقتصادية والمدنية

وللازمات الاقتصادية ازمات روحية تصحبها . حتى ان من شأن الازمات الاقتصادية ان تحدث ازمة روحية لها مظهر خاص . غير ان العوامل الروحية في الازمة العالمية الحاضرة قد بلغت حدًا لن يفلت معه النظام الحاضر من انقلاب خطير . وهذا امر ينبغي على كل باحث في الازمة الاقتصادية واحتمالاتها أن لا يخرجهُ من حساب التقدير النظري الذي يقدره للنتائج التي سوف تجر اليها الازمة الحاضرة

سوف ينتهي النظام الرأسمالي من حيث بدأ . بدأ بالانتاج الصناعي وسيحطمه الانتاج الصناعي . بدأ باختراع الآلات وسوف تقضي عليه الآلات . بدأ باستتباع رؤوس الاموال وسوف تقتله رؤوس الاموال . بدأ بالقضاء على الوحدات الصناعية الصغيرة التي كانت تنتج على قدر استهلاك الاسواق ان لم يكن اقل ، وسينتهي بوحدات صناعية كبيرة ، انقلبت بعد الحرب العالمية من المصنع الكبير الى اتحاد صناعي تختص به كل امة من الامم . فان معاهدات السلم الحربي وضعت في الحقيقة قواعد الحرب الاقتصادية . فالجواز الجمركية احدى نتائج تلك المعاهدات . وادمان التسليح نتيجة اخرى . اما كبرى النتائج فتتجس في ان معاهدات السلم خلقت ممالك جديدة هي عبارة عن وحدات سياسية مستقلة استقلالاً تاماً ، ولكنها لا تكون وحدات اقتصادية مستقلة . فبولونيا مثلاً وحدة سياسية كاملة الاستقلال ، ولكنها لم تكون وحدة اقتصادية بعد . لان نظامها المالي كان متعلقاً بنظام ثلاث دول هي روسيا والمانيا والنمسا . فبدأت تسعى الى نيل هذا الاقتصاد المالي فاخذت تقيم الحواجز الجمركية وتشجع

الصناعات الوطنية الاهلية. فترتب على ذلك نتائج ثلاث. الاولى زيادة الانتاج في بولونيا. الثانية قلة الاستهلاك والصادر، لان غيرها حذى بالضرورة حذوها في الانتاج. الثالثة فقدان متاجر العالم سوقها في بولونيا للحواجز الجمركية التي رفعتها حولها. وكذلك الحال اذا نظرت في كل الممالك الحديثة التي خلقتها معاهدات السلم. وهذا « الاحتكار » لا بد ان يقابل من بقية دولات العالم القديمة باحتكار مثله. وحتى نحن في مصر بدأنا نحتكر اسواقنا تحت ضغط السيل الجارف في اوربا. فكأن العالم كله يناصر الآن عوامل الازمة الاقتصادية، ويقوي في النفوس بواعث الازمات الروحية. وكأن المدنية تعود الى الصورة القديمة التي نشأت منها الحضارة الحديثة. تعود الى نظام الوحدات الانتاجية المستقلة. ولكنها بعد ان كانت في « البيت » أصبحت في المعمل ومن المعمل الى مجموع معامل تشملها مملكة واحدة، مستقلة استقلالاً سياسياً، ولكنها غير مستقلة استقلالاً اقتصادياً. وفضلاً عن هذا فهي تنتج اكثر مما تستهلك وتكدس البضائع والاموال، في حين ان البضائع لم تصنع الا لتستهلك، والاموال لم تكن الا للتعامل

كيف نشأت الحضارة الرأسمالية

جرت عادة الباحثين ان يقسموا تاريخ نشأة النوع البشري الى عصور يمتاز كل عصر منها باستعمال مواد مخصوصة يدل استعمالها على ان الانسان قد بلغ طوراً خاصاً من الرقي والنماء. ولقد ارضى هذا التقسيم كل الباحثين في نشأة الانسان وتكوين الشعوب، لان ذبوع استعمال مادة من المواد قد اتخذ دليلاً على ان الانسان قد بلغ من الرقي مبلغاً يقاس به مقدار نمده والتساع أفق معرفته وثقافته. ومع هذا فان انتقال الانسان من عصر استعمال الحجر النخس الى العصر الطراني القديم ومنه الى العصر الطراني الحديث، ومنها الى استعمال النحاس ثم البرونز ثم الحديد، ولو انه يدل على ان الانسان استطاع ان يتقدم في اطوار متمايزة محدودة، فان هذا التقدم لا يمكن ان يعتبر تطوراً اساسياً عنيفاً في الحالات التي قامت عليها الحياة البشرية. وظلت الحياة البشرية قائمة على الاسس التي قامت عليها منذ ان درجت جماعات الانسان البدائية فوق هذه الارض وعلى مدى الازمان التي تقلب الانسان خلالها في حجر الدنيات المتعاقبة. ولقد يظهر الامر عجباً مذهلاً اذا انت عرفت ان الانسان ظل يعيش ويعمل على نفس القواعد البدائية التي وضعها اسلافه منذ اقدم العصور التي يرجع اليها تاريخه الطويل حتى نهاية القرن الثامن عشر، ولم يستكشف خلال تلك الدهور الطويلة من استكشاف استطاع به ان يؤثر في الرابطة التي تربط الانسان ببيئته الطبيعة. فنذ بدءاً العصر الطراني قاوم الانسان الطبيعة بقوة عضلاته، وحاول ان يذلها بمهارته مع الاستعانة عليها بالحيوانات التي استطاع ان يؤلفها حتى ذلك العهد. وظل الانسان على هذه الحال حتى شارف القرن الثامن عشر على الانتهاء

غير ان حادث عظيم وقع اذ ذاك في حياة الانسان فنكت فتل وقلب آيته وغير موقعه من الطبيعة تغييراً كلياً . فقد استكشف او بالاحرى اخترع « الآلة » التي تدار بالقوة الذاتية « اي الاتوماتيكية » . وان شئت فقل انه استطاع ان يبعث من العدم قوات جديدة خارجة عن قوة عضلاته وعن قوة الحيوانات التي كان يستخدمها في العصور الاولى ولم يقف الامر عند هذا . بل انه استطاع ان يبعث من تلك الآلات « قوات » عظيمة لا تعرف حداً اتقف عنده ولا نهاية تنتهي اليها . وامكنه مع هذا أن يخضع هذه القوات لا لقوات تماثلها ، بل لافراد من نوعه ، واذا شاء فلارادة فرد واحد ، وتسنى له ان يحبس هذه القوات في اقل فراغ ممكن من المادة وسخّرها لارادته المطلقة تسخييراً

وكان الانقلاب عظيمًا . فان علاقة الانسان ببيئته الطبيعية قد تغيرت تغييراً كلياً . فقد تبدل من الضرورة التي كانت تدعوه الى مغالبة الطبيعة ومجالتها بقوة عضلاته ، عزلة بعيدة عن الطبيعة فيقف دونها ينظر نظراً المتفرج الى آلة مستعبدة قد استخزنها قدراً عظيماً من القوة تتحرك كيفما شاءت ارادته . فنجذب ذراع حديدي او ضغط على زر بسيط تدوي الآلات دويها الدائم وعلى غير انقطاع . وهذا انقلاب لم يشهده الانسان في كل ادوار تاريخه القديم والحديث . ولم يبلغ اي انقلاب انساني من الاثر مبلغ هذا الانقلاب . وحتى اختراع المطبعة واستكشاف المفترقات . فانها من المخترعات التي غيرت من علاقة الانسان بالانسان ، ولكنها لم تؤثر في علاقة الانسان بالطبيعة اقل تأثير

ولكن كيف استطاع الانسان ان يتخلص من آثار النظام الاقطاعي الذي قمع كل فكر ونكل بكل حافزة من حوافز الهممة الانسانية ، ليفوز في النهاية بالحرية التي مكنته من ان يعيش لنفسه فيؤسس الصناعات ، ويخترع في النهاية تلك الآلات التي كونت وجهاً جديداً من اوجه المدنية التي لم يعهد لها الانسان مثيلاً من قبل ؟ والواقع ان الانسان بدأ يكون النظمات التي أدت الى تحريره منذ أن أخذت الامبراطورية الرومانية في الانحلال ثم السقوط استولت الامبراطورية الرومانية على اطراف العالم المعمور او بالاحرى المعروف حتى ذلك العهد . فعمرت نواحي مقفرة في اوربا والشرق وكانت مظاهر العمار والتمدين على ادوعها فيما جاور روما من بلاد ايطاليا وفيما جاور ايطاليا من اوربا . فهدت السبل وانشئت الطرق العسكرية في نواحي الغال وفرنسا ، وامتدت الى جبال الألب حتى سهول ايطاليا الشمالية . وبنيت المدائن العظيمة على ضفاف الرون والسين ، واقامت السدود المائية العظيمة واقامت معاهد العلم والمكاتب العامة والهيكل . ولقد تناول التمدن الروماني كل ناحية من نواحي الشعوب التي استقوت عليها روما حتى ان اهل بلاد الغال وغيرها من البقاع الاوربية التي نشر فيها النفوذ الالمانى ، كانوا يفخرون بانهم رومان لحماً وعظماً ودماً

غير انه فيما وراء نهر الرين كانت تعيش قبائل من البرابرة المتوحشين كان افرادها كثيراً ما يعبرون النهر جماعات كبيرة وينهبون ما تصل اليه ايديهم من مغاني تلك البلاد التي كانت حضارتها مائة أممهم على ضفة النهر الاخرى . غير ان التخوم كانت تحميها سلسلة متصلة من المعسكرات الرومانية . ولكن هؤلاء «الامان» لم تكن لديهم من عدة السلاح والدروع ما يستطيعون به الاستقواء على الفيالق الرومانية الكاملة العدة التامة الدربة . وعاش اهل الغال كما عاشت بقية الشعوب التي ظلتها النفوذ الروماني في أمن ودعة ، ففقدوا مع الزمان صفاتهم الحربية ، مكتفين بان يؤدوا الجزية لروما ، ما دامت روما قائمة على حراسهم والدفاع عن تخومهم ان يحتاجها قبائل الامان المتوحشة

ولكن جاء عصر اخذت يد التبديد تمتد فيه الى الجزية التي كانت تؤديها الشعوب الحكومة لروما . فلم يكن يرتد منها شيء الى تلك البلاد لينفق على التعمير والانشاء او الاتفاق على الفيالق العسكرية التي كانت تقوم بمهمة الدفاع عن اطراف الامبراطورية . ونضب بعد ذلك معين الذهب الذي كان يسيل الى روما من نواحي الامبراطورية الشاسعة الاطراف فأخذ الفقر ينوء بقوته ويشرف بهامته البغيضة على حكومة روما ، ومع هذا ظلت حكومة روما على اسرافها وتبذيرها المعروف . فالجرس «البريتوري» كان يجب ان يتناول مرتباته . والعاطلون الذين كانوا يملأون شوارع روما من الغوغاء واهل اللهو ، كانوا لابد من ان يطعموا خبزاً ولحماً شواءاً ، ويستنبروا باغلى انواع الزيوت ويلهوا في انغم المراقص ويتسلوا بمختلف المشاهد . كما هي الحال الآن تماماً في اكثر ممالك العالم المتمددين . فعمدت حكومة روما الى الضرائب تزيد منها وتستزيد ، واضطراً حكام الاقاليم بحكم القوة ان يزودوا روما بمبالغ من المال كبيرة تلقاء احتفاظهم بمناصبهم وبقائهم فيها اسواط عذاب على الناس . كما هي الحال تماماً في بعض نواحي العالم الآن . واخذت التهم تلتقي جزافاً على الاغنياء لتكون وسيلة الى مصادرة املاكهم . واخذ البوليس الحكومي يجمع الغلال من الغيطان بالقوة مدداً لضرائب الحكومة الفادحة . فخربت المزارع الفاخرة واقرت الغيطان العامرة ، لان الناس قد عرفوا بالتجربة انهم انما يعملون لغيرهم ، وان ثمار مجهودهم قد يؤخذ منهم في اي وقت من غير سابق انذار ومن غير حق . واخذت مظاهر الخراب تبدو شيئاً بعد شيء . فنبتت الحشائش الطفيلية في مزارع القمح المهجورة ، وخربت المدن وبدأت النباتات تنمو في طرقها ومسالكها ، وفوق جدرانها وهياكلها ، وأخذت الوحدات الرومانية التي كانت تقوم بحراسة بلاد الغال من غزو البرابرة ، تنحل وحدة بعد اخرى ، ثم اخليت من الجنود ، لان الحكومة عجزت عن ان تحتفظ بالفيالق التي كانت تحرس شواطئ نهر الرين من غزو «الامان» . ولم تكذب تخلو المعسكرات من الخوذ الرومانية ، حتى انهم في اثرها سيل عرم في محاربة البرابرة ، يحتاجون

المدينة التي أقامها قيصر ، ويعبثون بالقوانين المقدسة التي شرعها روما العظيمة وكانت الجيوش الغازية مكونة من رجال احرار ، لاهم بالجند المنتظم ، ولاهم بالعبيد . بل كانوا محاربة تتبع ضابطاً مغامراً او رئيس قبيلة لها في الحرب علمها وتقاليدها . وكانت الغنائم التي تستولى عليها كل جماعة منهم ملكاً لها وتقسم بين افرادها على قاعدة مرعية . وكانت حصّة المملوك من الغنيمة كبيرة ، ولكنهم ما كانوا يحصلون على اكثر من حصتهم فيها . وكان المحاربون الذين لا يرتدون بعد الغزو الى بلادهم الاصلية ، ويفضلون البقاء في الارض المغزوة ، يقسمون الارض فيما بينهم كما يقسمون الاسلاب الاخرى من مواش وعبيد وذهب وحلي وأوان وأبسطة وأقشة وغير ذلك . وكان جزء كبير من الارض يبقى من نصيب الملك . واجزاء اخرى تقسم بين القواد والضباط على نسبة عدد الرجال الذين يتبعونهم الى ميدان القتال . وكل جندي ينال من الارض حصته بالتساوي مع غيره من الجنود . غير ان الجيش المحارب ولو انه يكون في هذه الحالة قد انحل ، الا انه لم يمح من الوجود . فان افراده يبقون خاضعين للقانون العسكري . وكان القواد او « البارونات » يبقون تابعين او خاضعين لسلطة الملك اذا هو دطام الى القتال ، كما كان الجنود يظلون خاضعين لقوادهم وضباطهم . وكثيراً ما كان يحدث ان يعطي الملك او البارون قطعاً من الارض الى المقرين منهم او صنائعهم بشروط تشابه شروط التبعية الحربية التي شرحتها . ثم تغير الحال بعد ذلك فاستبدلت التبعية الحربية بقيمة من المال تدفع سنوياً كبديل حربي تلقاء الانتفاع بالارض وبذلك بدأ نظام « الايجار » يدخل في النظام المدني ، ونظام الايجار هو الذي كون طبقات البورجوا والبرولتارية ، كما عرف في المباحث الاشتراكية الحديثة ولما غزا الالمان نواحي بلاد الغال الفسيحة واستوطنوا اطرافها ، اخذوا يحصنون القصور القديمة او بعض المدن الصغيرة ويتخذون منها معقل يحتمون بها ويستجمعون فيها ثرواتهم . وليس لنا من شأن هنا بشرح الحياة العائلية التي كانت تحياها البارونات داخل هذه القصور ولا أن نمدى في شرح حال الفقراء من المزارعين . بل شأننا يرجع الى الكلام في تأسيس نظام « الايجار » وهل له من علاقة بنشوء الصناعات اليدوية والصناع . والذي يتبادر الى الذهن ان قيام نظام « الايجار » في أوروبا كان له اثر مباشر في نشوء الصناعات وظهور فكرة الصناع . لان المعقول ان يكون المستأجر لقطعة من الارض اكثر حرية فيها مما لو كان تابعاً تبعية حربية لرئيس حربي . وانه في هذا الجو يمكن ان تنشأ الصناعات بازدياد توزيع الثروة والاخذ الى حياة مدنية اكثر استقراراً من الحالة الحربية . ولكن الحقيقة على الضد من هذا . ففي عصر الجمهورية الرومانية وفي عصر الامبراطورية ، انحصرت الصناعات ، رفيعة ووضيعة ، في يد العبيد . فكانت كل الحاجيات التي يحتاج اليها في القصور تصنع في هذه القصور ويبد صنع من العبيد مرنوا عليها واتقنوها . غير انه قبيل الغزو الالمني لنواحي الامبراطورية الرومانية

نشأت طبقة من الصناع على جانب عظيم من المهارة وحبّ الاتقان ، يحتمل ان يكونوا من سلالة العبيد الذين تحرروا من يد اسيادهم الرومان في عصر الانحلال . غير ان المؤرخين ، وذوي الرأي منهم على الاخص لا يسمون بهذا الاحتمال تسليماً مطلقاً ، وان كانوا يرجحونه مع ميل شديد الى القول بأن نشوء الصناعات والصناع صفة غامضة في تاريخ اوربا . وبنشوء الصناعات اليدوية وظهور الصانع من ناحية ، وثبتت مبدأ الایجار الزراعي من ناحية اخرى ، تكونت المدنية الحديثة وظلت على صورتها الوادعة الهنيئة حتى اختراع الآلة الميكانيكية في اواخر القرن الثامن عشر ،

ولا شك مطلقاً في ان كل الانقلابات التي انتابت المدنية الحديثة والتي روينها طرفاً منها ، لا تزن شيئاً بجانب الانقلاب الكبير الذي تناول مسألة «الانتاج» و«العمل» ، ذلك الانقلاب الذي يسمى عند مؤرخي العصر الحديث «بالثورة الصناعية» والسبب في هذا انه انقلاب تناول اعماق الحياة البشرية . فان اثره لم يقتصر على حياة العمال وحالات الصناعة واساليب الانتاج ولم يقف عند حد تغيير المنتوجات التي كان يستعملها الانسان ، وطبيعة البيئة واخلاق العامل ، بل تعدى كل ذلك الى دولا ب الجماعات انفسها ، اذ احدث نظامات جديدة اصبحت على اعظم جانب من الخطورة للحياة الانسانية ، وقضى على نظامات قديمة سايرت خطى التقدم الانساني منذ فجر التاريخ ، فكان هذا الانقلاب بطبيعته اكبر ثورة اجتماعية وقعت للانسان . وبدأت في الافق سلسلة من المؤثرات يتلو بعضها بعضاً على التوالي ، وليس يعلم احد الى أي غاية سوف تؤدي بأبناء آدم وحواء

انحصر الانتاج الصناعي قبل «الثورة الصناعية» في ايدي الافراد . وكان المنتج صانعاً مستقلاً ويعني به صانع يستطيع ان يخرج من مقدار من المادة الخام سلعة من السلع . كما كان توزيع العمل مقصوراً على مقدار ما يحتاج اليه كل صانع من مهارة غيره في صنع المادة التي تنحصر فيها صناعته . وكان اكثر المنتجين ، او كان عدد كبير منهم هو الاغلبية المطلقة من الصناع المشتغلين الذين يخرجون من بين ايديهم مصنوعات كاملة يبيعونها مباشرة او بواسطة العملاء . فكانوا يعملون تحت تأثير حالات هم اصحاب الحرية المطلقة في خلقها وتكوينها ، ويحددون بمحض اختيارهم مقدار الرمح الذي يظنون انه يتكافأ مع جهدهم . وكانوا في حالات اخرى اشبه بالهاجرين الذين يعملون طوال هجرتهم بأجر معلوم محدود . ولكنهم كانوا دائماً يجدون عملاً ان لم يكن كل بمفرده ، ففي جماعات صغيرة في حوانيت متوسطة السعة . فاذا كانوا اجراء ، كان صاحب العمل الذي يأجرهم صانعاً مثلهم يقف موقفهم ويعمل عملهم . ولم تكن المؤسسات الكبيرة لتخرج عن حكم ذلك . فان «وجود» صاحب معامل الخزف المعروفة في اتروريا وجد «شارلز داروين» المعروف ، كنا امهر الصناع في مؤاسستهما الشهيرة (لها تقمة)

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبند

معرض المذاهب السياسية

والآن وقد وصلنا الى معالجة المذاهب السياسية الحديثة التي لها اتصال وثيق بالجيل الذي نعيش فيه فقد رأينا اختصاراً للوقت وجمعاً لشمل الموضوع المتشعب وتسهيلاً على القارئ ان نكون اكثر تقييداً بالخلاصة البديعة التي نشرها الاستاذ (كول) في « موجز المعارف الحاضرة » الا حيث تلجئنا الضرورة الى ذكر ما لا يحيد عن ذكره

هيجل وماركس : بينا كان (جرمي بنم) يؤيد مذهبه الفردي في بريطانيا ويقول باعطاء اكبر قسط من السعادة لأكثر عدد من الافراد كان (هيجل) الفيلسوف الالماني المتوفى سنة ١٨٣١ ينشر في القارة الاوربية مذهبه وهو ينطوي على تمجيد سلطان الدولة وحمل الفرد على أن يحقق وجوده وينشد سعادته ليس في مصلحته الفردية فقط بل فيما يبذله للمصلحة العامة من المساعي في الدولة وهو الاثم. وفي نظر (هيجل) ان الدولة سر الاسرار وقدر الاقداس يجد الناس فيها اطيب الحياة ويحققون اسمى الغايات لاغروا انه الخ في القول بوحدتها واطلاق يدها والخضوع لمشيئتها مما يؤيد النظام الاستبدادي الاوتوقراطي ، ولما ذكر اختلاف مواهب الناس فيما لهم من طاقة على خدمة الدولة ايد العظماء لانها قائمة كما ذكرنا على ما تدعيه من ميزات تميزها عن سائر الخلق وتجعلها اهلاً للتحلي بادارة الدفة السياسية. وعنده ان الحكم على اهلية الدولة يتوقف على مقدار قوتها فهو والحالة هذه ممجد للحرب مؤيد للبسطة السياسية باعتبارها وسيلتين تتوسل بهما الدولة لتحقيق وجودها. ولما كانت الدولة في فلسفته هي ائمن مشروع اخرجها الناس الى حيز العمل فلا بدع ان هزأ بنظرية «تآخي الانسان» وضحك من القول بتأليف «الاسرة البشرية» على سطح الارض. وائى له مثل هذه العاطفة وعنده أن الدولة الواحدة مصفوفة في وجه الدولة الاخرى صف الجيوش المتبارزة للقتال اما مذهبه في الارتقاء فيلخص في قوله ان الاصل في الاشياء هو «الفكرة» وان المادة انما هي صورة منعكسة عنها ويتم الارتقاء بتحقيق هذه «الفكرة» بصورة تدريجية طريقها ان يحصل تنازع في كل مرحلة بين الفكرة السائدة المتغلبة والفكرة التي تناقضها الى ان

تولد من هذا الخصام بين الفكرتين مزيج من القديم والحديث — يعني الى ان تتولد فكرة جديدة من ازدواجهما معاً تتفوق عليهما كليهما ولكنها محكوم عليها بالانهزام ايضاً امام ما يستجد من الافكار بطريقة هذا التنازع بين الافكار المتناقضة

﴿كارل ماركس﴾ استعار كارل ماركس رسول الاشتراكية هذه النظرة النشوية التدرجية ولكنه عكسها رأساً على عقب فهو لم يعتد «بالفكرة» ولا حسبها اصل الاشياء كما فعل (هيجل) بل قال ان العامل المؤثر في النشوء الاجتماعي هو (القوى المادية المنتجة) التي تجهز بها الجمعية البشرية — يعني ان ينابيع الثروة التي يستخدمها الانسان من اراض وآلات واجهزة... كل ذلك يكسب الناس شكل الحياة الاجتماعية التي يتمتعون بها فتكون الافكار المنتشرة بينهم نتيجة ما هم عليه من الطرائق الانتاجية التي توصلوا اليها، فاذا كانت هذه الطرائق راقية دقيقة التركيب وكثيرة المحصول فالحياة الاجتماعية راقية على نسبتها والعكس بالعكس. فلا عجب ان تكون البلاد الصناعية ارقى من البلاد الزراعية وهذه ارقى من بلاد المراعي. واختلاصة ان (ماركس) يقول ان وسائل الانتاج في المجتمع وما يبنى عليها من العلاقات بين الناس تؤلف النظام الاقتصادي في الهيئة الاجتماعية وهذا النظام هو العامل الاساسي في تكوين النشوء العقلي في الشعوب. فهيجل كما ترى ابتداءً بالعقل وجعل المادة صورة منعكسة عنه. ويدعى مذهب ماركس في الفلسفة «التعليل المادي للتاريخ» وقد أبان فيه الاطوار التي مرت عليها المجتمع منذ ما استولى على شؤونه اصحاب الاراضي الواسعة الى ان هبت الثورة الصناعية والتجارية فانزعجت الشيء الكثير من سلطتهم وانتهت الحال باندماجهما معاً في ادارة الحكم، ثم شبت الرأسمالية الصناعية وعملت جهدها لاستثمار ينابيع الثروة في الشعب مما حملها على حشر الالوف المؤلفة من العمال في المصانع وتدريبهم على النظام العملي المنتج. لكن عملها هذا اتاح لهم من القوة والفرصة ما ينظمون به انفسهم في وجه اسيادهم الذين استخدموهم، واختلاصة ان اضطرار الرأسمالية الى اتفاق مجهودها للحصول على اعظم الارباح ادى الى نهضة العمال وانتشار مذهبهم الاشتراكي وما ينطوي عليه من تهديد يقض مضاجع الرأسماليين ودعاويهم الطويلة العريضة. وقد تنبأ ماركس عن العمال بقوله ان هذه الطبقة الخاضعة التي لا يحق لاحد ان يمنعها من تنظيم نفسها او يحول دون صيحاتها العالية بالاحتجاج ستثقل عروش الرأسماليين وتقضي على رأس المال باعتباره نظاماً اقتصادياً تعيش تحت لوائه الشعوب. وستفعل ذلك لانها على قوله اصلح من الرأسماليين في استثمار ينابيع الثروة واستخراج خيراتها، وتغلب هؤلاء «الصعاليك» او «المساكين» لا تبقى ثمة طبقة مأكلة لغيرها، ومتى تألف المجتمع الخالي من الطبقات يزول الاستثمار وتزول معه حكومة الطبقة لتحل محلها الادارة المشتركة العامة التي تدير ينابيع الثروة في الشعب لمصلحة الجميع. وعلى العمال

ليس فقط ان يقبضوا على زمام الحكومة الحاضرة ويستخدموها لغاياتهم بل ان يحقوها محقاً هي الطبقة الاقتصادية المستولية عليها ويحاولوا محاسنها نظاماً يؤسسونه من جديد. وهنا تبتدى الاختلافات بين الاشتراكيين فكل حزب منهم يولي وجهه شطراً — يعني ان اتفاق كلمتهم على ضرورة محق حكومة الطبقات تنفك عراها حالما يبحثون عن النظام الجديد الذي يجب ان يحل محلها وكيف يجب ان يتم التغيير، فللاشتراكيين الديموقراطيين رأي سلمي تدريجي يتحقق بواسطة الانتخابات النيابية والشيوعيين رأي انقلابي قائم على الثورة العالمية

ولد (كارل ماركس) في مدينة (ترير) بالمانيا في سنة ١٨١٨ ودرس الفلاسفة والحقوق في مدينتي (بون) و(برلين) ونال شهادة الدكتوراه في (بيننا) سنة ١٨٤١ وقد اضطهده بلاده من غير أن تعرف ما سيكون من أمره حتى اضطر الى الهجرة منها فاجتمع في (بارن) بأهم أصدقائه (انجلس) وفي سنة ١٨٥٩ وهي السنة التي امتازت بظهور كتاب «أصل الانواع» لدارون نشر ماركس كتابه «الذيل لنقد الاقتصاد» وقدر لكل من هذين الكتائين احداث ثورة في دأثرته: ذاك في علم الحياة وهذا في علم الثروة العمومية. ويعد «البيان الشيوعي» الذي نشره ماركس بالالمانية في سنة ١٨٤٨ — وهو في خمس وعشرين صفحة — اول نص عاجل الاشتراكية بطريقة علمية واضحة واخرجها من صف الفلسفة الخيالية والاحلام الذهبية، وقد ختمه بالوعيد المشهور: فلترتعش فرائص الطبقات الحاكمة عند شبوب الثورة الشيوعية، اما الصعاليك فليس لديهم ما يخسرون سوى السلاسل والاغلال ولكن امامهم دنيا يربحونها. اتحدوا اليها العمال في الآفاق

✽ مذهب النشوء والاضاع السياسية ✽ عرضنا لدارون وأشارنا الى الثورة التي أحدثها مذهبه في علم الحياة وظن الناس لاول وهلة ان مذهب النشوء سيحل معضلة السياسة ولكن نظرة واحدة في المذاهب المتباينة التي قال بها أئمة هذا المذهب تدل على خطأ أهل هذا الظن فسبسر غالى في «الفردية» كما غالى (جرمي بنثم) من قبله، ومعظم النشويين السابقين نظروا الى المجتمع وحدة او كتلة عضوية اكثر منه وحدة نفسانية اجتماعية. واهتم سبسر منهم خاصة بتنازع البقاء بين الناس فلا عجب ان يتصور الجمعية البشرية ميداناً يتصارع فيه الافراد فلا تكتب السلامة فيه الا للإصلاح او الأقوى ولكن زميله (توماس هكسلي) عدّ المجتمع أداة مستحدثة في التدرج العضوي غايتها الحيولة دون هذا التنازع ومنعه من ان يظأ الافراد بقديمه القاسيتين من غير رحمة ولا شفقة. لذلك كانت وظيفة هذه الاداة الاجتماعية المستحدثة الاشراف والتنظيم والتدخل لتحويل الجمعية البشرية من دغل موحش الى حديقة غناء.

اما (البرنس كروبوتكن) الروسي وهو من اعلام النشويين المتأخرين فقد خطا في هذا المضمار خطوة اوسع اذ حاول في كتابه «التعاون» ان يستخرج للاشتراكية اساساً مما تقتضيه الضرورة الحيوية البيولوجية من التعاون بين الناس كما بين الحيوانات، وتمسك غيره بالقول

ان المجتمع جسم عضوي ذو دماغ هو الحكومة فالواجب ان تخضع سائر الاعضاء لسلطة هذا الدماغ. وتدل الدلائل على ان هذه الطريقة النشوءية الاشتراكية التي قال بها البرنس كروبو تكن كانت أشد نفوذاً في أثرها من الطريقة الفردية التي تمسك بها سبنسر واخوانه على ان الاسترسال في التشابه الحيوي بين المجتمع والجسم العضوي واغفال شأن العامل النفسي في جمع البشر وضم بعضهم الى بعض جعل مذهب النشوء قليل الفائدة . ولا مرأ ان الطبيعة العامة في أهل التحقيق تمل الخيالات والاستنباطات المتطرفة خصوصاً ما بني منها على التشابه السطحي . لا جرم ان العلماء طرّقوا باباً جديداً لدرس المجتمع اساسه درس الحالة الراهنة وتصنيف الاوضاع البشرية ومقارنتها ببعضها ببعض ودرس بناء العقل الانساني وفهم الطريقة التي يسير عليها السياسة وعلم الانسان والنفس * لقد زدنا درس الاوضاع الاجتماعية الماضية والحاضرة منذ الانسان الاول الى اليوم بمعلومات نفيسة ، وكان لعلم الانسان في هذا المضمار النصيب الاوفر فانكشفت لنا عقلية الشعوب الفطرية ذات المدنية الابتدائية وظهرت نظمها الاجتماعية مما أهاب بعلماء السياسة المتأخرين الى الابتعاد عن الطريقة المنطقية والالتزامات العقلية النظرية في معالجة مثل هذه الشؤون وحدا بهم الى الاعتماد على «الحالة الراهنة» التي نجد عليها هذه الاوضاع سواء في الشعوب الراقية أم الشعوب الابتدائية . وان هذا الميل الى الامر الواقع امتزج حالاً بالملاحظات المتوفرة من درس النفس على هذه الطريقة الراهنة أيضاً التي لا شأن للتحكم العقلي فيها . وكان من نتائج هذا الدرس العملي ان أصبح العلماء في شك (اولاً) من كل جواب يزعم أصحابه انه مقنع يفي بالرد على السؤال: «ما هو الشكل الصحيح العام الذي يتخذه التنظيم الاجتماعي بقطع النظر عن الزمان والمكان ؟» (ثانياً) من كل محاولة لفهم القضية السياسية على الطريقة العقلية المجردة . ولا يعني هذا الكلام ان علماء النفس والانسان طلبوا العقل بتاتاً في هذه الدروس بل ان بعضاً منهم كالاستاذ (ولاس) العالم المشهور هم من أهل المنطق البحت لانهم رأوا في اشراف العقل على الحياة الاجتماعية اوضح علامة على ارتقاء المدنية والامل الاكبر المعول عليه في النجاة . ومع كل هذا الاعتماد على العقل في ترتيب العلاج ومقاومة المرض فقد حملتهم المباحث الجديدة التي ذكرناها على النظر الى سير العمل في المجتمع البشري القديم والحديث بعين اقل احتفالاً بالمعقول والمنطق واكثر اعتداداً بالجزء اللاعقلي او الكيفي في البشر باعتباره عنصراً ضرورياً لتدوير دفة العمل في أية جمعية بشرية كانت . وفصارى القول انهم عرفوا أن الجزء الاعظم من اعمال البشر الاجتماعية هو بالضرورة غريزي اكثر منه عقلي ، وان الحكم على اشكال التنظيم الاجتماعي والسياسي وما فيها من الخطط ليس بطريقة المنطق الاستنتاجي بل بنسبة ما لهذه الاشكال والخطط من الوقع الحسن في الغرائز والشهوات * التوحيد في الدين والشرك في السياسة * الاديان الراقية في العالم موحدة تؤمن بمرجع

أخير واحد ولكن السياسة على العكس تميل الى الشرك في هذا العصر . وقد دلّتنا ابحاث العلماء في مجتمع القرون الوسطى على شأن بعض الاوضاع والجمعيات التي اعربت عن الشعور الشعبي العام في تلك الازمان من غير ان يكون للدولة دخل في احدثائها او في تنظيمها مما يفيد ان الدولة عامل واحد فقط من جملة عوامل متعددة في ادارة دفعة الاعمال السياسية الاجتماعية وان كانت في الواقع أهم عامل من هذا القبيل ، فلا عجب ان حلّ الشرك السياسي محلّ التوحيد في اذهان الباحثين ولم يعد للدولة تلك الوجدانية المستقلة المتصرفة في شؤون الخلق . بل صار لها شركاء من الجمعيات المتنوعة التي يؤلفها الافراد باختيارهم في داخل الدولة وتأييدت هذه النظريات الاستقرائية التاريخية في عصرنا بما استجدّ من النقابات الصناعية والمتحدات التجارية وتأثيرها السياسي خصوصاً تلك المؤسسات الرأسمالية الكبرى بحيث رأت اوربا واميركا انها وان كانت قادرة على وضع القوانين المتعلقة بهذه المؤسسات وادارتها الا انها متى بلغت درجة التنفيذ وجدت نفسها عاجزة لا قبل لها بمقاومتها مقاومة صحيحة وانزالها على حكمها . واكتفى المشرعون في العصر الفكتوري في انكلترا بأن ينظروا الى المتحدات التجارية انها نقابات تكرمت عليها الدولة بالتمتع بحق الوجود وان ليس لها من الحقوق الا ما جادت به عليها تفضلاً ، بيد ان هذه المتحدات اخذت تثبت استقلالها مدعية حق العمل باسم اعضائها ولو بالاضراب رغم الاوامر الرسمية

وتبدو للنظر في غضون السنوات الاخيرة التي سبقت الحرب الكبرى موجة من اضطراب للعمال اكتسحت العالم الصناعي وحملت بين طياتها عداء لفكرة الطريقة البرلمانية القديمة . وقد انبعثت هذه الموجة من نظريات ترمي الى بناء الحياة الاجتماعية المستجدة ليس على الاساس البرلماني القديم بل على المتحدات والنقابات وغيرها من الجمعيات الاقتصادية في جوهرها القائمة على فكرة العمل او الوظيفة باعتبارها مصدر الحياة في المجتمع ، فهذه الديمقراطية (الوظيفية) بما لها من البناء الاجتماعي المتنوع اخذت تتحدى النظرية الديمقراطية البرلمانية القديمة وما استندت من القول «صوت واحد للفرد الواحد» لان هذا «الصوت» يجب الا يعطى للفرد باعتباره فرداً بل للفرد باعتباره عاملاً منتجاً . ولم تمر هذه الموجة من غير ان تترك أثراً ظاهراً في خارج الحلقات الاقتصادية الصناعية ، حتى ان زعماء الدين في ديار الغرب اخذوا يؤيدون استقلال الكنيسة وضرورة خروجها من وصاية الدولة كما تنحوا كثير من الجامعات العلمية الكبرى هذا النحو ايضاً ، وينفخون فيها روحاً جديدة باعطاء الدين مقاماً في حياة المجتمع مستقلاً عن حياة الدولة ومعادلاً لها في مستواها ، وكانت هذه السنون حافلة بالخطط العملية والنظرية لبناء حياة المجتمع ليس على قاعدة «صوت واحد للفرد الواحد» بل على اعتبار الجمعية البشرية مركباً متناسباً مؤلفاً من وظائف متنوعة كل منها يحتاج الى تنظيم خاص (البقية في باب الاخبار العلمية)

أشراف بلاد العرب

أشراف أبو عريش وآل عائض والادارسة^(١)

لفؤاد حمزة بك وكيل خارجية الحجاز

— أشراف أبو عريش —

إن تاريخ أشراف أبو عريش قديم غير أن معلوماتنا عنه ناقصة جداً . ويرجع أساس الشرافة الى الاختلاف الذي كان سائداً بين سكان جبال اليمن وعسير وسكان التهامم . فالأولون تشيعوا وتبعوا الامام زيد بن علي وظل أهل التهامم شوافع سنيين . فنشأ عن الاختلاف مشيخات قبائلية موضعية في أماكن عديدة أهمها حكومة زبيد التي كانت تشرف على شؤون الشوافع في تهامتي اليمن وعسير وتدفع أئمة صنعاء الزيديين عنهما

بدأت شرافة أبو عريش تظهر منذ احتلال الجيوش العثمانية لجنوبي الحجاز ولعسير واليمن في عام ١٠٠٦ هـ (١٥٩٧ م) اتفق مشايخ تهامة وفيهم شريف أبو عريش على القيام ضد الوالي العثماني حسن باشا الذي تولى من ٩٨٨ — ١٠١٣ هـ^(٢)

وجيز الترك حملة بقيادة أحد موظفيهم واشترك فيها بعض أشراف أبو عريش وصبيا للاستيلاء على صعدة ، فالتقى بها جنود الامام الزيدي قبل وصولها وأفنوها وهرب قائدها الى الساحل عام ١٠٢٤ هـ^(٣) . وفي عام ١٠٤٤ هـ ، ثار امام صنعاء على العثمانيين وتمكن صالح بن احمد المؤيدي من ضبط أبو عريش من أيديهم ومن الاستيلاء على صبيا والحاقها بالامام الزيدي^(٤)

وبعد ذلك بخمس سنوات ارسل والي مصر قائداً جديداً الى اليمن اسمه احمد قانصوه فتمكن من استعادة البرك وصبيا وأبو عريش من أيدي أئمة اليمن الى حظيرة الدولة العثمانية^(٥)

وتنقطع عنا اخبار شرافة أبو عريش الى اوائل القرن الماضي حينما ظهرت الدعوة السلفية في نجد على يد حكومة آل سعود الاولى . فان الدعاة نشروها بين قبائل عسير وجنوبي الحجاز وتبعها أكثر قبائل عسير السراة وعسير تهامة ، وكان سعود بن عبد العزيز يجند قبائل عسير تحت امره عبد الوهاب بن عامر المسمى أبو نقطة وهو امير عسير ورجال المع ويرسلهم تارة الى

(١) هذا هو الفصل الرابع عشر من كتاب الاستاذ فؤاد حمزة بك وكيل الخارجية في حكومة المملكة العربية السعودية عن تاريخ نجد والحجاز رأينا نشره على ذكر ما نتحدث به الصحف عن مقاطعة عسير والادارسة . والكتاب يطبع بالمطبعة السلفية بمصر الآن

(٢) كتاب ظهور أئمة صنعاء تأليف ا. س. تربتون ص ٧

(٣) » » » » » » ص ٦١

(٤) » » » » » » ص ٨٧

(٥) » » » » » » ص ١٠٢

الحجاز وطوراً الى اليمن وهذه القبائل هي التي فتحت اللحية والحديدة^(١) في عام ١٢٢٤ كان صاحب ابو عريش الشريف حمود ابو مسمار وكان قبل ذلك قد بايع سعوداً وحالفه ودفع عشوره اليه واوفد ابنه الى الدرعية لزيارته . ثم حصل بينه وبين عبد الوهاب امير عسير السراة نزاع ادى الى رفعه الى سعود للاصلاح بينهما فلم تنجح وساطة سعود في ذلك . فاصدر امره الى الشريف حمود لكي يجهز قوة ويذهب بها الى صنعاء فلم يفعل . فحقد سعود عليه وأمر القوات بالمسير لقتاله . والتقت القوات ، قوات آل سعود وفيها قبائل عسير ورجال المع واهل الوديان واهل بيشة وقحطان وشهران ، وقوات الشريف حمود وفيها دهم وحاشد وبكيل وهمدان ويام ، في وادي بيشة . فقتل عبد الوهاب امير عسير في الواقعة الا ان الغلبة كانت لعساكر آل سعود ، ففرَّ الشريف حمود الى تهامة ولجأ الى حصنه ابو عريش واحتلت العساكر بلاده صبيا وجيزان^(٢) . وفي العام المقبل جهز عثمان المضايقي قوة من الحجاز وسار بها مع قوات عسير للقضاء على حمود واقتتلوا في محل يسمى رَحْلة فكسر حمود وفرَّ هارباً واحتلَّ طامي بن شعيب امير عسير الجديد ابو عريش وتقدم منها الى اللحية والحديدة^(٣) وتوفي الشريف حمود عام ١٢٣٣ وتولى ابنه احمد مكانه . وحصل بين احمد وبين حسن ابن خالد امير صبيا نزاع ثم اتفقا وفي هذه الاثناء جاءت القوات العثمانية والمصرية الى ابو عريش يقودها خليل آغا فالقت القبض على احمد بن حمود وارسلته الى مصر^(٤) ولكن احتلال ابو عريش لم يدم طويلاً فاضطرت القوات المصرية الى الانسحاب وتسليمها الى امام صنعاء الزبيدي وعقد محمد علي باشا اتفاقاً مع الشريف حسين ، شريف ابو عريش للعمل معاً ضد امام صنعاء وضد قبائل عسير المنحازة الى آل سعود ، وتقدمت قوات الاثنين الى الجبال فاحتلت ابها عاصمة عسير عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) . ولكنها لم تتمكن من البقاء فيها طويلاً^(٥) وحينما انسحب المصريون من البلاد العربية عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ - ١٨٤٠ م) وجد الشريف حسين نفسه قادراً على بسط نفوذه على سائر تهامة والحقها بابو عريش فوصلت قوته الى مخا جنوب الحديدة واستولت عليها باسمه وظلت حكومته فيها وفي سائر تهامة الى ان شرع الترك في استعادة قوتهم في البلاد العربية فجدوا بتحريض الشريف محمد بن عون امير مكة قوة عسكرية عام ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) انزلت في الحديدة ، وتمكنت القوة من فتح تهامة ودخول - ابو عريش^(٦) وفي زمن حكم الشريف حسين المشار اليه قدم السيد احمد بن ادريس الى صبيا ونال من عطفه ومساعدته ما جعل له شهرة عظيمة بين القبائل تمكن حفيده من الاستفادة منها حينما قام لتأسيس حكومة الادارسة في مطلع القرن الحالي . وتوفي السيد احمد بن ادريس في صبيا عام ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) وظل احفاده فيها . ولا ندرى كيف تغلب الادارسة على اشراف ابو

(١) تاريخ ابن بشر ص ١٣٢ - ١٣٤ (٢) ابن بشر ص ١٤٤ - ١٤٥ (٣) ابن بشر ص ١٤٩

(٤) ابن بشر ص ٢١١ (٥) تاريخ بلاد العرب لهوفارث ص ١٠٦ (٦) كتاب بلاد العرب وضع

وزارة الخارجية البريطانية ص ٢٤ وتاريخ بلاد العرب لهوفارث ص ١٠٦ - ١١١

عريش ولا كيف كانت آخرة الشريف حسين واولاده وانما نعلم ان حكمهم ظل في تهامة عسير
واليمين ضعيفاً الى ان ازيل تماماً على يد السيد محمد علي الادريسي

ذكر الشيخ عبد الواسع اليماني في حوادث عام ١٢٦٤ هـ ان امام صنعاء المتوكل عزم على
انزاع تهامة من يد الشريف حسين فجهز قوة تمكنت من اسر الشريف وحبسه في قلعة
القطيع في تهامة فاستثارت ابنته قبائل نجران فخلصته من اسر المتوكل واستولت باسم الشريف
على زبيد ونهبته^(١). وذكر في موضع آخر ان الشريف حسين ذهب الى الاستانة مستنصراً
الحكومة العثمانية فامدته بقوة قادها توفيق باشا وكان ذلك بدء استرجاع آل عثمان لعسير واليمين^(٢)

٢- آل عائض

ينتسب آل عائض الى عشيرة آل بو سراح من فخذ آل يزيد من بطن مفيد من قبيلة
عسير وهم رؤساء قبيلة عسير المنقسمة الى اربعة بطون كبيرة ذكرناها في بحث القبائل العربية
ومركزها بلدة ابها^(٣). وسط جبال السراة في عسير

امارة آل عائض في عسير، حديثة العهد ترجع الى ايام حكومة آل سعود وفتحهم عسير. وكانت
الامارة قبل ذلك في رجال المع وولياها ايام فتح سعود الكبير للحجاز رجل اسمه عبد الوهاب بن
عامر المكنى بأبي نقطة صاحب الوقائع المشهورة في الحجاز مع الشريف غالب وفي تهامة مع الشريف
حمود ابو مسمار شريف ابو عريش^(٤). وبعد موته وليها ابن عمه طامي بن شعيب عام ١٢٢٤ الذي خانه
حسن بن خالد امير صبيا وسلمه الى قوات محمد علي باشا فأرسلته الى مصر وصاب فيها. ثم ولي اماره
عسير بعد ذلك علي بن مجتل عام ١٢٤٩^(٥). ومن بعد علي هذا تبدأ اماره آل عائض في عسير السراة
اما كيفية انتقال الامارة من قبيلة رجال المع الى قبيلة عسير فغير معلومة على وجه الصحة
وفد ذكر الريحاني ان عائض مؤسس العائلة كان من الرعاة فاستبسل في القتال ضد الجنود المصرية
فقربه ابن مجتل اليه واوصى به عند ابن سعود بعده فاثبتته في الامارة^(٦)

بلغت قوة آل عائض اوجها ايام محمد بن عائض الذي ولي الامارة بعد والده ووسع حكمه
على سائر عسير السراة وقسم من الحجاز غامد وزهران، وقسم كبير من تهامتي عسير واليمين.
فراأت الدولة العثمانية التي كانت من اقوى الدول ايام السلطان عبد العزيز ان ترك الامر على
غاربه مضيع لهيبتها ومخرج لبلاد عسير واليمين من يدها. فجهزت حملة كبيرة بقيادة رديف
باشا واحمد مختار باشا وسيرتها على عسير عام ١٢٨٥ هـ^(٧). وتوسط الشريف محمد بن عون

(١) تاريخ اليمن ص ٧١ (٢) تاريخ اليمن ص ٧٣ ويراد القصة على هذا النحو بخلاف ما نقلناه عن
كتاب وزارة الخارجية البريطانية عن الكتابين اللذين عن بلاد العرب وعن تاريخ هوفارث
(٣) تعرف ابها باسم مناظر وهي مؤلفة من اربع قرى كبيرة واقعة في منبسط تحيط به جبال مرتفعة عليها
ابراج نخعي البلد (٤) انظر النبعة السابقة وابن بشر ص ١٣٢-١٣٤ (٥) ابن بشر ص ٢٠٠ ص ٤٦
(٦) تاريخ نجد الحديث ص ٢٦٩ وما نلاحظه ان ابن مجتل لم يكن اميراً على عسير ايام سعود الكبير فقد
كان ولده عسير الاشخاص الذين ذكرناهم عبد الوهاب وابن عمه (٧) تاريخ اليمن ص ١٠٦

بين الدولة وبين ابن عائض على أن يسلم العسيري بلاده وأن تحفظ له الدولة أمواله وخيوله وحصونه وأن تعين له ولعائلته وبعض الرؤساء مرتبات ومشاهرات . فوصل الفرمان بالامان من السلطان عبد العزيز بينما كانت الجيوش العثمانية بقيادة مختار باشا محاصرة ابها ، فاستسلم محمد الى مختار باشا وهذا ارسله الى رديف باشا فلم يعبأ بالفرمان واعدم ابن عائض وصارت عسير منذ ذلك اليوم تابعة للدولة العثمانية . وجعلت متصرفية مركزها ابها . وتبعها ستة افضية وهي : (١) بني شهر او الناص . (٢) غامد ومركزها رغدان . (٣) رجال المع ومركزها الشعين ، (٤) محایل ومركزها محائل . (٥) القنفذة . (٦) صبيا وابو عريش

ونقم آل عائض على الدولة وابتعدوا عنها الى ان كانت فتنة السيد محمد علي الادريسي عام ١٣٢٩ فعادوا اليها . وعينت حسن بن علي بن محمد بن عائض معاوناً للمتصرف سليمان شفيق كالي باشا وظل حسن علي ولأنه للدولة طيلة الحرب العمومية وتعاون مع محيي الدين باشا متصرف عسير وقائد فرقها لدفع عدوان الادريسي . واستقل بعد جلاء الترك عقيب الحرب بالبلاد وشرع في ادارتها على شكل احفظ الناس وجعلهم يوسطون الملك عبد العزيز في امرهم . فرفض حسن الوساطة وكان من الملك عبد العزيز ان جهز عليه قوة بقيادة الامير عبد العزيز بن مساعد عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢١ م) وحصلت بين الفريقين معركة في حجلة بين ابها وخميس مشيط انهزم آل عائض فيها وهربوا الى تهامة فأسر الادريسي حليف ابن سعود بعضهم واستسلم حسن ومحمد ابن عمه لابن مساعد فذهب بهما الى الرياض . ووصلهما الملك عبد العزيز بالجوائز واعاد حسناً ومحمداً الى ابها . ولكنهما عادا الى سابق سيرتهما وحاصرا امير ابن سعود في ابها واحتلها . فلما رأى الملك عبد العزيز خيانتهم وما كان من غدرها جهز حملة جديدة من أهل نجد بقيادة نجله الثاني سمو الامير فيصل عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) فوصلت الى عسير وحصلت عدة وقائع آخرها واقعة بين السرية التي انفذها الشريف حسين بن علي من مكة لامداد محمد بن عائض ففضى على السرية كما قضى على حصون ابن عائض وقلاعه واتبعت عسير السراة نهائياً بالمملكة النجدية واستيق حسن بن عائض الى الرياض ولا يزال فيها الى الآن

٣- السيد محمد علي الادريسي

يبدأ تاريخ اماراة الادارسة من محمد بن علي بن احمد بن ادريس وكان جده السيد احمد ابن ادريس من أهل العلم والصلاح هاجر من المغرب واقام في مكة المكرمة برهة ثم ذهب الى تهامة اليمن لزيارة بعض تلاميذه ومريديه واستقر به النوي عام ١٢٤٦ (١٨٣٠) في صبيا في جوار الشريف حسين شريف ابو عريش واقام هنالك بطريقته الادريسية الى ان توفي بعد ذلك بنحو سبع سنوات قامت اماراة السيد محمد حميد السيد احمد على التراث الديني الذي خلفه له جده بين القبائل واعانت الظروف السياسية ، وما كانت عليه الدولة العثمانية من تضعضع واهمال في أواخر ايام

السلطان عبد الحميد فراح يدعو الى نفسه دعوة اصلاح ديني املاً في الوصول الى اغراضه السياسية ولد السيد محمد عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) في صبيا وجاء الى مكة مجاوراً عام ١٣١٣ هـ. ثم رحل الى القاهرة ودخل الازهر الشريف ثم ذهب الى راحة الكفرة مركز السنوسية وانصرف منها الى دنقلة حيث اخواله بالسودان. ثم عاد الى صبيا مستقراً رأسه في أواخر سني السلطان عبد الحميد فوجد مرتعاً خصيباً لعمله وساعده على ذلك فساد الادارة وانتشار الرشوة وبعد البلاد عن مركز الحكومة والاستبداد الظاهر، فالتفت حوله الناس من كل حذب وصوب. وازادت الحكومة العثمانية عجم عوده فارسلت اليه وفداً سار خلفه جيش كبير يقوده القائد سعيد باشا. فافهم الادريسي حالة البلاد للوفد وانه وجدها معطلة فاسدة الادارة معدومة الامن فقام هو باصلاح احوالها عن طريق الاصلاح الديني، وذلك في مصلحة الدولة وانه لا مصلحة له من ذلك نخدع الوفد باقواله ونال الادريسي من قائد الجيش اعلاناً للقبائل يفوضه فيه بقيامه ببعض المهام فكان ذلك سبباً في ازدياد سطوته وتقوته وعينته الحكومة قائماً لصبيا وابو عريش وبعد ذلك ببرهة قصيرة ألب على الحكومة العثمانية وأرسل من قبله قوادراً لاحتلال البلاد ووجه ابن عمه السيد مصطفى الادريسي الى عسير السراة لاحتلال ابها وكان ذلك في ذي القعدة عام ١٣٢٨. وشدد الادريسي الحصار على ابها وفيها المتصرف سليمان شفيق كالي باشا الى ان فك الحصار عنها على يد القوة التي قادها الشريف حسين بن علي امير مكة في السنة التالية

وتحصن السيد محمد بعد وصول القوات اليه في جبل فيفاء ولكنه عاد الى تهامة بعد اعلان الحرب بين ايطاليا والحكومة العثمانية واستولى على صبيا وجيزان وابو عريش واتفق مع الحكومة الايطالية التي امدته ببعض المال والذخيرة. غير ان علاقات السيد محمد مع ايطاليا وقعت عند هذا الحد واستبدل بها صداقة جديدة مع الحكومة البريطانية في السنة الاولى من اعلان الحرب العمومية فانه عقد عام ١٩١٥ معاهدة صداقة ثم جددت هذه المعاهدة عام ١٩١٧ واعترفت له بريطانيا بالسيادة على تهامة حتى اللحية في الجنوب والقفنفة في الشمال وتعهدت له بمجانيته من اي تعدد خارجي كما انه تعهد بعدم تأسيس علاقات سياسية أو تجارية مع اية حكومة اجنبية واشتد ساعد السيد محمد بعد الحرب العمومية واستولى على الحديدة وتعاهد مع الملك عبد العزيز بن سعود للقيام معاً لتأمين مصالح الجانبين وظلت صلاتهما حسنة الى آخر أيام السيد محمد غير ان موقف السيد كان عصيباً نظراً لوقوعه بين عدوين كبيرين الامام يحيى في اليمن والشريف حسين في الحجاز ووقعت بلاده بعد وفاته في شعبان عام ١٣٤١ (١٩٢٣) فريسة في براثن الفتنة فاستولى الامام يحيى على القسم الجنوبي منها وانضمت الاقسام الاخرى الى ممالك ابن سعود

٤ - زوال امارة الادارسة

بعد وفاة السيد محمد الكبير ولي الامارة ولده علي فاغتلم الامام يحيى حميد الدين

الفرصة لاسترجاع تهامة منه فوفق الى ضبط للحديدة والاستيلاء على الساحل حتى مدينة ميدي . فنار اهل البلاد على علي وبايعوا عمه الحسن فلجأ السيد علي الى جلاله الملك عبدالعزيز اثناء فتحه للحجاز وما زال مقيماً في بلاده حتى الآن

اما السيد الحسن فانه اراد أن يقلد اخاه محمد الكبير ففاوض جهات عديدة ، فافوض الملك عبدالعزيز مذكراً اياه بصداقة العائلتين ، وفافوض الامام يحيى ، وفافوض الايطاليين ، وفافوض كذلك الانكليز بواسطة ابن عمه مصطفى واقترت مفاوضاته مع الانكليز انه اعطى لشركة انكليزية امتيازاً باستخراج الزيت من فرسان بشروط مخففة بحقوق البلاد والاهلين ، وبينما كان مندوبوه يفاضون الامام يحيى في صنعاء نجح مندوبه الآخر وابن عمه مرغني في عقد معاهدة مكة بين الملك عبد العزيز والحسن عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) ووضعت المقاطعة بموجب المعاهدة تحت حمايته وقطعت جهيزة قول كل خطيب

ولم يباشر الملك عبد العزيز حقوق الحماية اول الامر الا فيما يتعلق بامتياز شركة الزيت في فرسان فانه رأى فيه اجحافاً وعتماً عظيمين فوفق الى الغائه . وابتقى ادارة البلاد في يد هيئة حاكمة تحت رئاسة السيد واكتفى بارسال مندوب يكون الى جانب الحسن ليعاونه في اعماله وحضر مندوبون من قبل الحسن الى بلاط الملك عبد العزيز في الطائف لوضع القواعد الاساسية لادارة البلاد — فوافق الملك على اقتراحات وفد الحسن وجعل الادارة الداخلية وتأمين الامن واعداد الجند للدفاع في يد الحكومة المحلية واحتفظ بالشؤون الخارجية فقط الا ان الادارة المحلية عجزت بعد سنتين عن ادارة الامور وتأمين الاحكام . ولم تكن قادرة على جباية الاموال الاميرية اللازمة لكيانها بالرغم عن مد الملك عبد العزيز يد المساعدة لها وفي ١٧ جمادى الاولى عام ١٣٤٩ ابرق الحسن الادريسي الى الملك عبد العزيز ما يأتي: «كتبكم برفقة العبدلي وصلت وتذاكرنا مع وفدكم فتقرر بموافقتنا ورضانا اسناد ادارة بلادنا وماليتنا الى عهدة جلالكم^(١)». وعهد الى مندوبين من الجانبين لوضع التعليمات الاساسية التي تتمشى عليها المقاطعة بعد ذلك وأصبحت المقاطعة الادريسية مقاطعة من مقاطعات المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها وجعل للسيد الحسن مقام استثنائي ممتاز يحافظه على كرامته وكرامة عائلته^(٢) وبعد اعلان توحيد اجزاء المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها ، وجعلها مملكة واحدة باسم المملكة العربية السعودية ، كان من المنتظر اعادة تنقيح التشكيلات الادارية في المقاطعة الا ان الحسن اغتر بمواعيد بعض المفسدين فحاول ان ينقض بالقوة ما تعهد به من قبل برضاه التام ورفع علم الثورة ضد الحكومة فجردت عليه حملة تأديبية قضت على فتنته ووضعت حداً لحكم الاسرة الادريسية في صبيا وجيزان وأبو عريش

(١) مجموعة معاهدات وزارة الخارجية ص ٦٦ (٢) انظر الوثائق الخاصة بذلك في مجموعة المعاهدات ص ٦٥ — ٧٦

فكاهة في نظرية النسبية

نسبية الوقت

هل تعتقد ان الدقيقة تكون في مكان اطول منها في مكان آخر ؟

لنقولا الحداد

من فكاهات نظرية « النسبية » التي ضبط قواعدها اينشتين العلامة الالماني المشهور أن الوقت في مكان بعيد يختلف عنه في مكان قريب بالنسبة الى كل من المكانين . اعني ان الثانية او الدقيقة في المريخ مثلاً أطول منها عندنا متى كان المريخ يبتعد عنا ، او اقصر اذا كان يقترب الينا . وهكذا يرى المريخي (ساكن المريخ) ان ثمانيتنا او دقيقتنا اطول او اقصر حسب الابتعاد او الاقتراب

اظن ان القارئ يستهجن هذا القول ، وربما حسبه سخافة وعدّ قائله مخرفاً ، لانه يعتقد ان الدقيقة دقيقة والثانية ثانية اينما كانت . لانه اذا فرضنا ان الساعة التي تتكّ تكّة كل ثانية بالضبط تتكها هكذا سواء كانت على الارض او في المريخ . يبني اعتقاده هذا على ان الزمن شيء ثابت مقرر لا يتغير بتغير الامكنة . واذا قلنا له ان الزمن ليس كما يعتقد ، بل هو شيء نسبي وقيمته تختلف باختلاف بعده عن الشخص المراقب الحاسب لما قبل عقله هذا القول . فكيف به اذا قلنا له ان الزمن لا وجود حقيقي له ، بل هو تعبير عن خط الحركة فقط ، فلو وقفت حركة الاكوان لانتهى الزمن — كل هذا قد يترأى خرافة للقارئ الذي لم يسطع بمبادئ النسبية وليس ايضاح هذه « القضية النسبية » بحيث تنجلي جيداً للقارئ بالامر السهل لان جميع قضايا النسبية مغايرة للمألوف عند الجمهور الذي تربى وتعود ان يرى كل حقيقة بمفردها شيئاً مقررّاً ثابتاً لا يختلف بالنسبة الى حقيقة اخرى . ولكنني اجتهد بان اجلوها له ما امكن الجلاء . وعلى الله الاتكال

ان جميع قضايا النسبية نشأت من اكتشاف ناموس النور وسائر الامواج الكهربائية المغنطيسية التي ثبت ان امواج النور من جملتها — ذلك الناموس المخالف لنواميس الحركة . وهو ان النور لا يكتسب سرعة الجسم الذي يصدره كما تكتسب سائر الاجسام المنطلقة عن جسم آخر . ولا مة سمع لتفصيل هذا البحث هنا (وقد وفيتُه حقّه في مقتطف اكتوبر الفئات سنة ١٩٣٢ في مقالة سر ناموس النور)

النور ضرب من الامواج الكهربائية المغنطيسية العديدة التي تنطلق كلها بسرعة واحدة مهما اختلفت طولاً . فاقصرها اسرعها تموجاً واطولها ابطؤها—ولهذا تتعادل سرعتها . فسرعة امواج الراديو الذي ينقل الصوت والاشارات البرقية اللاسلكية (وسرعة كل موجة كهربائية مغنطيسية) واحدة ، وهي ٣٠٠ ٠٠٠ كيلو متر في الثانية . اي ان النور (والراديو) يستغرق وقتاً في انتقاله . يقضي النور الصادر من الشمس ٨ دقائق الى ان يصل اليها . وينعكس اليها عن المريخ في اكثر من ٨ دقائق اذا كان المريخ في اقصى بعده عنا و اقل جداً اذا كان في اقرب دنوة اليها . ويقضي نور النجم قنطورس Proxima Centaurus اقرب النجوم اليها نحو سنتين وثلاث سنة تقريباً الى ان يصل اليها

اذن ، نحن لا نرى ومضة نور ولا نسمع رجة صوت الراديو الا بعد صدورها بمدة ، حسب بعد مصدر الومضة او الرجة عنا . لذلك لا بد من حساب مسافة البعد في كل حركة قادمة اليها على اجنحة الامواج الكهربائية المغنطيسية . فاذا تفهم القارئ هذا التمهيد جيداً واقتنع به سهل عليه ان يفهم كيف ان الوقت يختلف باختلاف بُعد المراقب للحركة عن مصدرها . ولجلاء القضية اضرب المثل التالي : —

نفرض ان شخصاً في المريخ عنده جهاز لاسلكي ، راديو ، ينبض كل ثانية بالضبط نبضة . وعندنا جهاز لاسلكي يسجل كل نبضة تصل اليها من المريخ — او لنفرض ان في جهازنا ساعة يتحرك عقربها بقوة هذه النبضة الواردة من المريخ . فلو كان المريخ والارض ثابتين لا يتحركان لكان عقرب الثواني في الساعة التي تدور بقوة راديو المريخ متفقاً تمام الاتفاق مع عقرب ساعتنا الاعتيادية اذا كانت هذه مضبوطة تمام الضبط . نعم ان التكة التي تسرد اليها من المريخ لا تصل في الحال بل تستغرق بضع دقائق الى ان تتكها الساعة التي عندنا الدائرة بقوة راديو المريخ . ولكن التكات ترد تباعاً ، فتبلغ اليها في مواعيدها بين كل تكة واخرى ثانية مضبوطة ولكن ليس في الوجود جسم ساكن بل كل جسم ، من الكهرب اصغر الاشياء الى النجم اكبرها ، متحرك بسرعة خاصة به . فالمريخ يسير في فلكه بسرعة ١٥ ميلاً في الثانية والارض تسير بسرعة ١٨ ميلاً ونصف ميل بالثانية (تساوي ٣٠ كيلو متراً) — ولتسهيل الحساب نفرض ان المسافة بين الارض والمريخ تنفجر ٣٠ كيلو متراً في الثانية^(١) أي انه كل ثانية يزيد ابتعاد المريخ عنا او نحن عنه نحو ٣٠ كيلو متراً ، وهذه المسافة تساوي جزءاً من عشرة آلاف جزء من المسافة التي تقطعها تكة الراديو من المريخ اليها . ففما تنفجر المسافة بيننا وبين المريخ تتأخر تكة راديو المريخ الواردة اليها جزءاً من ١٠ آلاف جزء من الثانية ، وعلى

(١) والحقيقة ان هذا الفرق نحو ٣ ميل بالثانية تقريباً

النادي زى ان تكّة ساعة الراديو عندنا تتأخر عن تكّة ساعتنا الاعتيادية ، حتى انه متى زادت المسافة بيننا وبين المريخ عشرة آلاف كيلومتر تكون ساعة الراديو عندنا قد سجلت ٩٩٩٩ ثانية في حين ان ساعتنا الاعتيادية تكون قد سجلت ١٠ آلاف ثانية ، أى ان الف ،

اصلاح خطأ جوهري

في مقال « الابعاد الاربعة » المنشور في مقتطف ابريل الماضي صفحة ٤٤٤ للاستاذ نقولا الحداد وقع خطأ في رموز الشكل الثاني يجعل فهم شرح القضية متعذراً جداً على من يشاء ان يفهمها بجلاء . ولذلك نرجو من القارئ ان يصحح الرسم بقلمه فيضع فتحات على الحروف الرازمة عن « متعامدات » القطار التي الى اليمين في الرسم الاسفل الثاني هكذا :

ي . ه . م (ماعدام السفلى)

خط . والصواب . قط . (رمز للقطار)

وصواب المعادلة الاخيرة في صفحة ٤٤٨

ق - ق (الثانية بفتحة)

بعد هذا التصحيح يسهل على القارئ جداً فهم قضية الابعاد الاربعة

الوقت الناجم عن تحرك الاجرام . لو كانت الاجرام ثابتة لا تتحرك لما كان من فرق بين الوقت هنا وهناك وهناك . واما والاجرام كلها تتحرك بسرعات مختلفة بعضها يتجاوز الالف والالاف من الكيلومترات في الثانية فلا بد من ادخال حساب الوقت النسبي في حساب ابعاد الاجرام وتباعداتها او تقاربها . ومعادلة لورنتز :

$$1 : \sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}$$

كافة بضبط هذا الحساب مهما اختلفت الابعاد ،

باعتبار ان س رمز لسرعة الجرم ون رمز لسرعة النور

اليست هذه القضية فكاهة علمية للقارئ؟

واحدة مهما
تتها . فسرعة
وجة كهربائية

الهادي نرى ان تكة ساعة الراديو عندنا تتأخر عن تكة ساعتنا الاعتيادية ، حتى انه متى زادت المسافة بيننا وبين المرنج عشرة آلاف كيلومتر تكون ساعة الراديو عندنا قد سجلت ٩٩٩٩ ثانية في حين ان ساعتنا الاعتيادية تكون قد سجلت ١٠ آلاف ثانية ، أي ان الفرق ثانية واحدة في كل عشرة آلاف . اذن تكون ثانية المرنج عندنا ، اي بالنسبة اليها اطول من ثانيتنا بقيمة ١ من عشرة آلاف . واذا شئنا ان نتحقق موقع المرنج حين نرصده فلا نكتفي بان نحسب مقدار الوقت الذي يستغرقه النور المنعكس عنه اليها ، بل يجب ان نحسب ايضاً حساب هذا الفرق الذي نحن بصده ، والذي لم يفتن له الفلكيون قبل ظهور النسبية ولو كان عند المرنج ساعة يتحرك عقربها بقوة راديو صادرة من عندنا لكان يرى مثل ما نرى نحن ان ثانيتنا عنده اطول من ثانيتها

واذا كان المرنج يقترب اليها او نحن تقترب اليه ، أي ان المسافة بيننا وبينه تقل وتقصّر ، انعكست الآلية وكانت ثانيتها تصل اليها اقصر من ثانيتنا

هذا هو معنى نسبية الوقت ، اي ان الزمن نسبي ، وليس هو قيمة مقرّرة ، من غير اعتبار المكان والمسافة بين الشخص المراقب وبعد المسافة بينه وبين الجسم المراقب (بفتح القاف) . بل لابد من اعتبار هذين الامرين : اولاً مكان المراقب ، وثانياً : المسافة بينه وبين الشيء المراقب . وحينئذ يظهر الاختلاف في قيمة الزمن او الوقت

بالطبع لا قيمة لهذا الفرق بين وقت ووقت على كرتنا الارضية التي تسير حولها ومضة نور او ومضة راديو نحو ٧ مرات ونيف في ثانية واحدة . ولكن لهذا الفرق قيمة كبيرة في حساب حركات الاجرام السماوية وابعادها ، وهي تقاس بسرعة النور لا بالاميال ولا بالكيلومترات . فاذا كان اقربها يبتعد عنا سنتي نور وثلاث سنة فما قولك بما يبتعد بالسنين ومئات السنين . وما قولك اذا كان النور يقضي ١٨٤٠٠٠ سنة حتى يقطع نطاق المجرة من جنب الى جنب ؟ قبل ان تظهر نظرية النسبية لم يكن علماء الفلك الطبيعي يحسبون حساباً لهذا الفرق في الوقت الناجم عن تحرك الاجرام . لو كانت الاجرام ثابتة لا تتحرك لما كان من فرق بين الوقت هنا وهناك وهناك . واما والاجرام كلها تتحرك بسرعات مختلفة بعضها يتجاوز الالف والالاف من الكيلومترات في الثانية فلا بد من ادخال حساب الوقت النسبي في حساب ابعاد الاجرام وتباعدها او تقاربها . ومعادلة لورنتز :

$$1 : \sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}$$

كافّة بضبط هذا الحساب مهما اختلفت الابعاد ،

باعتبار ان س رمز لسرعة الجرم ون رمز لسرعة النور

اليسست هذه القضية فكاهة عامية للقارىء؟

ولتسهيل
أي انه كل
جزء من
ج المسافة بيننا
الثانية ، وعلى

فلسفة تاريخ الفلسفة

لعلي آدم

المعروف عن الفلسفة في العصور الحديثة أنها تتناول بطريقة علمية منظمة بمبحث المسائل العامة المرتبطة بالكون والحياة البشرية . ولقد عرّف بعض المفكرين الفلسفة بأنها إدامة التفكير في الأشياء ومحاولة استطلاع خفاياها والكشف عن أسرارها . ولكن هذا التعريف لا يحيط بفكرة الفلسفة من جميع أطرافها ولا يحددها تحديداً واضحاً لأن الإنسان لا يني في شؤونه العملية وأحواله المعيشية حيث يعد الوسائل لبوغ الغايات ويرسم الخطط لإنجاز المشروعات . والعلوم جميعها من طبيعتها التفكير . فما ميزة التفكير الفلسفي عن التفكير العلمي وغيره من ضروب التفكير العملي ؟ وفي ماذا تختلف الفلسفة عن الطب والفلك والهندسة مثلاً ؟ لا خلاف في أن الفلسفة لا تمتاز عن هذه العلوم بمادتها لأن مادتها هي بعينها مادة العلوم التجريبية . فهي تتناول نظام الكون وخطته كما تتناول الإنسان من ناحية تكوين الروح وبناء الجسم وتبحث القانون وتدرس السياسة وبينها وبين مختلف العلوم اتصال وثيق وعلاقة مستمرة فالفلسفة إذن لا تختلف عن سائر العلوم من حيث الموضوع ومادة البحث وإنما تختلف عنها من حيث الأسلوب وطريقة تناول . فالعلوم على اختلافها تستمد مادتها من التجربة مباشرة ولكن الفلسفة لا تتناول الموجود كما هو بل تتعمق في البحث لتصل إلى أسبابه النهائية وكل علم من العلوم يحتمل منطقة خاصة ويجمع الحقائق والتفاصيل المتصلة بمادته في ضوء فروضه المعينة والعالم يعمل في ميدانه ويصل داخله إلى معلومات مقررّة ونتائج حاسمة دون أن يلتقي باله إلى بحث علاقتها بالنتائج التي انتهت إليها العلماء الذين يكدهون في ميادين أخرى . وقد يحدث أن تتعارض هذه النتائج تعارضاً صريحاً واضحاً . فمثلاً بعض نتائج العلوم الطبيعية الحديثة تعارض نتائج علم النفس بحيث أن صدق أحدها ينقض حقيقة الآخر . ومن هنا تنشأ الحاجة الماسة إلى مصفاة تراجع فيها هذه النتائج وينظر إليها نظرة جامعة كلية حتى نستطيع أن نستخلص فكرة عامة عن العالم الذي نعيش فيه ومصير الإنسانية داخله . والذي يعنيني في الفلسفة ليس هو الحقائق في ذاتها وإنما تفسير تلك الحقائق . ومتى ابتعدنا عن الحقائق وشرعنا في التفسير يتدخل العامل الشخصي لأن موقفنا إزاء الحقائق وتقديرنا لمكانتها يحتمل إلى حد بعيد مزاجنا وتجاربنا وآمالنا ومخاوفنا . فكل فلسفة إذن شخصية إلى حد كبير

وقد رمى بعض الناس الفلسفة بأنها قائمة على مجرد فروض تجريدية . وغاب عن هؤلاء ان نفس الافكار الكامنة وراء العلوم التجريبية هي في صميمها فروض . فالعلوم الطبيعية مثلاً تفترض وجود الاثير وعلم الحياة يفترض وجود القوة الحيوية والكيمياء تفترض وجود الذرة ويقبل العلم هذه الفروض ما دامت تخدم اغراضه وتلي مطالبه وتعينه على اداء مهمته ولا يضطر الى رفضها الا عند ما تصبح بادية النقص او تستدعي جملة فروض اخرى لتقيم اودها وتحمي كيانه وهذا يحدث من الحين الى الحين . من قبيل ذلك تغلب نظرية كوبرنيكس وظهور مذهب دارون . ففي كلا الحالتين كان على النظرية الجديدة ان تثبت انها ايسر فهماً واقدر على تفسير الحقائق من النظرية القديمة . فرمي الفلسفة بأنها تستند الى الفروض تهمة يصح ان يقذف بها ارسخ العلوم التجريبية كعباً واقدمها تاريخاً . وانما المهم هو الى أي حد تمكننا هذه الفروض من فهم الحقائق الواقعة . والفلسفة تتناول فروض العلوم كلها مثل النظرية الذرية للمادة والتصور الآلي للكون وعليها ان تلائم بين نتائج العلوم المختلفة . والعلم يتقدم من طريق التجربة اما الفلسفة فان تقدمها رهن بعملية التسوية بين مختلف نتائج العلوم . وقد يعترض العالم على ذلك ويزعم ان وقت التسوية لم يحن بعد وانه عند ما يحل مياعده فان العلم نفسه سيتولى هذا العمل ويشرف عليه ولكن هذا الاعتراض لا يؤبه له ونحن كلنا في حاجة قاسرة الى تصور عام للعالم في مجموعها وهذا التصور العام قد ينقصه التحديد ويعتريه الغموض ولكنه على ما به من نقص من الزم ما يلزم لحياتنا العقلية وكياننا الأدبي

والاول ما يرمي اليه العلم هو الوصف الدقيق المستوعب لمظاهر الكون وجمع الحقائق وتنسيقها فصائل وطبقات ثم البحث عن اسم مشترك يجمع اشتاتها ويصفها وصفاً بسيطاً مستوفياً جهد الطاقة ثم تلخيصها واختزالها في صيغة عامة تسمى عادة «قانون الطبيعة» . فالعلم عليه ان يصف وليس من عمله ان يفسر . وفكرة ان العلم قد فسر كل شيء وشرح المشكلات واستفتح المغلقات فكرة خاطئة لأن العلم لا يحاول ان يرد الاشياء الى الحقيقة النهائية وانما هو يفسر الاشياء تفسيراً محدوداً بتوصيفه لظروف حدوثها وارجاعها الى صيغ عامة بسيطة . فاذا ذكرنا ان العلم قد فسر طبيعة الجزر والمد فاعلمنا معنى ذلك اننا قد وقفنا على القانون العام المسيطر على الحقائق المتصلة بحدوث المد والجزر وهو تفسير لا يكاد يتعدى حدود الوصف . ويقول البعض ان العلم يستكشف الاسباب وهو قول يتنافر في ظاهره مع تعريف العلم بأنه وصفي وليس من شأنه ان يفسر . والحقيقة ان الاسباب التي يستكشفها العلم هي الاسباب الثانوية او الاسباب المسببة لان العلم لا يثير مسألة الاسباب النهائية . وقوانين العلم كائنات ما كان نفعها لا يخرج عن حيز الفروض وكلما امعن العلم في التقدم اشتدت الحاجة الى تناول هذه الفروض بالنقد والتحجيص فمثلاً النظرية الذرية استساغها الكيمائي لنفعها ولكن هذا غير كافٍ لاعتبارها تصوراً نهائياً للواقع

ببحث المسائل
تأنيلاً بإدانة
هذا التعريف
لأنسان لا يني
يرسم الخطوط
التفكير العلمي
سندسة مثلاً؟
فما مادة العلوم
لكوين الروح
وثيق وعلاقة
البحث وانما
ها من التجربة
سبابه النهائية
ادته في ضوء
ع حاسمة دون
دين اخرى .
علوم الطبيعية
انتشاً الحاجة
نستطيع ان
دي يعنيها في
قائق وشرعنا
يحتمه الى حد

والفلسفة لا يعينها ان تثبت او تنقض فائدة تصور من التصورات في أي ميدان خاص من ميادين العلوم لأن هذا عمل علمي محض . وانما هي تختبر هذا التصور لتقرر المكان الصحيح لتطبيقه فالفلسفة تتساءل حيال النظرية الذرية هل هي تصلح نظرية نهائية لتفسير العالم العضوي ؟ وهل العالم المنظوم مكوّن من ذرات صغيرة كل ذرة مستقلة عن الاخرى ؟ واذا كانت هذه الذرات متصلة فالى اي حد تؤثر هذه الروابط والاتصالات في طبيعتها المستمرة ؟ فبين العلم والفلسفة خلاف في الغاية وخلاف في المذهب . فالعلم غرضه الاستيلاء والسيطرة والوقوف على حقيقة الاشياء بحيث يستطيع الانسان ان يتنبأ بما سيحدث لتعديل خطته وفقاً لذلك . والعلم في مواجهته للمستقبل وفي محاولته اخضاع الطبيعة لحاجة الانسان تجريبي . اما الفلسفة فهي نظرية بعيدة عن مآرب الحياة العملية وهي لا ترمي الى مد سيطرتنا على الطبيعة وانما تحاول ان تسدّد خطواتنا وتبهر سبيلنا في البحث عن الكمال والتوازن والنظام . والفلسفة لا تبتكر عمل طائفة او قاطرة ولا تخترع اختراعاً نافعاً ولكنها مع ذلك تحدد موقفنا ازاء الطبيعة والله والانسان وتمهد للعقل سبيل العمل في مناطق العلم والسياسة والاجتماع . ويرى البعض انه من الخير نبذ الفلسفة والاكتفاء بالتعويل على العلم لأنه مضمون النتائج حم الفوائد والعوائد ولكن هؤلاء الحصفاء ينسون ان حياتنا الداخلية لها مشكلاتها العسيرة ومطالبها الملحة ونحن ان كنا في حاجة الى الفروض العملية لفهم تركيب العناصر وتكوّن الكواكب فاننا في حاجة اشد الى فرض نستجلى به غوامض النفس . هذه النفس التي تتدخل في كل شيء وتطالعنا من كل مرقب ولسنا نستطيع ان ننسى شأنها الا اذا تعمدا اغماض العين وتخدير الفكر . والعلماء انفسهم مقتنعون بان اشد نتائجهم ثباتاً هي مجرد فروض . وصدق هذه الفروض متوقف على قوانين الفكر التي لا تتناولها غير الفلسفة

وكثير من الناس يتساءلون عن قيمة الفلسفة لعدم تقدمها الظاهر ولأن المسائل التي تشغل بال الفلاسفة والمفكرين اليوم تشبه نفس المسائل التي تناولها مفكرو اليونان . ونفس الحلول العقيمة تتوالى كدأبها في الماضي فلا عجب ان استبق الى فكر المشاهد لهذا الفشل المتكرر والعجز المستمر ان المسائل التي نحوم حولها الفلسفة من وراء امكان العقل . ومما يغري بعض العقول بالشك في الفلسفة تأصل العامل الفردي فيها لأن كل مذهب فلسفي يتسم بميسم صاحبه وليس من الميسور انتزاع العامل الفردي من التفكير الفلسفي . فالفلسفة ذاتية الى حد كبير وهي في ذلك نقيض العلم لأنه موضوعي صرف . ونتألم العلم يستطيع الكافة اختبارها وقبولها في حين ان غلبة العامل الشخصي على الفلسفة جعلها تبدو في صورة آراء متناقضة ومذاهب متناكرة . ورغم العلاقة المتبادلة بين العلم والفلسفة وتأثر كل منهما بالآخر فان الفلسفة لا تنمو وتترايد وتتدرج في الكمال كالعلم لأنها عبارة عن سلسلة متصلة من الفلسفات التاريخية تمثل مراحل تقدم الفكر في جميع نواحيه العلمية والسياسية والاجتماعية وموضوع هذه الفلسفات المتوالية والصلة الداخلية بينها هو مجال تاريخ الفلسفة

ويختلف تاريخ الفلاسفة عن تواريخ مختلف العلوم لأن كل علم له مجاله المحدود وتاريخه يمثل التقدم المحسوس في حدود هذا الميدان . وهذا خلاف الحال في الفلسفة لأنك عند ما تحاول التدقيق في تحديد موضوعاتها يخذلك الفلاسفة . ونفس تعريف الفلسفة مثار خلاف . وكل فيلسوف يستن له خطة خاصة ويبدأ البناء من جديد وإذا اطل الانسان التفكير في الحركات الفلسفية المتتابعة ظهر له ان مشكلات الفلسفة في مجموعها ليست واضحة الحدود بارزة المعالم مثل مشكلات سائر العلوم ولعل اول واجب على الباحثين هو تحديد هذه المشكلات وربما كان هذا وحده هو اكبر عمل للفلسفة

ولقد كان الفيلسوف ديكارت يزدري تاريخ الفلسفة ويرى الاكتفاء بالتفكير الفردي المبتوت الصلة بما تقدم ومن ماثور اقواله « لا اريد ان اعرف اتقدمتني رجال ام لا » وكان ذلك منه رد فعل قوي ضد سيطرة القدماء التي غلبت على العصور الوسطى . وقد كان الفيلسوف لينتز اقرب منه الى الحق عند ما قال « الحقيقة اكثر انتشاراً وذبوعاً مما تقدر ولكنها في الغالب هزيلة ممزقة الاوصال فاذا تتبعنا آثارها عند القدماء امكننا ان نستخرج التبر من الترب والماس من المنجم والنور من الظلام » . وليست الفلسفة أن نكتفي بالتعمق في تفكيرنا الخاص بل هي ايضا الوقوف على افكار الغير والتغلغل في بحها

وتاريخ الفلسفة نافع كل النفع في تحقيق اطراف التاريخ العام وتصحيح اجزائه وادراك مغزاه وذلك لان الاسباب النهائية لحوادث التاريخ في اي عصر من العصور مردّها الى الافكار السائدة في ذلك العصر . والافكار التي تسترشد بها الجماعات في الحركات الاجتماعية هي وليدة التصورات الادبية والدينية والعلمية وكيفية فهم هذا العصر لمعنى الواجب والحق والصورة التي يتمثل بها الكون في خطته العامة او في قوانينه الخاصة . ومعرفة تلك الافكار والتصورات تستلزم دراسة العبقريات الفلسفية التي تبوأ مكانها في تلك العصور . فالليونان في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد تتمثل في سقراط وافلاطون . والمؤرخ الذي يدون اعمال الانسانية دون ان يطيل النظر في تفكيراتها الفلسفية لا يستطيع الاهتداء الى الافكار المستترة التي تعمل وراء الحركات الاجتماعية الظاهرة . والفلسفة في الظاهر تبعدنا عن الواقعي وتنقلنا الى عالم المثال والفكرة ولكنها في الحقيقة تجلونا ما هو اكثر واقعية واوفر نصيباً من الحقيقة وليس من المبالغة ان نقول بان تاريخ الاعمال لا يدرك على حقيقته الا اذا فهمنا تاريخ الافكار

ومما هو جدير بالملاحظة ان تاريخ اي علم من العلوم ليس جزءاً من هذا العلم فثلاً تاريخ الرياضة ليس جزءاً منها . وتنفرد الفلسفة من بين العلوم جميعها بان تاريخها جزء منها وذلك لان الفلسفة وتاريخ الفلسفة غايتها واحدة وهي مشاهدة العقل أثناء اكبابه على التفكير في طبيعته وفي مبدئه وغايته

والفيلسوف هجل هو الذي وضع اساس فلسفة تاريخ الفلاسفة لانه هو الذي استكشف الفكرة التي تقوم عليها تلك الفلسفة وهي ان تاريخ الفلسفة ليس مجموعة الآراء المختلفة

سيدان خاص
المكان
هائية لتفسير
الاخرى ؟
المسترة ؟
والسيطرة
خطته وفقاً
نحري . اما
على الطبيعة
م . والفلسفة
موقفنا ازاء
جتماع . ويرى
جم الفوائد
رة ومطالبها
لكواكب
في كل
فماض العين
س . وصدق
المسائل التي
نان . ونفس
لهذا الفشل
العقل . وما
فلسفي يتسم
فة ذاتية الى
طبيع الكافة
صورة آراء
منهما بالآخر
متصلة من
والاجتماعية

والمذاهب المتلونة لمفكرين المختلني النزعات ولا هو مجرد اتساع نواحي الفلسفة واكتمال جوانبها الناقصة وانما هو العملية التي استبانت بها كليات العقل واكدت ظهورها وارتسمت في شكل تصورات واضحة معروفة . وقد اعتبر هجل تاريخ الفلسفة حركة مفردة متصلة معقودة الاوائل بالواخر

ولكن هذا الرأي النافذ العميق أضرَّ به ضرراً بليغاً اعتقاد هجل ان الترتيب التاريخي الذي ظهرت به الكليات في المذاهب الفلسفية التاريخية يلزم أن يكون متفقاً تمام الاتفاق مع الترتيب المنطقي بحسب ما يراه هجل في منطق الخصاص . فهو يرى اننا اذا صفّينا المذاهب الفلسفية من الاوشاب العالقة بها تكشفت لنا الفكرة المنطقية في مراتبها المتتالية وهي الكينونة والضرورة والوجود الخاص والوجود الفردي والكمية والكيفية الى آخره . ولكننا اذا تأملنا سير التاريخ وجدناه مزيجاً من الضرورة والنظام والحرية والفوضى ورأينا ان رابطة المنطق قد تظهر في امهات الحوادث . اما في التفاصيل المشتبكة فان الصدفة تلعب دورها ولا سبيل الى انكار تأثير الافراد في التاريخ ومهما نسبنا كل تأثير للفرد الى ظروف عصره واحوال قوميته فاننا لا نستطيع ان نسلبه حرية ارادته . وقد كان من جراء مغلاة هجل في اعتقاده ان سير المذاهب الفلسفية لا مفرَّ له من ان يرسف في اغلال الضرورة المنطقية ان اساءت فكرة الى الحقائق التاريخية المقررة حتى اضطر التفكير الفلسفي في اواخر القرن التاسع عشر ان يشور عليها لمحاولتها ان تلوي الحقائق التاريخية لتتفق معها

وانما تسرب الخطأ الى فكرة هجل لاعتقاده الخاطيء بان تقدم الفلسفة قائم في جوهره على الضرورة الفكرية التي بموجبها يؤدي ظهور كلي من الكليات الى ظهور كلي آخر بحسب الطريقة المنطقية والواقع ان سير الفلسفة يخالف لذلك من وجوه كثيرة لان سير الفلسفة لا يتوقف على نظم التفكير الانساني وتسلسل كليات المنطق وحدهما بل يتوقف ايضاً على حاجات القلب ومضات الفكر المفاجئة للافراد . فتاريخ الفلسفة باعتباره مجموعة كلية للتصورات الجوهرية لنظرات الانسان للعالم وحكمه على الحياة هو نتيجة حركات فكرية متنوعة تختلف البواعث عليها باختلاف الازمنة والامكنة وسائر الملبسات الاجتماعية

والعامل المنطقي الذي وجه هجل اليه الانظار هو ولا ريب عامل هام . وفي عودة مشكلات الفلسفة للظهور من الحين الى الحين في تاريخ الحركة الفكرية دليل ناهض على وجود تلك الضرورة الكامنة في الذهن التي تستدعي ظهورها . ونفس المشكلات تتطلب تلك الحلول التي لم يوفق فيها أحد التوفيق التام ولعل في هذا دليلاً على أن العقل لا يمكنه أن يجيد عن مواجهة مشكلات الفلسفة . وقد لوحظ في بعض العصور أن تقديم الفلسفة كان تقدماً منطقياً محضاً وانما مصدر خطأ هجل هو في أنه أراد أن يجعل عاملاً واحداً صاحب الحل والعقد في الموضوع . ونحن نخطيء في دورنا اذا أنكرنا على الاطلاق وجود منطق في توالي المذاهب

الفلسفية ورأينا في متابعتها مجرد أفكار شخصية خاضعة لاحكام الصدف . والأصدق في تاريخ الفلسفة هو ان مشتملات هذا التاريخ في كليتها يمكن تفسيرها بان الضرورة الموجودة في المذاهب الفلسفية تؤكد نفسها وتظهر حقيقة في تفكير الاشخاص مهما كانت ظروفهم الخاصة والمصادفات المحدقة بهم وعلى هذه الفكرة قامت محاولات بعض المفكرين تنظيم المذاهب الفلسفية صنوفاً خاصة . وفوق هذا الاساس بني فكتور كوزان نظريته في المذاهب الاربعة وهي « المثالية » و « الحسية » و « الارتيازية » و « الصوفية » وكوّن اوجست كونت رأيه في المراحل الثلاث . مرحلة الدين ومرحلة ما وراء الطبيعة والمرحلة الوضعية

ولكن المنطق في سير الفلسفة كثيراً ما ينقطع خيطه والترتيب التاريخي الذي ظهرت به مسائل فلسفية كثيرة كان يتم على عدم وجود الضرورة المنطقية . والسري في ذلك ان هناك عاملاً قوياً ينبغي ان يحسب حسابه وهذا العامل الهام تحاققه اتجاهات الحضارة وذلك لان الفلسفة تتلقى مشكلاتها وتتأثر في حل هذه المشكلات من حاجات المجتمع ومطالب الوعي العام . فالفتوحات العظيمة والثورات الاجتماعية الخطيرة والتغيرات السياسية البعيدة المدى وتطورات الفكر الديني وبداهات الفن وملهات الشعر كل هذه العوامل تزود الفلسفة بدوافع مستحدثة وتيارات مستجدة وتقضي باهمال بعض المشكلات ونبذها وتعليق الشأن الكبير بمشكلات اخرى والتبحر في دراستها وهكذا الى جانب الاعتماد على العامل المنطقي فان هناك ضرورة ناشئة من الحضارة واتجاه تيار الثقافة تستدعي حق الوجود لنظم فكرية لولا هذه الضرورة لما تماسكت وارتفع بناؤها الفكري

وفضلاً عن ذلك فان الحركة التاريخية في تنوع اشكالها وتجدد اوضاعها مدينة الى حد كبير للأفراد الممتازين . وهؤلاء الافراد برغم انهم اسهموا في احوال عصورهم وخضوعهم للفكرة العامة المنطقية السائدة في عصرهم التاريخي يضيفون على الدوام من طريق فرديتهم البارزة ونظمهم الاوحدى عاملاً جديداً . وهذا العامل الفردي في تاريخ الفلسفة جدير بالرعاية لان حاملي اللواء في الحركة الفلسفية كانوا من ذوي الشخصيات الرفيعة المستقلة والطباع القوية المؤثرة واذا لاحظنا في تاريخ الفلسفة تردد مشكلاتها من الحين الى الحين وعودة نفس الحلول والمحاولات فاننا عسيون بان نجد في ذلك الحجة الدامغة على خطورة المشكلات الفلسفية وعلى ان الفلسفة ليست وهماً من اوهام الخيال ولا هي تزجية فراغ ونوع من الترف في التفكير وانما هي تناول مشكلات حققة ومساائل جدية ولعل المذاهب الفلسفية المتعددة على ما بها من اختلاف وتناقض اوجه مختلفة لمذهب فلسفي واحد في نمو متزايد هو المذهب الذي يتضمن حكمة الاجيال المتعاقبة وخلاصة التفكير الانساني . وتاريخ الفلسفة يرينا كيف صاغت الانسانية تصورات هذا المذهب وكيف كوّنت على الحياة احكامها المجتمعة فيه

ة واكتمل
وارتسمت
ردة متصلة
تاريخي الذي
مع الترتيب
ب الفلسفية
ي الكينونة
ولكننا اذا
ان رابطة
دورها ولا
مره واحوال
اعتقاده ان
اساعت فكرته
مع عشر ان
جوهره على
حسب الطريقة
ة لا يتوقف
اجات القلب
ت الجوهرية
ف البواث
ودة مشكلات
وجود تلك
تلك الحلول
أن يحيد عن
مدماً منطقياً
ل والعقد في
الي المذاهب

الحياة

هاج النسيم العندليب في السَّحَرِ فهزّه الغرامُ وجداً فصفر
وغازل الوردَ على ضوء القمر وردد الفضا صداه فاستمر
والماء غنّى بخبره الشجر
وباتت الشمال ترقص الزهر

يا حبذا الالحان في الاسحار من بلبلٍ شادٍ وماءٍ جارٍ
ومن نسيمٍ مرّ بالازهار تخالهُ يلعب باللاتار
امسى له في كل دوحة أثر
وكل عودٍ فيه عودٌ ووتر

مرّ النسيمُ العذبُ والعيش حلا والبلبل العاني شدا ورتلاً
واذن الديك بنا حيّ على ... والوقت قد طاب وساعت الطلي
فاغنم الوقت وفز واقض الوطر
واجن من اللذة بالعيش الثمر

واختلط الفجرُ بنورِ البدر اذ الدَّارِي انتشرت كالدرّ
في ليلةٍ ما خلتها من عمري قتلها سكرًا وأي سكر
وكل ما شاهدت فيها قد سكر
من حيوان ونبات وحجر

واستتر النجم اذ الصبح بدا ومدت الصبا الى الورد يدا

تمسح عن جبينه قطر النداء تنثر ذاك اللؤلؤ المنضدا
فالطلُّ انجم ان النجم استتر
والروض كالسماء زاهر بالدرر

والزهر الكؤوس والطلُّ طلى بين كرام الشرب باتت تحتلى
حتى اذا الورد بها قد ثللا عربد في الروض النسيم واعتلى
فاصطكت الكؤوس والطلُّ انتثر
وانسكب الشراب والجام انكسر

بيننا الصبا والروض في وفاق تميل بالاغصان للعناق
تضمها من فرعها للساق تحكي الحبيبين لدى التلاق
اذا برح صرصر تعمي البصر
اعقبها رعد وبرق ومطر

ما ابتسم الصباح حتى قطبا اذ جاءت الريح تسوق السحبا
وبعد ما الهزار غنى طربا صاح الغراب ناعبا مكتئبا
فأعقب السرور حزن وضجر
وبان بعد صفو عيشنا الكدر

كذا الحياة شأنها جزر ومد تعاقب السرور فيها والكمد
والعين ان قرَّت بها تلقى الرمد وكل شيء ينتهي الى امد
والمرء لا ينفك يحذر القدر
والموت لا يبقى غدا ولا يذر

طهران

عباس الخليلي

صاحب جريدة اقدم الفارسية اليومية

ظاهرة دبلر

في الطبيعيات والفلك

قد اعتدنا نحن أبناء القرن العشرين سماع اصوات مختلفة كأصوات كثير من المخترعات الحديثة التي لم يتسنَّ لأجدادنا ان يروها كالقاطرة والباخرة والترام والسيارة وغيرها من وسائل النقل العديدة . واظنني غير مبالغ اذا قلت أن كل واحد منا شاهد قاطرة او باخرة وسمع صفيحها المتعالي مخترقاً طبقات الجو . ولكن قل من اعار هذا الصغير عناية واخذ على عاتقه تطبيق احد القوانين الطبيعية المشهورة التي درسها في المدرسة . وهذا ما يزيد ان نحاوله في هذه السطور ربما لاحظ القارئ وهو ينتظر في محطة ما والقاطرة مقبلة نحوه ، يسبقها صفيحها المتعالي ان الصوت يتغير تدريجاً اي يرتفع وربما لاحظ كذلك ان صفيحها يظهر آخذاً في الانخفاض ان كانت القاطرة مدبرة عنه . ولا يخفى على سكان الموانئ ان الباخرة القادمة اليهم يرتفع صفيحها تدريجاً على ضد تلك التي على اهبة السفر فان صفيحها يظهر منخفضاً تدريجاً وهي تبتعد عن الشاطئ . هذه الظاهرة الطبيعية مدونة في اكثر كتبنا المدرسية شأن غيرها من الحقائق التي كشف عنها جهابذة العلم وتعرف بظاهرة دُبلر Doppler والقانون الذي تسير بموجبه يعرف بقانون «دُبلر» . ويبدو لأول وهلة ان هذا القانون عديم الفائدة او قليلها لا يستحق الالتفات اليه وانعام النظر فيه ولكنه كبقية المكتشفات التي احتقرها الناس لجهلهم اياها له اثر خطير في تاريخ الفكر البشري وبوجه خاص في الطبيعيات والفلك

ولد دُبلر مكتشف القانون المنسوب اليه في سلسبورغ من اعمال النمسا وانتظم في جامعة فيينا حيث درس الطبيعة ومهر فيها وربما اكتشف قانونه وهو بعد في سلك التعليم واخذ في تفسيره سنة ١٨٤٣ ففرض كما فرض علماء زمانه يومذاك — وفرضهم اصبح اليوم حقيقة مقررة — أن الصوت ليس سوى اهتزازات دقائق الهواء او امواج تسير فيه . فالقطار والعربة والناقوس ترسل امواجاً حين اخراجها للصوت تلتقطها آذاننا فتقرع طبلة الاذن وتنقل الى الدماغ وتختلف هذه الامواج بعضها عن بعض طولاً وقصراً كما ان الاصوات تختلف علواً وانخفاضاً وسعة والصوت العالي او المرتفع هو ما كانت موجاته قصيرة فتكون سريعة الاهتزاز على الضد من الصوت المنخفض فامواجه طويلة قليلة الاهتزاز بطيئته . وتبين صحة هذا القول عندما ننصت لاصوات الآلات الموسيقية المختلفة من بوق وارغن وكمنجة وقرنيطه وعود وغيرها والقطار عند صفيحه تنطلق منه امواج صوتية تهتز اهتزازات معينة وتسير بسرعة ٣٣٣ متر في الثانية فاذا كان القطار مقبلاً نحونا اندفعت الامواج الكثيرة الى الامام فتتجمع امام اذننا كأن ثانياً يضغط سابقها ، وكلما اقترب منا قصرت المسافة بيننا وبينه ونظراً الى كثرة

الامواج وازدحامها تجبر على الانكسار فتقسم الطويلة الى اقصر فنقول عند ذلك ان « الصوت يعلو تدريجاً ». ويتبين ذلك لرجل واقف عند شاطئ البحر وامواج البحر تهجم وتتكسر عند رجله فيرى كيف الامواج تصغر — تقصر — كلما دنت منه ويتعالى هديرها. هذا عند اقبال القاطرة نحونا امامنا ادبارها اي ابتعادها عنا فيجري عكس ما سبق. فالقطار المدبر يرسل امواجه الصوتية المعهودة والمسافة بيننا وبينه آخذة في الزيادة والنتيجة ان الامواج يصبح لها مدى اوسع فتأخذ في الاستطالة اي تقل ارتجاجاتها فنقول ان الصوت قد اخذ في الانخفاض. هذا ما يعلل به علماء الطبيعة هذه الظاهرة ودعاهم الكبري في ذلك ان الصوت امواج او ارتجاجات دقائق الهواء وربما يسأل القارئ نفسه كما سأل كاتب هذه السطور السؤال التالي : اذا كان صغير القطار وهو مقرب نحونا يرتفع تدريجاً افلا يظهر كذلك اذا كان القطار واقفاً ونحن الذين تقترب اليه ، والجواب عن هذا السؤال بالايجاب ، فان المسافة والسرعة في الكون نسبية كما ابانت نسبية اينشتين الحديثة ومن اراد ان يتحقق ذلك فلينصت الى اجراس الكنيسة وهو مقرب نحوها فيسمع صوتها يعلو تدريجاً ان كان آنياً نحوها وهي تقرع وينخفض كذلك ان كان مبتعداً عنها. وانما الفرق في شعورنا في الحالين يختلف لان سرعة اقبالنا نحن او ادبارنا نحن ابطأ كثيراً من اقبال قطار او ادباره فالاختلاف في ارتفاع صوت الناقوس او القطار لا يبدو جلياً بقي القسم الثاني من قانون دبلر اعني أثره في علم الفلك والبحث فيه شائق طريف فلما نخلو من اللذة والفائدة. واذا علمنا الفوائد التي جناها علم الفلك بواسطته عن حقيقة النجوم والسيارات والثوابت القريبة من ارضنا وحركة مجموعتنا الشمسية والمجرة وسرعتها في الفضاء اللانهائي — اقول ولو عرفنا ان ما دعا اينشتين ودي ستر الهوللاندي للبحث في تمدد كوننا وتقلصه وفي صدق نظرية النسبية والكم — انما يرجع الى النتائج التي اسفرت عن تطبيق قانون دُبلر لادر كنما لهذا القانون من الشأن في صدر علماء الفلك

يعلم اكثر التلامذة وغيرهم من المتعلمين النظرية القائلة بأن الضوء أشبه بالصوت وانه ليس الا امواجاً اثيرية تنطلق من الجسم المضيء الى شبكية العين حيث تؤثر في الاعصاب فترى الاشياء وتحقق وجودها. وهذه المعرفة مع بساطتها والسذاجة التي يظن انه تنطوي تحتها لم يعاها امير الفلاسفة نيوتن ولا من سبقه من علماء الطبيعة الذين كشفوا عن نواحيها الازلية. واظن ان القراء يعاينون النظرية الذرية في الضوء Corpuscular Theory التي اثبتها نيوتن في كتابه « المبادئ » Principia وبقيت هذه النظرية الى ان تصدى لها العالم الهوللاندي هو جنس سنة ١٦٦٠ وقاومها قائلاً : انها لا تستطيع تحليل خواص النور كلها. وادعى أن الضوء امواج اثيرية لا ذرات مادية فقد الضوء عند ذاك صفة المادة واصبح امواجاً يتقاذفها بحر مجهول الكنه والمادة دعوه الاثير. وقد لقيت هذه النظرية، نظرية الامواج Wave Theory رواجاً عظيماً بين الاوساط العلمية اولا لبساطتها في تحليل جميع مظاهر النور — كما كان

يظن — وثانياً لأن لكل جديد طلاوة ظريفة . وظلّت هذه النظرية حتى أواخر القرن التاسع عشر النظرية الوحيدة التي يعتدّ بها العلم لأنها ثبتت امامه في بوتقة التجربة والامتحان الطويل . ولكن ما عزم أن أتى القرن العشرون حتى ظهر أن نظرية الامواج امست على وشك الانهيار . وما تجارب الدكتور جوزيف طمسن وابنه وولبرفس وبلنك إلا برهاناً واضحاً على فشل هذه النظرية في بعض نواحيها . وكان البروفسور بلنك من جملة من حمل عليها حملته الشعواء فهاجمها بسلاح التجربة والبرهان وقال بأنها امست على فراش الموت ووضع من ثمّ أسس نظرية جديدة تعرف في علم الطبيعيات بنظرية الكم Quantum . وقد بسطها المقتطف سابقاً بأسلوب رائق سهل التناول وعلق عليها قائلاً : نظرية الكم كأخها نظرية النسبية من ثمار الفكر الالماني زعزعت كثيراً من معتقداتنا القديمة وانزلت جلاله « السببية » عن عرشها القديم وقد يدرك اللبيب أن قانون دبلر لا يصح في علم البصريات الا اذا عُدّ النور أمواجاً أثيرية وهذا ما وعدنا به هوجنس في نظرية الامواج فلنبسط بحثنا اذاً لنرى أي مكان لقانون دبلر من الاعراب . جاء في كتاب المبادئ لنيوتن أن النور مركب من سبعة ألوان أولها الأحمر وآخرها البنفسجي وقد اثبت ذلك نيوتن وهو طالب حديث السن وجاء هوجنس ففسر لنا هذه الالوان قائلاً . انها امواج مختلفة الطول والقصر فهي مختلفة الارتجاجات كما تختلف اصوات السلم الموسيقي تماماً في الارتفاع والانخفاض نظراً الى اختلاف طولها وقصرها وذكر من ثمّ أن اقصر الامواج في ألوان الطيف هي للون البنفسجي وأطولها للون الأحمر ولنفرض أن شعاعاً آتية الينا من نجم سحيق في بعده ثابت في مركزه فأمواج نوره تبقى بلاشك على ماهي عليه من لون طيفه اللهمّ اذا لم يعتبر ذلك النجم كارتة عظمى تمحو أثره من الوجود . ولكن لو فرضنا أن النجم مقبلٌ نحونا بسرعة عظيمة فلا بدّ من ملاحظة تغيير يطرؤ على طيف نوره اعني انه لا بدّ أن يحدث للامواج الآتية الينا منه كما حدث للامواج الصوتية الخارجة من صغير القطار المقبل أي تقصر وتميل نحو اللون البنفسجي وذلك لأن الامواج البنفسجية هي اقصر الامواج كما أن الصوت المرتفع اقصر الامواج الصوتية . ولو كان لدينا آلة بصرية دقيقة تستطيع أن تدوّن لنا هذا التغيير — كما هو السبكتروسكوب اليوم — لتوصلنا الى معرفة هذا النجم باستعمال قانون دبلر ولنفرض كذلك أن نجها آخر يسمح في الفضاء يبتعد عنا بسرعة ١٠٠ ميل في الثانية فلا بدّ لسرعته العظيمة هذه من أن تؤثر في طيفه وحالته تكون اشبه بحالة القطار المبتعد عنا أي أن امواجه تطول فيقتل اهتزازها فتميل او تحيد نحو اللون الأحمر لأن امواج الأحمر اطول امواج الطيف المرئية . ولو استطعنا ايضاً حساب هذا الاختلاف لتسنى لنا معرفة سرعة هذا النجم الشاسع . وبمثل هذه الاستنتاجات أخذ علم الفلك يفحص اختلاف طيوف النجوم المرصعة للقبعة الزرقاء تطبقها بموجب هذا القانون اسفر عن نتائج غريبة جداً وبعيدة عن التصديق والاحتمال . فقد ثبت ومثلاً أن لبعض النجوم سرعة تزيد ١٥٠ ميلاً في الثانية مقتربة من سيارنا وظهر أن أخرى تبتعد عنا

بسرعة تماثلها . وعرف ايضاً ان مجموعنا الشمسي يسير في الفضاء اللامتناهي بسرعة ١٢ ميلاً في الثانية ويزعم بعض الراصدين في مرصد جبل « ولسن » ان سرعة الاجرام السماوية تزداد ببعدها عنا وظنوا أن نظرية النسبية تؤيد مزاعمهم فالنجوم التي تبعد عنا ١٠ ملايين سنة نورية لها سرعة تقارب ٩٠٠ ميل في الثانية والتي يحتاج نورها الى ٥٠ مليون سنة للوصول اليها لها سرعة تقارب ٤٥٠٠ ميلاً في الثانية . والعمليات الرياضية في هذه المسائل تستوعب زمناً طويلاً وتفكيراً عميقاً حاداً ولكن النتيجة التي توصلوا اليها بعيدة الاحتمال جداً فضلاً عن انه اذا تمادينا في البعد وحساب السرعة وجدنا ان هناك في آخر اركان الكون — ولا اركان للكون — اجرام تدور بسرعة النور، وهو قول تنفيه نظرية النسبية على خط مستقيم . والعجب كل العجب ان العقل الذي ابداع قوانين الرياضيات هو نفسه يعجب للنتائج التي توصل اليها ولا يكاد يصدقها . فلا غرابة اذا قام بعض الباحثين لانتقاد هذه الاعداد الغريبة ولتأكيد عدم دقتها واشهرهم جيمس جينز مؤلف كتاب « الكون المغمم بالاسرار » وزفسكي استاذ الطبيعيات في جامعة كاليفورنيا بأميركا . قال الاول ما خلاصته :

ان النتائج التي حصلنا عليها لسرعة الاجرام السماوية ليست حقة انما فيها كثير من المبالغه وذلك لانها لم تقس رأساً كما قيست ابعاد النجوم بل باستخدام قانون دبلر في خص طيوف النجوم وقياس زاوية الاختلاف فيها ولكن هناك مسببات اخرى قد يكون لها المقام الاول في جعل الطيف ضارباً الى الحمرة والزرقة فالشمس مثلاً يحمر لوناً عند الشفق والغسق فتكسب الغيوم لوناً احمر فانياً وذلك لمجرد مرور اشعتها في جو الارض . وهناك سبب آخر ارتآه الفلكي دي ستر وهو ان البعد ايضاً يجعل لون النور مائلاً نحو الحمرة حتى ان البعد السُدْم اذا ساعنا بأنها ثابتة تظهر لنا احمرأ عند رصدها . بقي علينا لتعليل الاستاذ زفسكي لهذه المسألة الخطيرة وهاك رأيه :

ان الاشعة الصادرة من النجوم والسدم تصادف في اثناء سيرها في الفضاء كثيرأ من الالكترونات الضالة السابحة فتتحرف بتأثيرها عن سيرها فيحمرُّ من ثم طيفها الواصل اليها . ولا إثبات رأي زفسكي رُصد عدد من السدم المتساوية الابعاد تقريباً واختيرت بحيث يكون البعد بينها وبينها تارة محتشداً بالمادة وطوراً قليلاً فأسفرت النتيجة عن ان طيف الاولى كان اشد احمرأ من طيف الثانية كما ابانت معادلات زفسكي الرياضية . وعلى ذلك لا تكون هذه النجوم السحيقة البعد عظيمة الحركة كما زعم الفلكيون سابقاً . وتفسير ميل طيفها نحو الحمرة لا يتأتى عن سرعتها خسب ولكن لتعليل زفسكي المقام الاول لهذه المسألة . اذ ثبت ان هناك عوامل خفية هي السبب في جعل طيف النجوم ضارباً الى الحمرة وجهلنا بهذه العوامل هو الذي جعلنا نعتقد ان الحمرة ناجمة عن سرعتها . وقد اخذ العلم يكشف النقاب عن هذه العوامل السرية .

السوپرمان

او « الانسان الكامل »

« السوپرمان » أو « الانسان الكامل » هو تلك الصورة البراقة الرائقة من « الانسانية الناضجة المستكملة الجوانب التي لا تعتور أسوار متانتها ثغرات من الوهن أو فتحات من المثالب بل هو « الحلم الذهبي » الذي يداعب آمال « البشرية المعاصرة » ، ويتبدى خطوطها كما تتبدى الغادة الهيفاء أمام عيون العاشقين فتنة متحركة تستهوي الالباب بسحر جمالها الخلاق بل هو غاية المطاف من المعارج ترقاها البشرية على مدرجة التطور نحو المثل الاعلى الذي تطمح اليه ، وتوجه جهودها المتواصلة النشيطة نحو بلوغه : ليمثل في يدها عصا سحر تبدل آلامها المضنية حالة راضية مرضية من السعادة والرفاهية بل هو ذلك الندى المبارك الذي تشرّب اليه زهرات الانسانية تستنزله في شوق ولهف لتتفتح اكمامها عن شذاها العطري المتأرجح الذي يروح عن النفوس بعد أن استبدت بأفئاف تلك الراحة الخائقة التي نشرها روح النضال بين « أفراد النوع » : مدفوعين بعوامل الانا والاثرة ، التي تحلي حب الاستعلاء والسيطرة ، جرياً وراء مطامع أثيمة من التسخير والاستغناء بل هو تلك المرحلة النهائية التي تبلغها البشرية في تطورها : بعد أن تعبر جسراً من المتاع وتخوض بحراً من المصاعب المجهولة . . . فإذا ذاك — وإذا ذاك فقط — تلعب الانسا أجد أدوارها على مسرح الحياة ، بل تقوم بأشرف واجباتها نحو مختلف مظاهرها أفر وجماعات ، ونحو بارىء الاكوان الذي استخلفها في الارض

خصائص السوپرمان

ولعمري لن يستطيع الانسان أن ينهض بأعباء تكاليفه الجديدة الا وهو مزود بأسلحة اخرى من كيانه المتجدد : الذي سيتكيف أعمدجه وفق قالب من تفاعيل التطور والارتقاء وسيتكشف هذا التطور في الشخصية الانسانية عن تقوية مقوماتها المادية والعقلية والاد والوجدانية : كما سيكفل تحقيق التوازن بينها ، وتنظيم روابطها ، بحيث تتساند وتعاون وينتفي عند بعضها الاستعداد للطغيان على حساب البعض الآخر

ولكن ، على أية صورة سيتسق هذا الطراز المرموق للانسان الكامل ؟ وإلى أي مدى سيتم مجال النشاط أمام مقومات شخصيته ؟ سنتنظر من السوپرمان أن يكون ذا جد

صحيح قوي متين ، سليم التكوين ، يتمتع بمرونة الاجهزة والاعضاء ، وحرية نشاطها في الاداء وسننتظر من السوبرمان مواهب عقلية فذة : كريمة الجوهر ، رائعة الاثر ، بمقدار ما ستحرر من شوائب القصور عن التعمق في الادراك ، والعجز عن استكناه الحقائق وطبائع الاشياء وذلك بفضل ما سيتسع امامها من آفاق جديدة لدقة النظرة وسلامة الارتياح : نظرة شاملة كاملة مستوعبة تستعين بالاخيلة الابداعية والحافظة الواعية والارادة الحديدية على فتح المجاهيل المغلقة امام الذهن ، ليرتادها منتقياً عن النواميس المكنونة ، فيضم كل حلقة الى سلسلتها ، ويرد كل فرع الى اصله ، ويرجع كل فرد الى نوعه ، ثم يستخدم الجميع وما يستجد من كل جوهر فرد ، في كشف عوالم فكرية اخرى : يسخرها بدورها مع غيرها في تحقيق اغراضه ومطامحه وما تصبو اليه الجماعة الانسانية كافة من سعادة ورخاء وطمانينة وسلام وسنطمح من « الحاسة الفنية » في « السوبرمان » بأزهى ما يفيضه طيفها من باهر الالوان : وأشجى ما تترنم به بلايلها من فأن الانعام في ساحر الألحان : لتألف من تلك الالوان وهذه الألحان صورة مناجية : وأنشودة داعية : نحو الكمال في أروع مثال : تحت قبة التأخي والوحدة الوارفة الظلال

وسيتجلى السوبرمان في صفاء « روحانيته » : بعد أن يتخلص تيارها من رواسب القلق والحيرة ، وبعد أن ينجلي عن روائها صدى الغرائز ونوازع الآثرة ، وبعد أن يسبح ما ترسف فيه من أغلال المادية المركوزة المستقرة ، وبعد أن ينجاب ما يظلمها من غيم الفردية المنقبضة المتحجرة : فاذا هي روحانية نقية طاهرة ، مجلوة متحررة طليقة طائرة : تسبح في جو جديد فسيح تعطره نسائم الحنين الى التسامح ، ويخفق فيه الضمير الانساني بهمسات هاتفة تمجد الاخاء والمساواة وتعري بالاندماج بل التلاشي طي تلايف الروح الاعظم الذي ينتظم العالم والاكون جميعاً

نظريـة السوبرمان في الميزان

ولقد طالما كانت هذه الصورة الاخاذة التي اسلفنا عرضها عن السوبرمان موضع تشكك طائفة من الباحثين ، ويأس من امكان تحقيق نظريتها التي تسمو في تقديرهم عن مستوى المعقول. فراحوا يرصدون عليها اشتاتاً متناثرة متنافرة من جدل سقيم لا ينهض ، وتقنيد عقيم لا يدحض (١) ذلك انهم زعموا ان « عقل » السوبرمان الهائل الجبار سيستنزف مقداراً كبيراً من قوة الانسان . فيضعف جسمه ، وهو الاساس في التغذية والاصل في التكوين — لكن ذلك تعسف منهم في تأويل قانون الطبيعة في « المنح والاستعاضة » ، وقياس مع الفارق البعيد على ما نشاهده من حال بعض النوابع الذين يضطرب ميزان كيانهم . فترجح كفة عقبريتهم نظيرتها الجسدية . والعلة في خطأ هذا الدليل كامنة في اختلاف اساس القياس. اذ ان السوبرمان ان يتطور بأحد شطريه ، متخلفاً بالآخر عن النهوض والملاحقة في نفس الميدان ، بل سيستعيز

من « الانسانية »

حالت من المثالب

بدي خطوطها

برجالها الخلاب

مثل الاعلى الذي

عصا سحرية

شوق ولهفة :

تبدت بانقسامها

بموامل الانانية

غير والاستغلال

سراً من المتاعب

تلعب الانسانية

مطاميرها أفراداً

ومزود بأسلحة

طور والارتقاء ،

لعقلية والادبية

ماند وتعاون ،

والى أي مدى

يكون ذا جسم

من جسمه جسداً آخر مختلف الخصائص والوظائف كما سبق البيان وسيكون هذا الكيان المادي كفيلاً بحمل ما قدّر ان يستقر على عُمُده من قبة العبقرية الذهنية المشخّمة وسيتعهد هذا الكيان الجسدي عوامل مختلفة. من نواحي التربية والفسولوجيا وغيرها. يميّط عنها اللثام ما يعالجه العلم من بذل الجهد والتجارب في هذا السبيل. بل اننا لنأمل من الآن نواة هذا التطور المنتظر: — فأمامنا نظم التربية في دول كثيرة كالمانيا وإيطاليا وتركيا تتجه بوجه خاص نحو الاعداد الرياضي لتقوية الابدان وتنميتها وتمريسيها بالقيام بوظائفها على كل اسلوب ينفي بالغرض المرتقب. وأمامنا كذلك تلك الغاية التي يلج وراءها البحث الحديث لتحسين النسل وتهذيب النوع حتى نظفر بنماذج سليمة قوية لا تشوّهها العلل ولا يمسّخها النقص في التركيب وأمامنا أمل فسيح الرحاب في ان يكشف العلم الحديث ما غمض في الجسم من نواحيه الفسيولوجية، كما كشف أخيراً عن « الغدد الصماء » ذات الاثر الحيوي في نشاط وظائف الاعضاء ولا يزال في مضمار البحث متسع بعيد المطارح مترامي الآفاق. ولن تزال المهمة مبذولة لاستجلاء ما في هيكلنا الجسدي من استعدادات وخصائص كامنة: هي اما مجهولة الاثر واما راکدة يعوزها التطور لتنضج وتتجاوب مع نشاط واحد أو آخر من الاجهزة العاملة. وما يدرينا ان يهتدي علم «الكيمياء العضوية» الى سر ما اغلق حتى الآن من خصائص المناعة وغيرها مما تتطلبه سلامة الجسم من المرض او دقة مكافئته على اهون سبيل وأسرع اجراء؟ ثم ما يدرينا ما تنقلب اليه البحوث الطبيعية من استغلال ما في كياننا الجثماني من ذخائر الكهربائية والمغناطيسية في سبيل فتح بديع جديد يأتي بالخوارق والمعجزات في علم الطب وطرق العلاج والنهوض «بحيوتنا» نهوضاً وثاباً قد لا يأتي تصوراً على الغاية من اثره وخطره؟ (٢) وحسبنا هذا القدر تأييداً لنظرية السوبرمان من الوجهة الجسدية. ولنعمد اذن لتناول ما يسوقه المعترضون من اوجه اخرى. فهم يزعمون ان مسألة التطور ان هي الا فرضية بحثة هيات ان تتحقق. وهم يدللون على هذا الزعم بتخرجاتهم الجريئة لفلسفة « كانت » عن « الزمن ». فما دام « كانت » قد اثبت ان الزمن ليس له وجود مستقل او حقيقة ذاتية، فليسقط اذن في تقديرهم كل اعتبار يمكن ان يقوم لنظرية « التطور ». لان التطور يستلزم جسراً من « الزمن » يعبره ويتخطاه الى غايته — لكن هذا الاجتهاد يحجيء من عندهم بناء على غير اساس صحيح، وايراداً على غير قياس صريح، ذلك ان فلسفة « كانت » ذات كيان «مطلق» لا يمكن ان ينصب في قالب ما نحن بسبيله من «النسبيات». اذ القاعدة لديناموجودة يخضع لحكمها « انسان العصر » و « السوبرمان » على حد سواء. لانهما يساهان بنصيب متعادل فيما اصطلحت عليه « البشرية » من « اقيسة زمنية » هي وليدة ادمغتها وصنيفة ما جرى عليه تفاهمها وعرفها، بل ميراث اجيالها وأطوارها على ظهر الارض، ما بقيت

الارض تعمرها مظاهر الانسانية في مختلف عصورها وشتى صورها. وسيظل «التعامل الذهني» بأقيسة الزمن مستمرًا قائمًا ما اقام «الانسان» على ظهر الارض «حيًا»: لان الزمن «كائن تصويري» تمخض عنه «الفكر» تحت تأثير «ظرف مكاني» معين هو الموضع الذي تحتله الكرة الارضية في الكون كوحدة من المجموعة الشمسية

(٣) هذا ولقد أثار المتشائمون غبار اعتراض آخر في وجه نظرية السورمان. فلم يفلحوا في غير استشارة كوامن الدهشة لهم والاشفاق عليهم، رغم ما حاولوا أن يستروا ضعف حججهم بطلاء خجول من رأي الفيلسوف «شوبنهاور» أقحموه على غير مناسبته وفي غير موضعه: فهم يرددون معه أن «العقل لم يخرج من أيدي الطبيعة ليعلم حقائق الاشياء، بل ليرينا كيف نحصل على القوت... هذه الوظيفة الحقيرة!!».... لكن أنا الزعيم لهم أن «شوبنهاور» لم يقصد الى ما لالفاظه هذه من دلالة سطحية.. وإنما توخى أن يستنفر بأسلوبه الساخر هم الباحثين وغيرهم من «العقلاء» للتأمل الدقيق المتغلغل الذي ينفذ وراء «القشور» الى أعماق «اللب» حتى يكون «العقل الانساني» قد أدى بذلك غايته العليا ولم يعطل أداء ما خلق لتحقيقه والاضطلاع بأعبائه من أنبل المهام وأشرف المرامي

أما ان العقل أداة رخيصة كما يريدون أن يهبطوا بقدرها، فذلك ما نستعيز منه بالانسانية الكاملة التي تنزه بطبيعتها عن الاسفاف الى هذا الدرك السحيق، وحاشاها أن تستوي «بعقليتها» مع سائر المخلوقات بل الحشرات الدنيا التي تلهمها «الغريزة» وحدها سبل الحصول على القوت... تلك الوظيفة الحقيرة!!... بلى! فهذه طبائع الواقع ومنطق الحقائق وخصائص التكوين تتحداهم أن يطلقوا على صروح سلطاتها وعول سفسطهم ذوات القرون الزجاجية الهشة المتشعبة... ولسنا بحمادين عند هذا الحد السابي من المحاجة والمقارعة وان كان فيها كل دليل مقنع: يسمو على أي تطلع: ويدق دونه كل مطمع.... فهاهي باحة «الايجابيات» مفتحة الأبواب فسيحة الرحاب، فلياجوها يروا من آثار العقل الانساني العجب العجائب الذي يبهز الألباب، وليتفقدوا اذن كل ما أبدعه الفكر في نواحي نشاطه المتعددة من علوم وفنون وفلسفة وآداب.. وليتمثلوا كل أولئك ليعلموا بعد ذلك أن مثل هذا الانتاج الفياض يترفع بكرامة عنصره وجوهر مصدره عن أن يحبس كل ذاته على خدمة المآرب الحيوانية الصغرى، واشباع الحاجة الطبيعية الى الغذاء، فالانسانية تأبى بشرف مقاصدها ونبل جهودها، كما ترأبأ بها حكمة وجودها، عن أن تعيش وتحيا وتموت، لغير وجه البطون وجمع القوت!! وبعد، فما العقل في صميم غايته الا أداة لتأمل الحقائق الماثلة والصعود على أجنحتها الى عالم الاسرار القصية المجهولة: حتى اذا ما كشفها ثم عرفها، وضعها تحت تصرفه من وجهتين:

الكيان

معرفة

ما غيرها.

نامح من

اليا وتركيا

ها على كل

لتحسين

في التركيب

نواحيه

الاعضاء

مبذولة

الأثر واما

الاملة. وما

من المناعة

ع اجراء؟

من ذخائر

علم الطب

ه وخطره؟

ذن لتناول

لا فرضية

«كانت»

يقظة ذاتية،

ور يستازم

عندهم بناء

ذات كيان

ناموجودة

ما يساهان

دعة ادمعتها

ن، ما بقيت

فأما الأولى فهي استغلال النواميس الكونية لمصلحة الإنسانية وفق حاجاتها المادية والوجدانية وأما الثانية فهي تنظيم أشتات هذه النواميس المتفرقة : بحيث يؤلف من حباتها عقداً : ومن أشلائها جسداً : ومن اجزائها واحداً فرداً ... فتمثل له دقائق الوجود وحقائق العالم كما تسلكها جميعاً قوانين الطبيعة الخالدة التي شرعتها روح الوحدة الأزلية بحكمة أسرارها السرمدية ... وهو بعد مكثف بأعجاز الأثر ، عن الظفر بما يعز من استكناه الجوهر ، وواجد عزاء الاقتناع وسلوى الاطمئنان في بعض ما هدهد اليه بحثه . كالكهرباء التي ولد قواها وانتفع بمظاهرها : وإن أبهظت كاهل ادراكه اعباء أسرارها ...

عندئذ تتجرد من جلال هذه التأملات مشكلة وجدانية تغمر جنبات اليقين بأشعة ضوئها : وتهتك حجب الحيرة امام الروح فتطمئن الى بارئها . بل ترقى الى فيض الانوار العالوية : تزيد مما يتجلى عليها ، وتزود بما يلهمها سبل الرشاد والتوفيق في حسن القيام بواجباتها نحو خالقها وما ابدع في الاكوان !

(٤) الى هنا وتنتهي المعركة بيننا وبين المعارضين لنظرية السوبرمان

فلننظر نحن في آخر حلقة من النظرية : لتكمل السلسلة وتنتهي المساجلة . ولنسأل إذن : الى أي مدى يصل التطور بالقوة الأدبية لدى السوبرمان ؟؟ لاشك أنها ستنتعش وتنمو وتزدهر وتؤدي أكلها ثمراً جنيهاً شهيماً ! ولسنا نسوق القول على عواهنه ، دون تدبر لمعنى ظواهره وبواطنه . بل أن الشواهد على صحته لتتطرق بأجلى بيان وأنصح برهان . وها هي الإنسانية فلنستعرض اطوارها وعبر سيرها : لنرى كيف انتقلت من حمأة الذلة والسخرية والعبودية : الى مكانتها العزيزة في مجبوحة الحرية والاعتداد بالكرامة الفردية ، ولنرى كذلك كيف تجاوبنا «الروح الادبية» في الانسان مع ما أحاطها من ظروف وملابسات : تفاعلت معها وتخذتها مادة لغذائها ، وصفا جوهرها في بوتقتها ... أجل ! فلقد موتها العلوم بذخاير المعرفة فتدبرعت بسلاح التفهم لحقائق الكون والتقدير لذاتها . ثم أنارت لها الفلسفة السبيل الى تحديد الروابط وتصحيح الاوضاع وتنظيم العلائق : فعرفت لنفسها شرف قدرها في الوجود واستأنست لكرامة منزلتها في الحياة ثم أهاب بها هاتف الوجدان اليقظ المتنبه : فانتفضت وتعلمت ، وذكت جمرتها تحت ضغط العقائد السائدة : وفنقت قشرتها بعزم لبابها تحت تربة التقاليد البائدة : متطلعة الى مزاولة مهمتها في حياة جديدة : تتسم فيها عبير «تقرير حقوق الانسان» وتستدفئ فيها بأشعة حارة منعشة من شمس الحرية والديمقراطية . . . وشتان إذن بين رايها الحاضر ، ومستقبلها الزاهر المنتظر على أوج الغاية من التطور : وبين ماضيها الكدر المنحدر : حين كانت في عهود الاقطاع : من سقط المتاع !!

السوبرمان على جنباهي الزمن

والآن لحظة سريعة متمعة متبينة : تجوس خلال حقب الزمان : لنرى هل تضامنت دفئا خاليه وحاليه على غير حظ قليل او كثير من أمثلة للسوبرمان : جادت بها الطبيعة على صورة من الصور ؟ ولنرى هل بذلت الطبيعة هذه النماذج في سخاء المسرف المبذر : ام في شح البخيل المقتر ؟؟؟ ... أما في عصرنا هذا فان الانسانية لم تحرم من مظاهر امثلتها العليا . لكن أغلب الظن أنها امثلة متخيفة الاطراف : وان سمت خصائصها فوق مترامي الاطراف ! وهاكم الناحية العلمية شاهدة بادهة في شخص « اديسون » و « ماركوني » و « اينشتين » وغيرهم .. كما يمثل الجانبان الفني والجسدي في شخص « تاغور » .. ولعل « غاندي » أروع مثال للشخصية العامرة : بقوتها الادبية الجياشة الزاخرة : وجلال روحانيتها الساحرة المسيطرة : تلك الروحانية المتشعة بطيالس الزهد والتصوف والغيرية : التي تستمد الرفد من بعض مناحي القداسة ونبيل السمو في شخصيات النبوة ... والانباء أبداع مثال للانسانية الكاملة التي حبتها العناية بنفحاتها السامية ... فلا غرو ان استووا امام الانسانية صراطاً مستقيماً للحق النير : ولا غرو ان اتسقوا على رأس الانسانية تاجاً من الكمال يتلأأ ويتوهج ! !

على ان العصور القديمة والمتوسطة قد استخلصت هي الاخرى من ربة الطبيعة فلتات فذة من الابطال الذين امتازت بعض مقومات شخصياتهم بنحو جبار . سواء اكان ذلك من الوجهة الفنية « كرفايل » ، او الجسدية كشجعان اسبرطة ، او الخلقية « كجان دارك » ، او العلمية كبناء الاهرام ، او الفلسفية كأفلاطون وسقراط والغزالي وابن خلدون . فالى مثل مواهبهم الطامية الطاغية يرجع الفضل في ازدهار الحضارة التي تفتأت الانسانية وارف ظلالها . وارثفت من فرات مناهلها

والآن بعد هذه المحبة على محيط الزمن ، في جزائر حاضره وساحل ماضيه النائي . لنرجع البصر كرتين ونطلقه مرة اخرى الى شاطئ المستقبل البعيد المترامي . ثم لنهتك حجب الغيب وسجف المجهول بأشعة تصورنا . ليتبدى لنا ما ستثمره تفاعيل التطور في الشخصية البشرية والظواهر الطبيعية والحقائق الكونية : من « عالم سوپرماني » تعمر فيه أجيال متتابعة من الانسانية الكاملة في أتم تكوينها وأبداع مثلها العليا

ترى أي نظام سيسلك الروابط بين الافراد والجامع ؟ واي مبادئ ستسود قواعد الحياة في الاصول والتفاريع ؟ ... لا مراء في ان الجواب على هذا السؤال الدقيق تستهدفه المجازفة بين حافتين خانتين من الرجم بالغيب : وغياهب الغموض والريب . . لكن هذا الجواب مع ذلك هو النتيجة المنطقية لما اسلفنا من مقدمات التصوير لشخصية السوبرمان ، وما تندعم عليه من خصائص تستتبع تشييد الكيان الاجتماعي على اسس صريحة وطيدة من التعاون البريء السخي

الوجدانية

نداء : ومن

ق العالم كما

أسرارها

، وواجد

ولد قواها

ن بأشعة

ض الانوار

سن القيام

ولنتساءل

استنقش

دون تدبر

، وهاهي

والسخرة

لنرى كذلك

فاعلت معها

خاثر المعرفة

السبيل الى

في الوجود

ظ المتنبه :

بعزم لبابها

عبير « تقرير

.. وشتان

وبين ماضيها

السيال وفق ما ترسمه مبادئ الاشتراكية في أبداع نمط من التطبيق نستودعه الآن ذمة الخيال على ان الواقع المحسوس يلهمنا الاطمئنان الى تحقيق هذا الخيال : وان بدا ضرباً من الحال . وها هي آذاننا لا تزال تدوي فيها بين الحين والحين صيحات مستصرخة من هنا وهناك : تنشذ التعاون بين الامم والتضامن بين الشعوب : نهوضاً بالانسانية من كبوتها : واقالة للمدنية من عثرتها — وانا اعترف بما لهذه الدعوة من جلال : وما لها من أثر قوي فعال . . ولكن في الوقت نفسه اعترف كذلك بما تنطوي عليه هذه المناشدة من دوافع منتكسة وغاية منعكسة . . فالمسيو « بريان » — مثلاً — كان يعرض في سبيل السلام مشروعه الخاص بالتعاون الاقتصادي بين جماعة الدول الاوربية لكنه لم يكن يبذل جهده — عن عمد او عن غير قصد — لوجه السلام حباً في السلام ! لان هذا النظام الجرمي من شأنه ان يوقع الاضطراب في ميزان المبادلات التجارية الدولية كما تقتضيها طبيعة الاقتصاديات في العصر الحاضر ومن ثم يتولد شر الحقد والبغضاء : فتلهب النفوس بروح المنافسة الهوجاء : وتنقاطر زمراً الى ميادين الحرب الشعواء ! واخيراً لنستمع قليلاً الى « ولز » وهو ينشر في العالم رسالته ويبشر بالدعوة الى التعاون : منفراً من الحرب في نذر هلوع : وتحذير جزوع . . افلا نلقبه يستوحي الخوف والاشفاق من احوال الحرب وغوائلها وفق ما يحصر جهده في دائرة التصوير لما ستكون عليه معداتها من فتك ذريع يعني على كل ار : فلا يبقى ولا يذر ؟ ؟ هلا سمعناه يتناجى في دعوته بمعاني حب السلام المجرد كما تلهمه روح الحق والاخاء والمساواة ؟ ؟ كلاً ثم كلاً !! ولماذا ؟ ؟ ذلك لان الانسانية لم ينضج بعد استعدادها لقبول هذه المعاني واستساغة مبادئها . . وهيئات لهذه المبادئ السامية ان تثمر الا اذا صادفت تربة خصبة كريمة في نفوس نجمية ملبية مغذية . تتوافر فيها عناصر المثل العليا للانسانية الكاملة الشاملة ، كما تؤمل في « العالم السوپر ماني » ان يكون : — فلسوف اذن تمحى اعتبارات المسافة بالتلفزة واستخدام الطاقة الذرية . ولسوف تنازرت الثقافات وتتفاهم اساليب الاداء الفكري . ولسوف يفيض الانتاج العقلي موارد الارزاق ترى : ولسوف تندك صروح الفروق بين الطبقات والجماعات . بحيث تتآخى الوطنية المحدودة الضيقة ، مع الانسانية الممدودة المطلقة . ولسوف ينظم تجاوب النشاط بين افراد النوع رقيب دقيق خبير ، من صفاء الروح ويقظة الضمير وسلامة التدبير . فلكل من نفسه اذن وازع من الغيرية . ولكل من نفسه اذن دافع الى الخيرية . ترفرف فوق الجميع اجنحة خفية . لروح ملائكية موحية . تمجد الخير والحق والكمال والاخاء . ثم تهتف عالياً بنداء يشق عنان السماء . « عاش السوپرمان على مدى الزمان . خليفة الله في الارض وآيته في الاكوان ! »

ابراهيم مسلم

مدرس بالعباسية الابتدائية الاميرية

شم النسيم

مكانه من تاريخ مصر القديم

قلت في مقالتي المعلنون «أثر الأساطير في قصة خروج بني اسرائيل» المنشور في مقتطف
 أكتوبر الماضي ان شم النسيم بقية عيد كان يعيده الأقدمون لهاتور في رأس السنة لذكرى
 الخلاص . وكان من رأيي ان بني اسرائيل بعد طردهم من مصر عيده في الصحراء كشأنهم
 من قبل وان التمثال الذي صنعوه بهذه المناسبة كان تمثال بقرة لا تمثال عجل لان هاتور صاحبة
 هذا العيد كان يرمز لها بالبقرة . ووعدت القراء بمقال أثبت فيه هذا الرأي والآث وقد
 شارفنا شم النسيم بمباهجه ومسراته أنجز لهم ما وعدت

كان أول توت وهو مبدأ السنة المصرية يحسب منذ أقدم العصور من وقت اقتران الشمس
بكوكب الشعرى وكانوا يعرفونه باسم «سودس» لموافقة شروقه لابتداء فصل الفيضان لأن
الفصول عندهم كانت ثلاثة : فصل الفيضان وفصل الزراعة وفصل الحصاد. وقد عرف بالرصد ان
شروقه في خط عرض عين شمس يوافق ١٩ يوليو وانما اختيرت عين شمس لذلك لانها كانت دار
الحكمة ومقر عبادة الشمس ومنها ولا ريب كانت تؤخذ الارصاد لضبط أوائل السنين. الا ان
سنتهم كانت تنقص ربع يوم عن السنة الحقيقية فلم تكن تبدأ في موعدها المقرر الا مرة كل
١٤٦٠ سنة وهو حاصل ضرب عدد أيام السنة في أربعة. وكانت المواسم والاعياد تختلف أوقاتها
سنة عن أخرى . لكن عند ما كان الخطأ بتعاقب السنين يبلغ مبلغاً جسيماً حتى لتقع الاعياد
في غير فصولها المقررة كان الكهنة لحرصهم على ضبط هذه الاوقات يرصدون الكوكب
يردون الامور الى نصابها . وقد وجدت شذرة من رسالة مؤرخة في السنة المائة والعشرين
من حكم الاسرة الثانية عشرة وجهها أحد رؤساء الكهنة الى رؤوسية ينبههم فيها الى ان
عيد سودس سيوافق اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن ويطلب اليهم اعتبار هذا
اليوم اول توت . وقد ضبط تاريخ هذه الرسالة بالحساب الفلكي فوجد انه يوافق سنة
١٨٨٠ قبل الميلاد

فلما هذا التقويم على ما هم من نقص الى ان ولي الحكم بطليموس الثالث الملقب افروحيث

لاميرية

الاول وكان محباً للرعية مخلصاً للدين فاقترح الكهنة عام ٢٣٨ قبل الميلاد ان ينشئوا عيداً باسمه يقام اربعة ايام تباعاً لتكريمه لقاء ما اغدق على الناس والمعابد من اخيرات وقرروا اصلاح التقويم بأضافة يوم الى كل سنة رابعة لتقع الاعياد في اوقاتها المقررة

ولما دخلت مصر في حكم الرومان امر اغسطس قيصر في السنة السادسة والعشرين قبل الميلاد بتعديله بحيث تتوافق شهوره دائماً مع شهور التقويم اليولياني فجاء اول توت موافقاً لليوم التاسع والعشرين من شهر اغسطس . وقد أسخط هذا الشعب المصري فقاوم التقويم المعدل زمناً طويلاً لكن طول زمن خضوعه للحكم الاجنبي أفقده العزة القومية وأضعف فيه روح المقاومة فغلب على أمره واستتب الأمر للتقويم الجديد . إلا ان الشعب وهو من أشد الشعوب محافظة على التقاليد حرص على مهرجان أول توت وظل يقيمه في مواعيد القديم . ومع مرور الأعوام تنكرت معارفه للناس وغاب عنهم أصله فسمي شم النسيم لوقوعه دائماً في فصل الربيع

أول ما بدھني هذا الرأي إذ كنت أقرأ أسطورة من أساطير الاولين عن رع آله الشمس ربهم الاعلى وخلصتها ان الناس تمرّدوا على الآله وخرجوا عن طاعته فوجّه اليهم هاتور لتنتقم منهم جزاء لهم بما كفروا . فأثخنت فيهم وأعملت يد اهلاك . ولما أن رأى الآله من السماء ما حلّ بالناس عفا عنهم وبادر الى خلاص البقية الباقية منهم قبل ان تفتك هاتور بهم وذلك بأنه أمر النساء ان يطحن الشعير ويصنعه جعة وأنفذ الرسل الى جزيرة القيلة القريبة من اسوان فحملوا من هناك ثماراً ارجوانية وقرمزية يتخذ منها عصير أحمر مسكر هو النبيذ . ثم أمر رع فزجت الجعة المتخذة من الشعير بعصير تلك الثمار فكان مزاجها شراباً أحمر بلون الدم . ثم أريق الشراب حيث وقعت المذبحة . فلما قدمت هاتور في الصباح لاستئناف المذبحة انحنت على الارض وولغت في الشراب وهي تحسب انه دم الخلائق الذي أهدرت فثقل رأسها ونامت فنجا الناس من بطشها وفتكها وتلقاء ما كان لهذا الشراب من فضل في خلاص الناس شرع لهم رع ان يشربوه كلما جاء عيد رأس السنة فريضة للذكرى

قرأت هذه الاسطورة فذكرتني الفريضة التي فرضها رع لذكرى الخلاص ما عليه الناس في عيد شم النسيم من عادة شرب الاشربة المتخذة من الشعير كالبوظة وهي ضرب من الجعة ولعلها هي التي تشير اليها الاسطورة والسويبا ثم مازلت أجيل النظر في سائر التقاليد المتصلة بهذا العيد وأدمن الفكر في استنباط مراميها حتى اقتنعت انها بقايا تقاليد كانت للأقدمين في العيد الذي تحدثنا عنه الاسطورة

من الأمور التي تسترعي النظر اتصال شم النسيم بعيد القيامة الذي يعيده المسيحيون
لذكرى الخلاص على كونه لا يمت إلى هذا العيد بسبب وليس له نظير في غير مصر . وعندي
ان هذه الصلة مؤيدة لمذهبي بانه كان في الاصل بعيداً لذكرى الخلاص وقد وصل من ثم بعيد
القيامة لاتفاقه معه في ذلك . ومما يؤكد هذا ان كثيراً من العادات التي تمارس في الاسبوع
السابق للعيد وهو المعروف عند المسيحيين بأسبوع الآلام كعادة أكل البقول المسلوقة في
ايام الاربعاء والخميس والجمعة وعادة التكحل في يوم السبت لا مدلول لها عند المسيحيين من
الآثار الدينية ولا رمز فيها الى الذكرى التي يحتفلون بها . لكن اذا امتحنت هذه العادات على
ضوء الاسطورة التي نحن بصددھا اتضح لنا انها ترمز الى بعض حوادثها

فالما أكل البقول المسلوقة فيراد به التنويه الى ما تولى الناس من الذعر في الايام الاخيرة
قبل ان يستنقذهم رع وكيف انهم خرجوا من ديارهم لا يلوون على شيء حتى لم يكن لديهم
متسع من الوقت لطهي الطعام فأكلوا البقول مسلوقة ليقيموا بها اودهم . واما تكحل النساء
عقب تلك الايام فاشارة الى ان عيونهن قد رمدت في الليلة السابقة من السهر حيث قضينها
وهن يطحن حتى اذا كان الصباح وقد امتلأت قلوبهن سكينه بما وعد الاله الناس من العفو
جعلن الكحل لتبرأ

ومن العادات المستغربة في هذا العيد عادة شم البصل فكل والدة تحرص في شم النسيم
ان تبكر بايقاظ ابنائها لتنشقهم رائحته . ومن الاقوال المأثورة في ذلك ان من تطلع عليه
شمس هذا اليوم وهو في فراشه يلازمه الحمول طوال السنة

وفي ظني ان هذه العادة ترمز الى ما جاء في الاسطورة من ان الاله استحميا الناس في هذا
اليوم وجعله لذلك اول الايام

وسبب اتخاذ البصل لهذه الغاية كون رائحته اول ما يتنشق الوليد مع انقاسه الاولى .
ذلك انه بما له من رائحة نفاذة قوية كان ينشق للاطفال عقب ولادتهم لتنبيههم ولا تزال هذه
العادة عند القرويين الى هذه الايام

لما رأيت ذلك تحقق الظن عندي بأن شم النسيم يرجع في اصله الى عيد اول توت في الزمن
التقديم . وايقنت اذن اننا حين نشم النسيم انما نحيا عيداً منسياً وننسم ريح الماضي البعيد ونبدي
من أنفسنا ما لم تقدر العصور على اخفائه من الأواصر التي تربطنا بالجدود

أسيوط

ناشد سيفين

ولز الاديب

محاضرة للدكتور ابراهيم ناجي في جمعية الشبان المسيحية

احدثكم الليلة عن ولز الاديب ، اي احذثكم عن عقل جبار ممتاز قليل النظير في تاريخ العقول الانسانية ! احذثكم عن عقل احاط بالماضي والحاضر وتغلغل في اعماق المستقبل . احذثكم عن ذهن عجيب اؤكد لكم اني لو اردت ان اخلص بعض ما أنتجته لما كتفتني عشرات المحاضرات . واني لحائر حقاً الليلة في اي النواحي اتكلم ؟ في القصة وهو فيها قد اتى بالعجب العجائب ؟ ام في التاريخ والطريقة التي ابتدئها في كتابته ، وهو اول من تكلم في العالم كاسرة واحدة ... لا كام منفصلة وطوائف مستقلة ! ام في علم الحياة ، وقد اشترك مع العالم الشهير جوليان هكسلي حفيد هكسلي الكبير ، في اخراج كتاب يعد من المراجع الشاملة الخالدة ؟ ام اتناول آرائه في علم الاجتماع وهو ميدانه الذي لا يجاريه فيه كاتب ولا عالم

ان ولز الاديب هو الذي يمثل الانسان والانسانية معاً بكل ما في الكلمتين من معنى . يمثل الانسان لان التعريف الكامل للانسان هو انه مخلوق يتميز بادرمان النظر في الحاضر والماضي والمستقبل ، وهو يمثل الانسانية لانه وقف حياته على الدعوة للاخاء العام ، في خلق اسرة واحدة من اسر متنافذة متطاحنة تخيم على آفاقها دائماً اشباح الحروب والويلات

﴿ ميلاده ﴾ ولد ولز في مقاطعة كنت بإنجلترا سنة ١٨٦٦ فهو اذن قد قارب السبعين ، ولكنه عمر حافل بكل ما هو جليل وعظيم . هو الآن في الشيخوخة ولكنه لا يزال في عزم الشباب الحار المتوثب . فقد اخرج اخيراً كتاباً ضخماً تناول فيه الكلام في سعادة العالم وهنائه وثروته ولم يكده يظهر حتى نشر رواية جديدة Bulpington of Blup حصل ولز على شهادة B. Sc. في العلم في سن باكر . ثم اضطرته احوال الحياة ومطالبها القاسية ان يعمل في محل صانع اقشة ، ثم صيدلياً ، ثم مدرساً حتى اصيب بنزيف رئوي كاد يقضي على حياته ولكنه كان المنحة التي وجهت ولز الى ما خلق له حقاً . فانه اضطر لمحافظة على صحته وحياته ان يشتغل بالتأليف والصحافة . وكثيراً ما كانت محن كهذه من البواعث على ظهور عظمة مستترية وموهبة خبيثة ، وما اكثر الكوارث التي كانت سبباً في ارتفاع الشخصية الكبيرة التي لا تهن ولا تتراجع !

وجد ولز نفسه مضطراً بحكم حالته الصحية ان يشتغل بالأدب . وهو يتميز عن كل

معاصريه ويفوقهم — يتميز عن هاردي وكبلنغ وشو ومع انهم من ناحية الفن الادبي البحت يتفوقون عليه — فان نظرتة الى الحياة أرحب وعقله يمتد الى آفاق مترامية تكاد تصل الى الغيب هو رجل يغوص في لجج الحياة الى اعماق اعماقه ، يغوص حيث يقف الآخرون على الشاطئ .. هو ذلك اكثر منه شخصية هو شبه نبي يحمل رسالة للعالم ، يشرع للناس ويبين لهم اخطاءهم ويشير عليهم كيف يتلافونها ، ثم ينزل الى مستواهم ، فيجلس اليهم مسامحاً منادياً كاحسن وأصفى ما يكون الندمان والخلائ !



✻ ولز H. G. Wells ✻

✻ مميزات ادب ولز ✻ ما قيمة ولز ؟ ولماذا هو خليف بالدرس وجدير بالتأمل ؟ ان اول ميزة له تضعه في القمة وتجعله نسيج وحده هي انه متصل اتصالاً وثيقاً بالحياة الحقيقية ومندمج فيها اندماجاً تاماً ! وما هو الادب ؟ الادب انما هو تصوير للحياة وتسام بها ، وكل ادب يخرج عن هذه الدائرة فهو ادب مصطنع مزيف ، ...

والميزة الثانية انه الاديب الذي يرمي الى غاية ، ويهتم بموضوعه ويفنى فيه ... ومع ذلك لا ينسى الوسيلة ، اي لا ينسى ان يكون فناناً يكتب بأسلوب الاعجاز ويتخير لغة النجوم ! ولو انك جئت الى فنان كبروست او كبلنغ وطلبت اليه ان يكتب فيما يكتب فيه ولز ، في العمل والصناعة والتجارة والحواجز الجبركية ، ... وان يؤلف قصصاً في مثل هاته النواحي ... والله لتعثر وظهرت فضيحتة

في تاريخ
س. احذكم
لمحاضرات.
ب العجائب؟
واحدة...
ير جوليان
؟ ام أتناول

من معنى .
ضرو الماضي
خلق اسرة

قد قارب
لكنه لا يزال
سعادة العالم
... حصل
سية ان يعمل
ي على حياته
محتة وحياته
ظمة مستترة
لكبيرة التي

تميز عن كل

فولز هو الاديب الوحيد الذي وسّع دائرة القصص ونووع الاغراض ، وتنقل في شتى المواضيع ، وطرق ما لم يطرق من قبل ، فلم تعد القصة قاصرة على الحب ، بل تعدت ذلك الى الموضوعات العامة يسطرها بقلمه الجميل ويقرّبها بذهنه الذكي وابتدع فيها بخياله الوثاب فيأتي باغرب التخيلات ومنها كثير سبق فيه العلم والاستنباط ، كل ذلك في جوّ سحري متصل بالانهاية والواقع انك اذا طرحت من ادب ولز ثلاثة ارباع ما يتميز به من اتصاله الوثيق بالحياة ، وما كتبه في العلم والاجتماع لبقى الربع الاخير كافياً لان يعود على عدة مؤلفين بالشهرة ويغمرهم غمراً . لقد وصف الحياة والحب والموت ورسم الجمال والزهر بما لم يرسمه احد . خذ مثلاً هذا الوصف البديع لحديقة يسمعك فيها لحن جوقية من الازهار

«لقد كانت الزهرات تتدفق وتتعانق كألحان الموسيقى العذبة . وترفع اليّ عيوناً كعيون الاطفال ، وسرى الى اذني غناء سحري من فم الزهر والاغصان والاوراق وخفاة سمعت من اعماقها اغرودة طائر وخفق جناح مرتاع»

على ان القيمة الكبرى في ادب ولز هي رسالته للعالم . انه يريد ان يبلغك امراً ، ويحمل اليك نبا ويهمه ان تعي ذلك النبأ ، وتذكره وتتبصر فيه . فسوف يقرأ الناس ولز في كل زمان ومكان ناظرين الى المعنى الذي يريده والغرض الذي يرمي اليه ، والصورة التي يرسمها فيبدع في رسمها وبهذا سيخلد ولز ويعيش ادبه على الاجيال بينما يموت ادب بعض الاخرين ويبيلى . ادبه هو صورة واضحة جلية بارزة ، وأدب الآخرين اطار بديع الصنع مزركش منمّق اما الصورة فغامضة قلقة مبهمة وسهل جداً على الزمن ان يمحوها

على ان ولز فوق كل ذلك بعيد النظر الى المستقبل . فهو اختصاصي في التنبؤ بما سيكون ومن قرأ كتبه التي كتبها قبل الحرب يعجب جد العجب لانه وصف ما سيحدث وصفاً جليلاً دقيقاً وهكذا يصيح كلما صحت نبوءته ألم « اقل لكم » . ولقد بلغ من صدقه ان اقترح بعض الظرفاء على الحكومة ان تعينه متنبئ العرش ! ما دامت تعين شاعر العرش Poet Laureate على انه شخصياً يجب ان يذكره الناس كرجل توفّر على درس الماضي . انه اعطى للتاريخ معنى غير ما كان له فهو الذي تكلم عن العالم كاسرة واحدة ، وهذه الوحدة هي امنيته التي يريد ان تتحقق اليوم ! يريد ان يمحو الفوارق والاجناس ، ويمزق العصبيات ، ويقسم ان هذا هو الطريق الوحيد الى السلام !

على ان صدق حدسه عن المستقبل مبني على الفهم النادر للواقع ، حتى خاطبه احد ادياء فرنسا قائلاً : « ان الذين يعرفونك يدعونك رجل احلام . ليسوا بمخطئين . فأنت تحلم بسرعة ولكنك تفكر بشكل مخيف : فأنت تفهم كل شيء دفعة واحدة واحاديثك السريعة المطبوعة بطابع العبقرية هي اضواء تخطف الابصار ولكنك تخطف الابصار بالفكر وهذا ما لم يتم لاحد

سواك . اي كاتب واديب كنت تغدو لو كنت اقل افكاراً وذكاءً وعلماً ! »

لقد صار في زماننا من السهل اطلاق كلمة العبقرية على اي رجل يجيد الكتابة ولا يعني بملبسه وانتظام حياته . فهذا الرجل الذي يبدع في وصف النساء والحرب والمدن والقسس واهل الصين ورجال المصانع والمعامل والحوانيت ، والذي يرى ما في سهول اميركا وحقول اوربا ، ويرى ما تتجه اليه الانسانية ، وما يتدفق نحوه تيارها — الرجل الذي يكتب في كل هذا ماذا نسميه ! ؟ بعد هذه الالمامة التي اقدم بها الاديب ولز اليكم ، اجدم في شوق لان تعرفوا موجزاً عن آرائه وتحيطوا ببعض من قصصه . فابدأ برأيه في حاضر الانسان ومستقبله ، ثم في العالم وحاضره ومستقبله ، ثم نختم المحاضرة بموجز لبعض قصصه الرائعة

اهتمام ولز بالفرد * ان ولز يهتم بالفرد كما يهتم بالجموع ، ولفرط ما انتقد ومحتص وغربل دعاه بعضهم متشائماً ، ولكنه رد عليهم رداً بليغاً في كتابه « اتجاه العالم » Where the World is Going تناول فيه مستقبل الفرد وبنى ملاحظاته على قواعد علمية ثابتة . وخلص منها الى ان حياة الفرد اليوم — مع الضيق الشامل والازمات المتعاقبة — اسعد منها في اي عصر من العصور الماضية . ويؤمن ان الانسان يتطور تطوراً بيولوجياً في السنين الاخيرة غير ماحوظ للذين لا يدققون ولا يبحثون ، للذين يعتقدون ان الطبيعة الانسانية ثابتة على مر العصور ! وندد بالذين يدعون الانسان للرجوع الى الوراء ، الى حضن الطبيعة ، الى ندي الام الطبيعي ! اما من جهة التطور البيولوجي في الفرد ، فنقرر اولاً ان الاحصائيات الجديدة في العالم المتمددين دللت على ان طول الحياة الانسانية في ربع القرن الاخير قد زاد نحو اثني عشر عاماً في المتوسط ولا يهمننا من هذا ان تطول الحياة الى السادسة والخمسين بعد ان كان المتوسط يقف عند ٤٤ وانما يهمننا ان الطفل يمكنه ان يعيش اربعة اعوام مقابل كل ثلاثة كان يعيشها في الماضي ، واذن يمكن للطفل في البيئات المتقدمة في المستقبل ان يبلغ المراهقة بسلام ، ولنتذكر ان احصائيات المواليد هي خمسون لكل الف ، وان ٣٠ من هؤلاء الخمسين يموتون في سن الطفولة او المراهقة . والنقطة الثانية في التطور البيولوجي ان الحياة الانسانية كانت قديماً حياة جنسية تناسلية محضة . لم يكن امام الرجل غير ان ينشئ عائلة وينجب نسلًا . لم يكن امامه غير ان ينشئ العائلة ويشقى لها ويحمل اعباءها ، يفرح بالمولود ، ويكي على الميت ويدفنه ، ثم يبدأ من جديد . تلك حياة الهرة الخصبه الانتاج . ولكن التناسل اليوم ليس الكل في الكل ، بل تسمعون صيحة تدوي في كل ارجاء العالم ، تحض على تحديد النسل . وحين يتكلم ولز عن السلام في العالم ، فيدعو الى محو القوارق . والاجناس ، وتغيير الحكومات ، يعود الى موضوع تحديد النسل ، ويؤكد انه لا سلام للعالم بغير العناية بهذه المسألة الخطيرة

لم تعد العائلة هي الكل في الكل ، بل اصبحت دوراً خاصاً في دائرة اوسع ، تتخطاها الحياة الانسانية وتتجاوزها . لقد كان الرجل يبكر في تكوين العائلة ، وينهكه القيام بكل ما تقتضيه ثم يهدم ويعطب بسرعة . تسقط اسنانه ويكلُّ بصره ويدوي ويمضي الى القبر . تلك كانت القصة كلها . اما اليوم فاذا رى ؟ نحن في حال جديدة . الرجل لا يبكر الى الزواج كما كان يصنع قبلاً ، وفي حياته امور غير الامور الجنسية والرغبة الجامحة . واذا بلغ المشيب استعان بالطب والاطباء على الضعف والخور

والواقع ان هؤلاء امكنهم بكل يقين ان يعينوه على ان يكون في مشيبه في حالة لا بأس بها من النشاط والصحة ، واذن فالذي هو حادث والذي ينتظر ان يكون في المستقبل انه بدلاً من ان يبدأ الرجل في تكوين العائلة وحمل مسؤولياتها والقيام عليها وهو في سن غض ، ثم يذبل في سن مبكر بعد ان تنتهك قواه وتتخطم من دون ان يجد حيلة في الهدم وعجز المشيب ستكون الحال ان يأخذ الرجل — وقد اخذ فعلاً — في تكوين العائلة في سن مناسب ، ولن يحصر قواه التناسلية في الانجاب ، واذا شاخ وجد من اطباء الاسنان والعيون ، والاطباء الذين همهم اعادة النشاط والشباب بواسطة العلاج بالغدد ، سيجد من كل هؤلاء من يصد عنه العطب السريع والذبول المهدد ، اذن فنحن سنترك حياة منهوكة بها شبه حمى الى حياة اكثر استقراراً واوفر نضجاً ، الى عمر اطول واشد حيوية ونشاطاً

هذا فيما يختص بالتطور البيولوجي للفرد ، اما فيما يختص بسعادة الفرد فان ولز اشد تفاؤلاً . نعم ان الفرد اليوم اسعد منه في أي وقت آخر ، من بدء حياة الانسان على الارض الى يومنا هذا . هو اسعد رغم كل القوى التي تعترض هناءته وتلغوق تطوره ، وهذه القوى موجودة حقاً ، وكثيرة . يقول المتشائمون اننا شذذنا عن حضن الام الطبيعة فعوقبنا ولقينا جزاءنا ، وهو قول منقوض من اساسه ! الام الطبيعة ، تحامون بها حينما تنفرجون على الشلال العظيم والجبل المنيف والصخر الأشم ! تفرحون بها وتتخيّلونها في الربيع الزاهر والنجم المتألق والقبة الساحرة ، ولكن تعالوا اليها حيث تتجمع المخلوقات ، تعالوا اليها في الغاية ، هي قسوة وفوضى . هي طراد وشهوة . هي جوع وخوف . هي كمين وشرك . هي كلمة القتل همس في الأرواح . وتنتقل مع العاصفة ، وتردد في الأدغال ! ان اهنأ ما يتمتع به الحيوان هو ضعف الذاكرة وقصر البصر ، واهناً ما يسيطر عليه الغريزة الجنسية ، وما الغريزة الجنسية غير عذاب وقلق . غير لذة مخيمة يختلط بها خوف ويظللها كغمام قائم !

هذه هي الحياة في الطبيعة ! عمل مفكك غامض حتى جاء الانسان فوصله وجمعه واحكم نسجه ثم ان اولئك الذين ينادون بالرجوع الى الطبيعة بغية الصحة ، يحسبون ان الحيوان معافي من العلل . ولو أنهم قرأوا التاريخ الطبيعي لعلموا أن الامراض جميعها كانت متفشية تقشياً مريعاً .

فان صيادي الفيلة يقتفونهم بواسطة الأصوات التي تحدثها امعاؤهم من كثرة الغازات ، و حياة البهر ليست الا سلسلة من جوع فظيع الى شبع بلا راحة ، وهل كان الانسان الأول غير مخلوق شبيه بهؤلاء ! مخلوق يتحكم فيه الجوع والخوف والغريزة الغشيمة والذين يقرأون عن التطور يعلمون ان اغلب العظام التي تركها الانسان الاول هي عظام مريضة والواقع انك لا يمكنك ان تضع اصبعك في أي عصر من عصور التاريخ مهما كان زاهياً جليلاً لتقول ان الفرد هنا كان اسعد من الفرد في عصره هذا ! حتى الكتاب الى عهد قريب ما كان يعينهم الفرد وقليل جداً منهم من غني بوصف حياته اليومية والذي اهتم بتصوير عيشة الفرد رسمه منعماً في الجهل والمرض والظلمات

وفي ازهى عصور التاريخ — سواء عهد الرومان او المصريين — كان الفرد مسخراً . وما الاهرام ، وما المشيدات الرومانية الفخمة الا بيد الفرد المستعبد المسكين المهرق على انه في منتصف القرن التاسع عشر فقط ، وعلى أثر المخترعات العلمية ، وعلى أثر التطور والتقدم الحديث في المعرفة ، اخذ يطلع على العالم فجر جديد ، فجر يبشر بزوال تسخير الفرد وارهاقه . فأخذ يعرف طعم الراحة ، وزال الرق وتحسنت الصحة العامة وأقلت الوفيات !! وعلى رغم العوائق التي تعترض تقدم الانسانية ككتلة العوائق التي سنبينها فيما بعد ، على الرغم من كل هذا فان الفرد ارغد حالاً ، وسيطرده الرخاء والرغد في المستقبل . ثم يصبح ولز : اذن فاعلموا اني متفائل ، أرى الفجر يقترب وارى البشائر في حواشي الافق !

«ولز والعالم» علمتم رأي ولز في مستقبل الفرد ، وقد تبين لكم عمق بصره وحدة ذكائه اما في ما يختص بأرائه في العالم فهي اعظم شأنًا واكثر جدة وطرافة ، ومنها تتبينون اموراً لفها المضللون في اثواب من الزور ، وظلواها بطلاء كاذب ، فاذا اردتم ان تماشوا العصر وتقفوا على دخائله ، اذا اردتم ان تعلموا شيئاً عن حكومات العصر ، وعيوبه ومن أين نشأت وعن النظام المالي ، وعن شبح الحروب المهددة للعالم ، اذا اردتم ان تعرفوا ذلك بوضوح فعليكم بولز . وقد قال احد كبار ادبائنا انه لم يفهم الاشتراكية الا بعد ان قرأ كتاب ولز «عولم جديدة محل عولم قديمة» New Worlds for Old . وقد اجتهدت ان اغرف لكم من البحر الزاخر الغني بالدرر فعذراً اذا قصرت فقد اخذت على عاتقي مهمة تنوء بها الهمم نحن في عصر الديمقراطية . والديمقراطية متأصلة في نفس الانسان من اول نشوئه ، ولكنها لم تأخذ في سبيل التحقيق الا في القرن السادس عشر . في ذلك العهد بذرت بزورها ، وفي العصور التالية نبتت ونمت ، وفي عصرنا ازدهرت ، وليست فكرة الديمقراطية فكرة سياسية فقط بل هي تتناول الأدب والفن والموسيقى

ماذا نعني بالديمقراطية ؟ الواقع ان اغلب الناس حتى المفكرين منهم يلتبس عليهم ادراك

معناها الحقيقي ، وكيف هبطت الينا ، ومكانتها اليوم . ان الديمقراطية ترمي الى غايتين

(١) كل الناس متساوون تحت عرش الله

(٢) كل الناس متساوون في نظر القانون

ومعنى هذين بكل وضوح انهيار النظم البالية المتحكمة ، وتحدي الاستئثار والسلطة ، ومعنى هذين أيضاً انفصال الفرد عن كتلة المجموع ، وتحرره منها وشعوره بذاتيته ، والاعتزاز بنفسه كشخص حر له ان يحب ما يشاء ويصنع ما يشاء

اما في السياسة فتعلمون ان الحكم اصبح دستورياً ، معتمداً على اصوات الافراد الانتخابية أما في الادب فبعد ان كانت الرواية تعنى بالمجموع ، وتتكلم عن الملوك والامراء والابطال والديانات وما الى ذلك ، اصبحت تعنى بالخلق الفرد وحياته وتحلل ميوله واهواءه ومعيشتة . ولا شك ان اكثركم قرأ رواية « دون كيشوت » الشهيرة ففيها بواذر السخرية بالارستقراطية والتمرد عليها ، وان في انتصار الطاحونة ، التي هي ملك للعامل البسيط ، على البطل المدرع ، رمزاً جديراً بالتبصر . وخذوا مثلاً روايات الادباء جبارة القرن التاسع عشر كزولا وبلزاك ودكنز وترجينيف تجدونهم يصورون العالم كسوق كبير فيه الراح والغادي كل يعمل لحاجته ، حراً منفصلاً وهو مع ذلك متصل بالانسانية الكبيرة اتصالاً لا يغمر شخصيته ولا يمحوها

وكذلك في الفنون : فقد كان الفن يعنى بتنسيق عمارة ضخمة ، او النقش في هيكل ديني او خدمة نزعة سياسية ، وكانت الموسيقى مقتصرة على ألحان دينية ، او ألحان تطرب الملوك وتستثيرهم ابطالهم وجنودهم في ميادين الحرب والقتال . لقد تغير كل ذلك واصبح كل فنان يعمل كما يهوى ... حراً طليقاً كالطائر الباسط جناحيه حيث تستهويه اجواز الفضاء !

اذن ... فان الديمقراطية هي انفصال . هي تجزء ، هي انطلاق ذرات كانت ثابتة في هيكل السياسة والآداب والفنون . . . ويجوز لنا اذن ان نسميها الديمقراطية التحليلية . . . ومن المتناقضات العجيبة ان يقابلها في نواح اخرى نظام تركيبي ، وبخاصة في العلوم . فلقد كانت الحقائق العلمية منفصلة لاتنضم بينها فأصبحت هذه الحقائق خاضعة لتجارب تحققها وتنظم عقدها حبة لحبة

قلنا ان الفرد قد انفصل عن كتلة المجموع واصبح معتزاً بنفسه ، ثاراً على التقاليد القديمة شاذاً جرّ عليه اعتداده بنفسه ؟ جرّ عليه امرين ، الامر الاول فضاله في حدود بلاده ضد ما بقي فيها من آثار التحكم والقوة ، ونضال خارج بلاده معتزاً بما يسميه بالعصبية القومية ، نخوراً بعلمه ، مدافعاً عن وطنه بلا حساب ولكن من العجيب انه وهو في هذا الانفصال والتحرر يتطلع الى المشروعات الاقتصادية المركبة الضخمة التي تحتاج الى جهود متجمعة اي ان الديمقراطية التحليلية تؤدي عن غير قصد الى نظام اقتصادي مركب ، وهنا

يصطدم الفرد من جديد بالراءوس التي تريد ان تزعم ، وتدير العمل وتتحكم فيه ، ومن هنا نشأت فكرة الاشتراكية فما الاشتراكية مها تختلف الآراء فيها الا نظاماً يراد به الديمقراطية في النظام الاقتصادي ، كما ثبت في النظام السياسي ، او بعبارة اخرى ان ينقل الحكم في عالم الاقتصاد من رأس يتحكم فيها ويديرها الى جماعات من نفس العمال، او من قوم ينتخبهم العمال. فالديمقراطية التحليلية امرٌ جميل جميل ولكنه يمتد ويتشعب في غير حدود ولا نظام . على ان شعور الفرد بنفسه وكرامته وقوميته في كل امة جعل شبح الحرب قائماً ينذر ويهدد، وان كل فرد في سبيل المغامرة المالية لنفسه جعل النظام المالي مضطرباً قلقاً والاصطدام بين العمال وأصحاب رؤوس الاموال ، جعل النظام الاقتصادي متداعياً على وشك الانهيار ، وتلك هي المشاكل الثلاثة التي تواجه العالم الآن . وهي كما تبين لكم ايها السادة منشؤها ديمقراطية تحليلية ، تشعب وتمتد وتطغى بلاحد ولا قوام

بعد هذا التفسير المنطقي المعقول للعشا كل الحاضرة نريد ان نسمع من ولز طريقته في العلاج . ما دام قد شخص الداء ، يقول هذا الطبيب المشخص لعل العالم اننا لا يمكننا بالطبع بحال من الاحوال الرجوع الى الاساليب القديمة والنظم العتيقة ، ولكننا في حاجة الى اصلاح هذه الديمقراطية التحليلية ، وايجاد ما يسمى بالديمقراطية التركيبية Synthetic Democracy ان الحكومات الحاضرة في نظر ولز غير صالحة ، ان الزعماء الذين يصلون الى مراتب الحكم معتمدين على صوت الفرد ، جل همهم أن يرضوه ، وأن يصلوا ... وهم لا يصنعون شيئاً يبغون به سلام العالم ، انما هم يجتمعون ويتكلمون ويؤدبون المآدب ولا يقومون بعمل جدي . فولز غاضب على الساسة ، غاضب حتى على أمتة ، غاضب على الاستعمار ، يود أن يفتح عينه ويغمضها ميري مقاعد الحكم وقد خلت من هؤلاء ، وجلس عليها قومٌ ينظرون بعينهم لالى امهم فقط بل الى العالم كاسرة ، ولا يتعصبون لمواطنيهم وذوي رحمتهم بل يتعصبون للاخاء العام ويعملون لمحو الفوارق وهدم الحواجز الكاذبة التي تفصل بين امة واخرى وبين شعب وآخر ! يريد ان يرى في كراسي الحكم قوماً متطوعين ، مستعدين لان يموتوا في سبيل اغراضهم وما اغراضهم هذه غير ان تنتهي الحروب ، وتخلق وحدة اقتصادية كبرى تشمل الدنيا ، ووحدة مالية تحفظ العالم من الخراب والدمار ! هذا ما يقصد ولز بالديمقراطية التركيبية ، في كتابه بوتوبيا الجديدة ، التي يتخيل فيها المدينة الكاملة والحكومة المثالية ... يريد تعاضداً وتسانداً في الحكم والاقتصاد والمال ... ويقول انه ليس يحلم وانه يرى في الافق طلائع مقبلة تميزهم وتؤكد وجودهم وان حجبهم عنا الغبار الذي تثيره مواكبهم

هذه بعض آراء ولز وتنبؤاته ألا تجدونه جديراً بالاحلال ، جديراً بان تقرأوه وتلتفتوا اليه؟

﴿ ولز القصصي ﴾ الاديب ولز قاصُّ بارع ، كتب في جميع الاغراض وتناول كل الشؤون ، وجود في القصة القصيرة كما ابداع في القصة الطويلة ، وكل قصصه جيد وممتع ، بحيث يحار الانسان ماذا يلخص وماذا يدع ! وقد اجمع النقاد على ان احسن قصصه القصيرة هي قصة « صانع المعجزات » وقد انتخبها هو بنفسه عندما دعي لان يختار احسن قصصه ، ولكنني وجدت قصة « قلب المس وينشازيا » أجمل واظرف وسأبدأ بتلخيصها لكم ...

المس وينشازيا فتاة جميلة راقية تدرس في إحدى الجامعات اصطحبت صديقتين لها في سباحة الى روما. ويفهم من سياق القصة ان الفتاة تفوق صديقتها جمالاً وثقافةً ومالاً وجاهاً. يقطعن الطريق في دعابات وحوار، فكلما رأين شيئاً ضحككن وسخرن في مرح وجذل . الى ان وقف القطار ساعة في محطة من المحطات فصاح صاحح يدعو شخصاً لم يرينه باسم غريب ضحككن له واستغرقن في الضحك: هذا الاسم بالانجليزية هو Snooks يقابله عندنا جُعْلُص مثلاً فتضاحكن وتختلن كل واحدة انها حبيبة اوزوجة لشخص يدعى بهذا الاسم وكلما افتركن في هذا أغرقن في الضحك. حتى بلغن روما . فصرن يتنقلن بين آثارها وهياكلها العظيمة ، ففي اثناء طوافهن تعرفن الى شاب مثقف جميل وسيم صار يطلعهن على ما لا يعرفن ثم ينصرف في ادب ووقار تام . وصار الحظ يجمعهن به مراراً فتعلقت به وينشازيا ، ورأت انه يبادلها عطفها حتى خلت به مرة وأخذتا يستعدان لحديث اعمق ، ويهمان بان يبوحا باسرار دفينه ، ، فاذا بصاحب له يناديه عن عن بعد « انت هنا يا جُعْلُص » فبهتت الفتاة ... وكأما اسدل بينهما ويدينه حجاب كثيف وتنكرت له من ذلك الوقت ، تنكرت لاسمه الذي لم يعجبها ... ولكنها راحت تقشى سرها لاحدى صديقتها : وتقول لها اذا عدنا الى وطننا فالصلي انت به واكتبي اليّ وفي انكثرا تتصل به « فاني » ... و« فاني » هذه فتاة ضخمة لا تصلح لغير الطبخ والكي ، اي لا تصلح لفتي مثقف مهذب جميل

المهم انها اتصلت بصاحبنا ... ولكنها لم تكتب الى صديقتها عنه غير كلمات قليلة لانشي غليلاً ... الى ان ارسلت اليها خطاباً ذات يوم تخبرها فيه انها تزوجت « جُعْلُص » ... وعقبت انه مرضاة لخطرها قد غيّر اسمه ... فانهارت آمال وينشازيا اولاً لان صديقتها خانتها، وثانياً لان العقبة التي تخيلتها كبيرة : عقبة الاسم كانت غاية في البساطة ، وثالثاً لان فاني هي الوحيدة التي لا تصلح زوجة لذلك الرجل

على انها تعلت بالحال ، وتوقعت ان يحصل بينهما خلاف ، فلم يحدث ، فزارتهما في منزلها فرأت ما زادها حسرة وألماً . وجدت الحبيب المثقف الرقيق قد سمن واستكرش ، كلمته في الادب فلم يذكر حرفاً ، وفي الفن فلم يفتح فيه ، فحادثته في الاكل فاندفع كالسيل !... ﴿ صانع المعجزات ﴾ كان المستر فوذرنجاي حتى الثلاثين من عمره ممن لا يؤمنون

بالمعجزات . وهو صغير الجسم شديد سواد العينين يشتغل كاتباً في احد مصانع الدراجات فذات ليلة اجتمع بصاحب له في بار لونج دراجون وما لبثت المناقشة ان دارت بين الصديقين حول امكان حدوث المعجزات او استحالتها ، فصاحبنا فوذرنجاي متعنت لا يقبل ان يستمع الى مثل هذه الخرافات ، وصاحبه شديد الايمان بها . وثارَت المناقشة حتى صاح فوذرنجاي مشيراً الى المصباح الكهربائي الذي ينير الحانة : اتظنني لو حصرت ارادتي واشرت الى المصباح بقوة الارادة وامرته قائلاً « انقلب ايها المصباح رأساً على عقب على ان تظل مضيئاً » انتحقق مثل هذه المعجزة . فلم يكذب ينتهي من قوله حتى انفصل سلك المصباح المعلق من مكانه في السقف . وانقلب كما امره . اما هو فوقف باهتاً . واختبأت فتاة الحانة مرعوبة . وفر بعض الزبائن ولم يظل هذا المنظر غير ثوان صاح بعدها فوذرنجاي « النجدة النجدة ! ان قواي لا تستطيع ان توقف المصباح على هذه الحال طويلاً ! اني اشعر بالعجز » . فمالبت المصباح ان وقع محطاً وساد الكل ظلام دامس ! واخذ الجلوس يلومونه لوماً شديداً على جنونه هذا واقترحوا عليه ان يسرع بالانصراف ففعل ! ووصل الى حيث يسكن مفكراً مهموماً لا يصدق ما حدث . فارتقى على فراشه بملابسه يفكر . وخطر له من جديد ان يجرب قوته الخارقة في الشمعة المضاء . فحصر ارادته وقال لها ارتفعي من مكانك واتقلي وظلي مضيئة فكان في الحال ما اراد . ثم أمرها بالنزول فسقطت مشتعلة واحرقت الغطاء

فعرف ان الله حباه قوة غير عادية . . . واخذ يجرب من جديد . طلب ان يهبط عليه عود ثقاب . فرأى بصيصاً من الضوء وعود ثقاب يقع في قبضة يده . وشعر بالظلمة فامر بورقة ان تصير كأس ماء ، فكان له ما أراد ، ثم خلق على هذه الطريقة مشطاً ثم فرشاة اسنان . . . وأراد ان ينام من دون ان ينفق جهداً ، فامر ملابسه بترك بدنه ، وبجذائه نخلع ، وامر لنفسه بقميص من الحرير ثم امر نفسه بالنوم العميق والاستيقاظ في ساعة حددها وذهب الى عمله في اليوم التالي مضطرباً كمن يكتم سرّاً ويحمل أمراً عظيماً ، وانصرف في المساء ، ومشى في شارع قليل الضوء مفكراً يضرب بعصاه الارض فخطر له فجأة ان يصنع معها ماصع موسى بعصاه ان يقلبها حية تسعى . ولكنه خشي العاقبة . فامرها ان تستحيل « زهرية » فاستحالت ، وان تعود عصا كما كانت فلم ترفض له طلباً ، غير انه ما لبث ان سمع ضجة ورجلاً من المارة يتقدم اليه في الظلام سائلاً لان العصا في حركتها اصابته ذقنه فأدمتها وجاء على الضجة الكونستابل رونش ولامه كثيراً على اعماله الجنونية وذكره بفصل الحانة ليلة امس ، وانه كان حاضراً كل شيء . وما زال يسبّه حتى ضاق به صاحبنا ذرعاً فصاح به « اذهب الى جهنم » Go to Hell . فلم يعد هناك كونستابل ما . ذهب رونش ، راح حقيقة الى جهنم ! فانزعج فوذرنجاي وابنه ضميره على ارسال الكونستابل الى جهنم ، وشاء

مخفف العقاب عنه فأمره بالذهاب الى سان فرنيسكو

وذهب في اليوم التالي الى الكنيسة ، وخطر له ان يخبر راعي الكنيسة بما وهبه الله ، فانتظر حتى انتهت الصلاة ، وزاره في بيته ، وباح له بكل شيء ، واسرّ اليه ندمه على ما فعله بالكونستابل رونش ، وانه بعد ان نقله من الجحيم الى سان فرنيسكو لا يزال ضميره يؤنبه اذ ماذا يصنع الكونستابل المسكين في ذلك البلد النائي السحيق . فطمأنه القسيس واخبره ان الله اختاره والله يختار ما يشاء ، وطلب اليه ان يعرض «العابه» . فنظر صاحبنا الى علبة التبغ قائلاً كوني وعاءاً مملوءاً بزهر البنفسج فكانت ، ثم قال كوني صحن سمك فكانت ، .. وهكذا . فطرب القسيس وآمن ، ودعاه للعشاء معه .. فشكا القسيس اليه كسل الخادمة ، فقال فورذنجاى انك سترى عجباً . وامرها امرأ خفياً ان تطلع عن الكسل ، فسمعوا في الحال صوت الاطباق والمعالق وحركة جيئة وذهاب ونشاطاً غير معتاد ، لقد استيقظت الخادمة من نومها العميق ، وهي تهيئ لهم العشاء في اهتمام لم يره القسيس ولا أحد من قبل

وطاب للقسيس ان يستغل هذه القوة الخارقة في اصلاح الناس ، فكان يدور بصانع المعجزات في الحانات وبؤر الفساد . فاستحالت الخمر ماءً ، وانمحت الجرائم ، وصالح الاشرار ، وكثر الابرار وذات ليلة سهر فورذنجاى مع القسيس حتى الساعة الثالثة صباحاً ، فخطر للقسيس ان يجرب صاحبه من جديد فاشار اليه ان يأمر الزمن بالوقوف والارض بان لا تدور فوقه واستجمع كل عزمه وصاح «أيتها الارض قني عن الدوران» . فوقفت الارض كلها ووجد الرجل نفسه يطير في الفضاء بسرعة مليونين ميل في الثانية ... خاول ان يستجمع قواه ويأمره بالعودة فحافته قوته . فشحذ عزمه وامر الكرة الارضية ان تعود الى الدوران وان يعود هو الى الارض سالماً فدارت الكرة الارضية ، وعاد هو سالماً ، ولكن ماذا وجد ! وجد الزلازل في كل مكان ، والاعاصير تهب والمباني تتطاير والماء يتدفق ... فجمع ارادته وقال «يا الله ! يا ايتها القوة العظيمة ... يا جميع القوى السماوية والعالمية اعيدي الحال الى ما كانت عليه .. وخذي مني قوتي الخارقة مقابل ذلك . اعيديني عاجزاً واتقذي العالم» . فلم تتم صيحته حتى وجد نفسه جالساً في الحان ... والكأس العاشرة في يده ... يناقش صاحبه في امر المعجزات وينكر وجودها بتاتاً ... ويصبح كلاً . انها كلام فارغ ... لا يوجد معجزات

❖ القصة الطويلة ❖ اشهر قصص وزن الطويلة هي تونو بنجاى وكيبس واستيقاظ النائم وعالم وليم كليسولد ومكيافي الجديد . ولكنني اختار قصته تونو بنجاى لانها شبيهة كل الشبه بما يحدث في مصر ... مصر التي يكثر فيها العنبرول والكافلويد ، ويثري فيها ثراءً فاحشاً اصحاب هذه العقاقير . بينما يجوع اصحاب الضمائر ، يتمتع الدجالون بالرخاء واليسر ويمرحون في اثواب النعمة تونو بنجاى Tono Bungay اسم دواء اخترعه الصيدلي الحقيقير السمين بوندريثو . رن

في اذنه خفاة ... فهمس به في اذن مساعده وابن خاله جورج ، وصاح الاتجهه كصوت القبلة هذا هو تركيبه يا جورج. انه مقهور للاعصاب. وهذه صورة الاعلان وسوف ننق على الاذاعة عنه المال الذي يخضعك من ابيك. لا تحتج بالضيمير يا جورج ودعك من السفساف ودعني اعمل وبعد ان كان دواءه مقويا تفرع منه مسحوق للاسنان ، وآخر مانع لسقوط الشعر ، وقطرة ، وصابون ... وكذلك تدريجاً اختفت العناصر التي تكونه ... ومع ذلك سار مسير البرق وانهار المال ... وصار العم يزداد وجاهة وايماناً بذكائه وازداد كرشه الضخم تطبلاً وتكوراً وصار لقمه شكل افواه العطاء ، اذا صح قول غلزوردي ان اعيننا هي ما نحن اما الفم فهو ما نصير اليه . وتعددت المشاريع وكبرت الشركة ... واتسع المعمل على لا شيء

واخذ العم يبتني قصراً ... واخذ جورج يتحجب الى فتاة غنية تدعى بياتريس ، ومن يقرأ قصة الحب بينهما وبين حبيبها يؤمن بان ولز عالم نفسي من الطراز الأول : تقول له وقد خرجا الى الغابة والمطر يسقط رذاذاً اني احبك الآن لا لما فيك من مفاتيح بل احبك باجمعك ، احب فيك غرورك وحمقك ، احب قطرات المطر على معطفك . ثم يوصلها الى منزلها فتقول له تعال : ادخل اني احبك الآن . ولكن الابله يحبها نعم ولكني مضطراً الى الذهاب ... فتعلق الباب غاضبة وهي تقول « اذن فاذهب . »

وكل من قرأ علم النفس الخاص بالمرأة يعلم ان المرأة غير مستعدة لان تهب نفسها الا في ساعة واحدة ترمي فيها بين ذراعي حبيبها وقد فقدت كل وعي . وهذه الساعة يعرفها وينتظرها كل « دون جوان » خبير ، وتقر على الغر الابله دون ان يلحظها

قلنا ان الثروة انهمرت كالسيل ، واستعملت في المشاريع الجديدة ، أي في نصيب جديد الى ان حدث ذات يوم ان كان العم متعباً مريضاً وفي عينيه أثر الدموع ، وعلى وجهه ذلة ومسكنة . فسأله جورج عما به ، فاجاب لقد ذهب كل شيء ... ان الخراب والعار يهدداننا .. انهم يحققون معي ، ويحملون الادوية ... ويسألونني عن الترخيص ، وليس لدي ترخيص . ثم يبكي كما يبكي الطفل وهما امام القصر الذي يعلو ويتناول

يهربان في طيارة ويمرض العم وتشتد عليه الحال في باريس . وهنا فصل من اقوى الفصول في الادب على الاطلاق ، فبينما انت تعرف ان الرجل نصاب فاذا بك تشفق عليه وتجد الدمة تترقق في عينيك ، وتؤمن بقوة ولز الاديب لانه يجعلك تشعر انك لست امام الرجل النصاب محتضر ، بل امام الانسان بكل ضعفه وعيوبه وعجزه امام المقادير والموت ، امام الآمال التي تتجمع ثم تنهار ، وامام العظمة التي تكاد تقبض عليها فاذا هي تتوارى كالشبح ، واخيراً امام الماء الذي نمضي اليه ظامئين فاذا هو سراب يلمع في الصحراء ثم يختفي

وختاماً اوجه نظركم من جديد الى الاديب ولز فهو جدير حقاً بأن تنفقوا في درسه اوقاتكم

من الارز الى الزوفى

تأليف المسز كروفوت والمس بلدنسبرجر

بحث علمي لغوي بقلم الدكتور معلوف باشا

دفع اليّ صديقي رئيس تحرير المقتطف هذا الكتاب لأرى رأيي فيه فلما قرأت اسمه وما جاء في الصفحات الاولى منه لم احفل به كثيراً لاني ظننته كتاباً يبحث في بقول فلسطين وأحاديث القوم فيها ولكنني لم اكد انتهي من قراءة فصل منه او فصلين حتى شعرت أنّي عاجز عن تقده لان عملاً مثل هذا يقتضي بحثاً دقيقاً في ما ورد في الكتاب من أنواع البقول المختلفة وفي اسمائها العلمية والعربية والانكليزية وهو أمر شاق يستوجب معرفة واسعة في علم النبات وعلم اللغة والعلوم الاخرى وهذا مالا قبل لي به الآن . ولكنني قبل الدخول في البحث اقدم القارئ الى المؤلفتين الفاضلتين كما عرفتهما من كتابهما لاني لم احظ بمعرفتهما بالذات بل من فضلها على العلم والأدب . فقد علمت من الكتاب ومن مقدمتيه ان المسز كروفوت هي التي كتبتّه ورسمت الصور التي فيه بقلمها وجمعت ما جاء فيه من فوائد البقول الطبية مما ذكره ديسقوريدس وغيره من القدماء .^(١)

واما المس بلدنسبرجر فهي التي قامت بجمع أحاديث القوم عن البقول وفوائدها الطبية والمنزلية واخبار زراعتها ونحو ذلك . ويظهر ان المؤلفتين تجيدان العربية فامس بلدنسبرجر اقامت العمر في فلسطين وخالطت القوم حتى صارت واحدة منهم . والمسز كروفوت اقامت زمناً في مصر والسودان وفلسطين وجالت في انحاء السودان مع زوجها . واذكر أنّي رأيت لها كتابين أحدهما اسمه «بعض أزهار الصحراء» والآخر «ماله زهر من النبات في السودان» وهما مزيجان برسوم انواع النباتات التي وصفتها وذكرت اسماءها العلمية والعربية والانكليزية وقد استعانت في تحقيق الاسماء العلمية بمعرفتها الواسعة في علم النبات وبالعلماء القائمين بادارة

(١) ديسقوريدس عشاب مشهور ذكرت المسز كروفوت ان اصله من عين زربة في كيليكية وانه أخذ كثيراً عن أهل البلاد التي على سواحل بحر الروم او البحر المتوسط . اما عين زربة هذه فواقعة الى الشمال من طرسوس وعلى عشرة اميال الى الغرب من نهر جيحان فتحها هرون الرشيد ثم حصنها سيف الدولة ثم فتحها الدمشقي ثقفور ابن الفلاس . ثم صارت من اعمال ارمنيه الصغرى وهي الآن قرية صغيرة يسميها الترك نورزة

معشبة الحكومة في الخرطوم ومعشبة كيو في بلاد الانكليز . كذلك في هذا الكتاب فانها لم تأل جهداً في تحقيق الاسماء الصحيحة المذكورة فيه فالاسماء العلمية الواردة في هذه الكتب الثلاثة لاشبهة في صحتها وفي انها آخر ما وصل اليه علم النبات . أما الاسماء العربية فهي الشائعة على السنة العامة وبعضها فصيح او وارد في المؤلفات العربية . والمؤلفتان الفاضلتان لم تدعيا الفصاحة في الاسماء العربية بل ذكر الاسماء كما هي تماماً وهي مكتوبة بحروف لاتينية بعناية تامة وفي غاية الدقة فلا يتعذر اعادتها الى العربية . اما الآن وبعد هذه المقدمة الوجيزة فاني أبدأ في نقد الكتاب

فالنقد على ما جاء في كتب اللغة والأدب مأخوذ من نقد الدرامم يقال نقد الدرامم وغيرها نقداً وتنقاداً ميزها ونظرها ليعرف جيدها من رديها ومثله تنقّد وانتقد اي ان نقد وتنقّد وانتقد بمعنى واحد فالنقد والتنقاد والتنقّد والانتقاد معناه تمييز الجيد من الرديء لا إظهار العيوب وحدها كما هو شائع عند بعض الكتّاب . فإظهار العيوب سهل جداً ولكن نقد المؤلفات كما يفهمه الادباء ليس بالأمر الهين لان له أصولاً وقواعد يجب اتباعها وللعالم المحقق قسطاً كي بك المحصي مؤلف نفيس في النقد قرأته في دمشق سقى الله أيامها وأعادهما الينا وإني أشير على كل أديب ان يقرأه فالنقد ليس إظهار المساوىء وحدها فهذا ذم ولا بيان المحاسن دون المساوىء فهذا مدح بل هو العدل في التمييز بين الجيد والرديء كما تنقد الدرامم

ثم اني قرأت هذا الكتاب اي « من الارز الى الزوفى » من أوله الى آخره فاذا كله جيد لا رديء فيه لذلك يعدّ تقدي له تقريباً وليس ذلك لان مؤلفتيه الفاضلتين من الشق الحسن بل لانه يستحق التقريظ والثناء فاني لو وجدت فيه عيباً لقلته ولذلك جعلت تقدي له بحثاً علمياً اغويّاً لعل في ذلك بعض الفائدة للقراء فاختصت فصلين منه وذكرت ما ورد فيهما من النبات باسمائه العلمية والانكليزية والعربية كما وردت في الكتاب تماماً وعلمت بعض الحواشي بقلمى

ففي الفصل الاول كلام على السنة الزراعية في فلسطين جاء فيه ان السنة عند الزّراع نصفها شتاء والنصف الآخر صيف فالشتاء عندهم يبتدىء في شهر تشرين الثاني أي نوفمبر وهو اول السنة الزراعية اما في سورية الشمالية اي الشام فأوله قبل ذلك اي في تشرين الاول (اكتوبر) وهو يوافق اول السنة العبرانية . ومن اقوال الزّراع عندهم آخر السنة آخر الصيف واول السنة اول الشتاء وهم يريدون بالشتاء المطر فاذا جاء عيد لدّ اي عيد مار جرجس وهو يقع في ٣ - ١٦ من الشهر وقع المطر امّا قبله او بعده بأيام فاذا وقع في العيد استبشروا بذلك وقالوا اوسمت الدنيا من الوسم (الوسمي) اي أول المطر

قلت وجميع ما تقدم يوافق ما جاء في كتب اللغة (المخصص ٩: ٨٧ وما يليه) فأول امطار

السنة الوسمي سمي وسمياً لانه يسم الارض بالنبات . اما قولهم في فلسطين ان اول السنة اول الشتاء فهم يريدون بالشتاء المطر كما تقدم . اما الشتاء عند العرب فالنصف الاول من السنة وأوله من حين انتهاء النهار في القصر وابتدائه في الزيادة وذلك لحلول الشمس برأس برج الجدي اي ما يعرف عند الفلكيين بالمنقلب solstice الشتوي ويقع في الحادي والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) بُعِيد عيد البربرة وآخره عند انتهاء النهار في الطول وابتدائه في النقصان اي ما يسمى عند الفلكيين بالمنقلب الصيفي وهو يقع في الحادي والعشرين من حزيران (يونيو) فهذه الاشهر الستة هي الشتاء عند العرب وهم يسمونه الربيع ويقسمونه الى ربيعين الاول منهما ربيع الماء والامطار والثاني ربيع النبات فالربيع الاول ابتداءه اول الشتاء وآخره الاستواء الربيعي وهذا ما يسمى الشتاء في ايامنا والربيع الثاني من الاستواء الربيعي الى المنقلب الصيفي وهو المسمى ربيعاً في ايامنا لذلك يسمون الموصل ذات الربيعين اي الربيع الاول وهو ربيع المطر والربيع الثاني وهو ربيع النبات . اما الصيف عند العرب فأوله المنقلب الصيفي اي ٢١ حزيران (يونيو) وآخره المنقلب الشتوي اي ٢١ كانون الاول (ديسمبر) . والصيف قسماً فالقسم الاول منه يسمى الفصل الصيفي والقسم الثاني يسمى الفصل الخريفي اي ان السنة كلها نصفان اي اربعة ارباع فالنصفان الشتاء والصيف والارباع اي الفصول الاربعة ربيع الماء والامطار وهو الشتاء في ايامنا وربيع النبات وهو الربيع عندنا والفصل الصيفي اي الصيف عندنا والفصل الخريفي وهو الخريف عندنا . الى ان جاء في الكتاب :

فاذا ارعدت قال الزرّاع من النصارى هذا فرس مار جرجس يطارد في السماء وقال المسلمون هو الخليل او الخضر . فمار جرجس في فلسطين هو الخضر الاخضر ولهما اي لمار جرجس وللخضر علاقة بمار الياس اي ايليا . ولعل للخضر علاقة باله قديم هو رب الامطار واخضرار الارض بالنبات

قلت لا ادري من هو الخضر وانما اتقل هنا بعض ما ورد في كتب اللغة فقد جاء في تاج العروس الخَضِر والخِضِر والخَضِر ابو العباس احمد على الاصح وقيل بلبا وقيل الياس ... وقيل خضرون بن مالك... وقيل هو اخو الياس ... وقال جماعة كان في زمن سيدنا ابراهيم عليه السلام ... وقال ابن عباس الخضر نبي من انبياء بني اسرائيل ... وقيل عبد صالح من عباد الله ... وقيل نبي معمر محجوب عن الابصار وانه باق الى يوم القيامة لشر به من ماء الحياة وانه يؤخر حتى يكذب الدجال وانه في كل مائة سنة يصير شاباً وانه يجتمع مع الياس في موسم كل عام الى آخر ما جاء في هذه المادة وفي محيط المحيط قيل هو صاحب موسى ويكنى بابي العباس وقيل اسمه آلياء وهو نبي والمشهور انه مار جرجس

قلت اما مار جرجس فقد قيل انه كان فارساً من فرسان الروم تنصر واستشهد في زمن

ديقلاطيانوس ودفن في اللد سنة ٣٠٣ وقيل غير ذلك وقيل ان جثته نقلت من اللد في الحروب الصليبية . فان كان الخضر مار جرجس فان اهل بيروت يزعمون انه قتل التنين فيها وله مقام هناك بين نهر بيروت والمدينة القديمة يقال له الخضر وكان له كنيسة في قلب المدينة قيل هي الآن المسجد العمري فبنى الروم كنيسة اخرى لا تبعد عن المسجد اسمها مار جرجس . فاذا كان الخضر مار جرجس فقد لقيناه في بيروت ولقيناه في اللد لانه قتل التنين في يافا على زعم اهل فلسطين لا في بيروت . ثم اني لقيناه في حيفا ولعله اجتمع فيها مع مار الياس ومقامه هناك في جبل الكرمل في جوار مار الياس . ثم عدت ولقيناه في الموصل مدينة الانبياء والصالحين وقبره هناك وله فيها مسجد يقال له النبي جرجيس يزعم النصارى انه كان بيعة لهم باسم مار جرجس

ثم ان مار الياس له معابد كثيرة اشهرها دير مار الياس للآباء الكرمليين في جبل الكرمل حيث يقال انه استل سيفه وقتل انبياء البعل وكانوا اربع مائة ثم اني سمعت اسمه في بغداد وهو محلة في جانب الكرخ يقال لها الخضر الياس قرب دار آل السويدي . ثم ان مار جرجس وقتل التنين في زمن الملك صبرا يذكرنا باسطورة فرساوس حامل رأس الغول وهو الآن صورة من الصور النجومية وابنة الملك صبرا التي يزعم اهل بيروت انها ابنة ملكهم العذراء تذكرنا باسطورة المرأة المسلسلة وهي كذلك صورة من صور السماء . وصفوة القول اني ضعت بين الخضر ومار الياس ومار جرجس الرومي وبين النبي جرجيس الموصي . ولا يخفى ان مار جرجس هو شفيع الانكليز فهل هو يا ترى النبي جرجيس الموصي او الخضر البيروتي او الخضر الفلسطيني وعلى كل فاذا كان الخضر نبياً او من عباد الله الصالحين فانه شفيع انكثرا او منتدب عليها بلغة رجال السياسة في هذا العصر . ثم جاء في هذا الفصل من الكتاب ذكر اسماء الشهور الشائعة في ارطاس . وهذه الاسماء لا تختلف كثيراً عن الاسماء الشائعة في سائر فلسطين والشائعة في شمال سورية والعراق وهي سريانية جرت عليها الدول العربية في معاملتها لان شهورها ثابتة لا تتغير وهي عندي اصلح من الاسماء الافرنجية الشائعة في مصر

وفي الكتاب فصل في الحب والخمر والزيت Corn, Wine and Oil فمن الحب القمح ويقال الحنطة ومنه الشعير والذرة والارز . ثم كلام على الحصاد والدراس اي دق الحب او درسه اما بارجل البقر او بالنورج . ثم تدرية الحنطة وعمل الخبز وهو عند زراعتهم نوعان خبز الطابون اي الفرن وخبز الصاج . ويصنعون ايضاً خبز الملة . ثم كلام على الكرم جاء فيه ان اهل ارطاس لا يعصرون الخمر لانهم مساعون وانما يدبسون ويزببون . ثم كلام على الزيتون والزيت وعصره

قلت والحَبّ بالعربية ويقال الطعام الحنطة ونحوها وفي انكلترة الحنطة وفي ارلندة واسكتلندة الشوفان وفي اميركة الذرة المعروفة في الشام بالذرة الصفراء وفي مصر بالذرة الشامية فالْحَبّ بالانكليزية يقابله الحَبّ او الطعام بالعربية . اما القمح فن اسماه بالعربية الحنطة كما تقدم والبُرّ وهي شائعة في اليمن والطعام وقد تقدمت الاشارة اليه فاذا قال السوداني الطعام فهو يريد الذرة اي الذرة البلدية فالذرة بالعربية هي الذرة البلدية او الذرة البيضاء وهي اصلية في الشرق . اما الذرة الشامية او الصفراء فهي اميركية ولم تكن معروفة في الشرق قبلاً فالذرة في كتب اللغة هي الذرة البلدية فقط

أما ارطاس ويظن ان حداثق سليمان كانت فيها فقرية صغيرة قرب بيت لحم تقيم فيها المس بلدنسبرجر احدى مؤلفتي الكتاب

ثم فصل في الاطعمة البرية كالبقول واحرار البقول والجذور والقطاني وطعام البر وما يأتي بعضها كما وردت بأسمائها العربية والانكليزية والعلمية

Greens

البقول

البقل واحده بقلة وجمعه بقول كل ما ينبت الربيع مما يأكله الناس وكل نبات اخضرت به الارض ويقال للبقل والبقول الخضرة والخضر والخضراوات فترجمت اللفظة الانكليزية بالبقول كما جاءت في سفر الامثال . قال : اكلة من البقول مع المحبة

Common mallow. Malva rotundifolia. L.

خُبْيزَة

يأكلونها مطبوخة مع الارز ويجعلون الارز بين طبقاتها فاذا طبخت كذلك سموها مقلوقة او شختوره وكانت الخبازى معروفة في زمن الرومانيين وكان اكلها شائعاً في العصور المتوسطة قلت والخبيزة عامية وبعض العامة في سورية اي في الشام ولبنان وفلسطين يقولون الخُبْيزي على عادتهم في كسر ما قبل تاء التانيث في اواخر الكلم فيقولون مثلاً ضربني ومصبي في ضربة ومصيبة بخلاف عامة اهل العراق ومصر فانهم لا يفعلون ذلك بل يقولون ضربة ومصيبة . اما فصيح الخبيزة فالخُبْيزى والخبازى بالتخفيف والخباز والخبازة والخبْيز ولم اعثر على الخبيزة في كتب اللغة والخبازى واخواتها اسم جنس لها . وقد يكون واحد الخبيز خُبْيزَة فاستعملها العامة بمعنى الخبازى كما قالوا الخطمية في الخطمي . وارى ان تخصص الخبيزة لجنس آخر منها كما فعل الدكتور بوست في كتاب نبات سورية وفلسطين والقطر المصري وبواديه فيقال في ترجمة Malvella خُبْيزَة

فالخبازى بقلة من الفصيلة الخبازية التي منها الخطمي والملوخية والبامية والقطن ومن اسمائها الرقّة والقيلة ولعل هذه في الاصل مقلوب بقلة . وليست الخبازى الخطمي ولا العنبرس ولا شحمة المريج ولا الغسل ولا الغسول فهذه جميعها الخطمي لا الخبازى فالخبازى الجنس

المسمى عند علماء النبات *Malva* فهذا هو الخبازي دون غيره ولوتعددت انواعه اي ان جميعها خبازي ورقية وقبلة وربما كانت الرقة خبازي نيقية لان علماء ثقات سموها بهذا الاسم . ولما كان التبس على بعض الكتاب امر الخبازي والخطمي فلا بأس بايضاح صحة استعمالهما . فالخبازي من الجنس الذي تقدم ذكره اورد منه بوست ستة انواع سماها بالعربية ما يأتي : الخبازي المصرية والخبازي الاجية والخبازي النيقية (وهي الرقة) والخبازي المستديرة الورق (وهي الخبازي المعروفة التي تؤكل) والخبازي الصغيرة الزهر والخبازي الحادة الفصوص
أما الخطمي ويقال خطمي الواحدة منه خطمية اي النبتة الواحدة بالتاء . والعامة تستعمل الخطمية بمعنى الخطمي كما تستعمل الخيضة بمعنى الخيزر او الخبازي اي ان الخطمي اسم جنس لنبات من الفصيلة الخبازية وهو من جنسين آخرين غير جنس الخبازي هما *Alcea & Althea* ومن اسماء الخطمي بالعربية الغسل والغسل والغسل والغسل وورد الزواني واما الخطمي المستعمل في الطب فاسمها ما يأتي :

Common or Official Marsh mallow. *Althea officinalis*. L.

وارى ان اصلح اسم عربي له الخطمي المعروف او الخطمي المخزني واغفال ورد الزواني وسائر ما جاء من المترادفات فاسم واحد صواب خير من تعدد اسماء قد يكون بعضها خطأ والخطمي انواع كثيرة ترجع كلها الى الجنس المتقدمين فيها الارمني والقني (وهذا الذي سماه ابن البيطار بالقنب البري) والوردي (ولعله الذي سماه ابن البيطار ورد الزواني) والتيني الورق وغيرها والاصلح ترجمة هذه الاسماء كما فعل الدكتور بوست فقولنا الخطمي الوردي خير من قولنا ورد الزواني وقولنا الخطمي القني خير من قولنا القنب البري لانه ليس قنباً بل خطميّاً اما تسمية الخبازي التي تؤكل بالخطمي والعرضرس وشحمة المرج والغسل والغسل خطأ

Hoary brassica. *Brassica adpressa*. Boiss.

لُفَقِيَت

يطبخ ورقه ويصعب التمييز بينه وبين الخردل الاسود . والاسم العربي اي لُفَقِيَت والعبراني اي لِفَقلاف والاسم النوعي معناها واحد اشارة الى التفاف غلاف البزر او لفته الى الساق

Bull's tongue. *Salvia hierosolymana*. Boiss.

لسان الثور

هو نوع من السالملة او المريمية احمر اللون يطبخونه محشواً كالكرنب المعروف في الشام بالملفوف

Arum of several species

لوف . اذن القيل

لا يأكله الا الفقراء وهو سام فيفسلونه بالماء الحار ويطبخونه محشواً كالملفوف

الرحلة والرحالون

في القرون الوسطى

لنقولا زيادة

وانا مضطر الآن ان اكتفي بعدد قليل من رحالي القرون الوسطى لحدثكم عن أسفارهم ، لان ذكرهم كلهم يطول بنا ، والذين احب ان يتحدث عنهم هم الحجاج المسيحيون الذين زاروا الارض المقدسة . وهؤلاء قد جاءوا بلادنا قبل العصر الذي حددناه في بدء الحديث اليوم **حجاج القرن الرابع** نجد بين هؤلاء اربعة كان لبعضهم شأن كبير لا في الاخبار والرحلات فقط ، ولكن في تطور المسيحية نفسها ايضاً . وابعده هؤلاء ايراً جيروم الذي هبط بيت لحم في القرن الرابع واتخذها مسكناً له ، واشتغل في اثناء ذلك بنقل الكتاب المقدس الى اللاتينية وقد كان جيروم سبباً في جذب كثيرين الى البلاد المقدسة رجالاً ونساءً^(١)

واقدم ما كتب عن الارض المقدسة على ما وصل اليها كتاب (حاج بوردو) ونحن لانعرف اسم هذا الكاتب وكل ما اتصل بنا انه فرنسي من مدينة (بوردو) ، زار البلاد سنة ٣٣٣ م ، وكتب دليلاً لمن يزورها بعده ، معتمداً في وصف الاماكن على ما خبره بنفسه ، وفي الاخبار على ما سمع من غيره . ومن الامور التي ذكرها انه رأى الغار الذي كان سليمان يحبس فيه الجن والشياطين وبين حجاج هذا القرن ايضاً سيدتان الاولى القديسة (باولا) ، والثانية القديسة (اتريا) او (سافيا) . اما الاولى فقد لبثت دعوة جيروم . وكانت ربة جداً ، فقامت في الطريق بين يافا وبيت لحم تكايا ونزلاً للحجاج^(٢) . وسكنت بعد ذلك بيت لحم حتى الممات . وقد كتب جيروم اخبارها ورسائلها بنفسه^(٣) . واليك وصف بيت لحم منقولاً عن القديسة باولا^(٤) « في قرية المسيح كل شيء ، خلا التسابيح ، هادئ . حيث قلبت وجهك سمعت التهليل . فالحارث القابض على محراثه يصيح هلوليا ، وحارس الكرم يصرخ هلوليا ، والفلاح يرتل مزامير داوود في عمله ، هذه اشعار وانا شيد السكان في هذه البلاد . وهذه هي اغاني الحب عندهم . لا يهمننا في الواقع ان نفكر فيما نعمل ، ولا كيف نظهر ، بل ان نرى ما تتوق اليه نفوسنا [اي الخلاص] » واما القديسة سافيا فقد كانت رحلتها اوسع نطاقاً ، وابعده مدى ، اذ شملت مصر وسيناء وفلسطين وسوريا وبعض آسيا الصغرى ، وكانت دقيقة في كتابتها حتى حملت الاستاذ يوزي على القول^(٥) « بان معرفتنا عن الشرق كانت يمكن ان تكون صحيحة لو ان الكل كتب مثلها »

(١) Rappoport pp. 264-5 (٢) Rappoport p. 266 (٣) Bliss p. 50 (٤) Bliss. p. 51

(٥) راجع Bliss p. 55

وقال الدكتور بلس (١) « لم يكتب احد بمثل دقتها قبل الحروب الصليبية ». وقد كانت زيارتها في اواخر القرن (٣٨٥ م) واقامت في القدس ثلاث سنوات . والراجح انها فرنسية الاصل ، وقد لوحظ انها كانت تقابل بالحفاوة والتعظيم اينما حلت مما يدل على نبل اصلها وشرف اهلها . ونحن نجمل هذه الامور لان القسم الاول من المخطوطة مفقود الى الآن . ولم تسلم مع كل عنايتها من ذكر ما يبدو لنا صعباً تصديقه . فهي تقول انها رأت شجرة الحق التي غرسها موسى وهارون في صحراء التيه ، والمكان الذي اقام فيه بنو اسرائيل العجل الذهبي والعليقة التي كلّم موسى امامها الرب بعد ان رآها تنقد . ومن اجل ما تركته لنا وصف حفلة تقبيل الصليب يوم الجمعة الحزينة اذ تقول (٢) (جلس المطران في مقعده الخاص ، ووضعت امامه طاولة عليها صندوق فضي يحوي خشب الصليب المقدس . فتح الصندوق ووضع ما فيه على الطاولة ، فوضع المطران يديه على الخشبة وتنبه الاساقفة المحيطون به للحراسة . ثم تقدم الناس واحداً واحداً فانحنوا ثم لمسوا الصليب بحباهم اولاً ، ثم بمحاجرهم ، ثم قبلوه ومرّوا . والغاية من وجود الاساقفة هو المحافظة على خشب الصليب اذ كان من عادة البعض انهم اذا اقتربوا لتقبيله عضّوا جزءاً منه وهرّبوا للتبرك)

حجاج القرن الخامس * يحدثنا القديس داود الانكليزي اول حجاج هذا القرن ، انه اوحى اليه والى اثنين آخرين ان يتجهوا الى القدس ، ليقوموا بواجب الزيارة للاراضي المقدسة فلما اجتازوا البحر الانكليزي وهبطوا فرنسا لم يستطيعوا التفاهم مع اهلها ، فحلت نعمة الروح القدس على داود فصار يتكلم بكل لسان ، فلم يبق ثمة صعوبة ولما وصل القدس قابله البطريرك الذي كان قد اوحى اليه باقترابهم ، بالتبجيل وسام القديس داود رئيس اساقفة . ثم طلب اليهم ان يدحضوا حجج اليهود الدينية فقاموا بالامر ، حتى اقنعوا الكثيرين الذين اخذوا يدخلون في المسيحية افواجا . وقد كافأ البطريرك داود على خدماته بهدية مقدسة حوت مذبحاً ، وجرساً كبيراً وهرادة وحلة منسوجة من الذهب . وقد كان لكل من هذه عجائب وكرامات . ولما اعتزم داود العودة الى بلاده حملت الملائكة له كل هذه اذ لم يكن في استطاعته ان يفعل ذلك بنفسه . وعندنا من رواد القرن الخامس ايضاً ثيودوسيوس وهذا ، على ما يترامى لنا من المفرمين بمكان اعتماد المسيح . فهو يذكره بشيء من العناية والاطالة ، ويصف العمود الرخامي الذي رآه في نفس مكان العباد ، والصليب الذي يعاوه وكنيسة يوحنا المعمدان . ويقول ان الجبال الكثيرة المحيطة بالاردن قدر قصت يوم اعتماد المسيح في النهر وان الناظر اليها الآن - في زمنه - يخيل اليه انها قافزة من مكانها ومن هذانى ان حجاج هذا القرن لا يتسمون بسمة الكتاب الحريصين على الحقائق كثيراً اما في القرن السادس فقد كثر الاهتمام بالآثار المقدسة فالطونيوس يخبرنا انه رأى في

صفورية (سل العذراء) وفي المناصرة الكتاب الذي تعلم فيه المسيح «الالفباء» وان نساء هذه المدينة جميلات لانهن قريبات العذراء. وهو يقول لنا ان اهل السامرة كانوا يكرهون المسيح حتى انهم كانوا يحرقون آثارا قدام السياح المسيحيين ويأبون ان يأخذوا منهم النقود قبل طرحها في الماء لتظهر من رجس ايديهم^(١) وانطونيوس ينقل لنا ان البحر الميت لا يصلح للسباحة لان الاجسام تطفو في مائه...!!

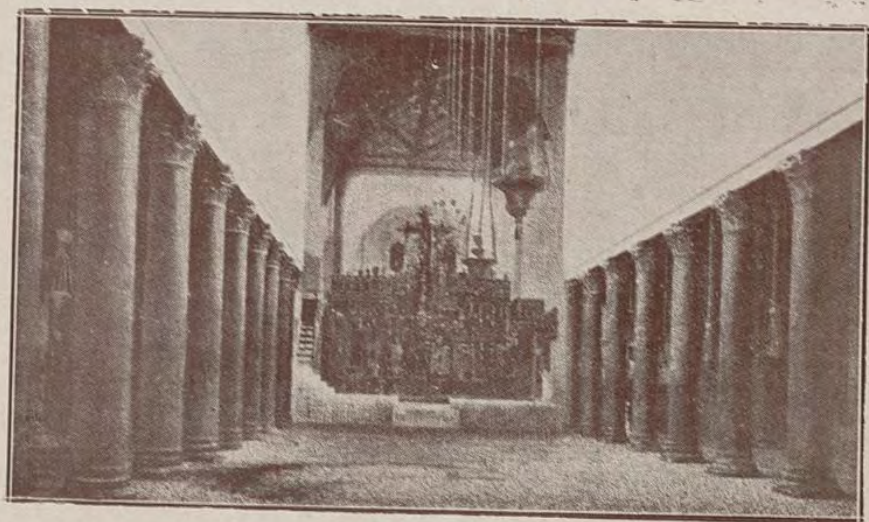
القرن السابع وما بعده: منذ القرن السابع تغيرت الاحوال في الشرق الادنى كله.

ففي اوله كانت الحروب بين الفرس والبيزنطيين واحتلال الاولين للاراضي المقدسة، وما صحب ذلك من تدمير الكنائس وغيرها من اماكن التعبد والقداسة. ولما استعاد البيزنطيون البلاد رمموا بعض ما تهدم ومن ذلك كنيسة القبر المقدس وفي اواسط هذا القرن كان العرب قد احتلوا كل سوريا ومصر ووطدوا حكمهم في هذه الديار، والذي نعرفه ان هذا الاحتلال لم يمنع الحجاج من المجيء الى الاراضي المقدسة^(٢) بل ان العرب شجعوهم على القيام بهذا الفرض الديني. فالحجاج الذين زاروا البلاد في العصر الأموي مثلاً، لانجد في كتابتهم آراءً للشكوى او التذمر. الا اننا نلاحظ فيهم انهم اخذوا يفتدون الى فلسطين بطريق مصر، بدل طريق آسيا الصغرى لما كان من العداء بين العرب والروم. وقد وقعت مع ذلك حوادث فردية عدائية نحو بعضهم بسبب وشاية بعض اليهود فقط. ولما انتقل الحكم الى العباسيين، وقام هرون الرشيد اتسع نطاق الزيارة والتجارة مع العرب في زمنه على شكل لم يعرف قبلاً

وفي آخر القرن العاشر احتل البيزنطيون جنوبي فلسطين، وبذلك تدفق الزارون اليها، ثم استردّها منهم الفاطميون في مصر. وهؤلاء أيضاً فتحوا باب الحج والزيارة للغربيين على مصراعيه، حتى اوائل القرن الحادي عشر، ايام الحاكم بامر الله. وفي زمنه زار البلاد المقدسة جربرت، الذي صار فيما بعد باباً لرومية، وكان ممن لقي اضطهاداً في حجه. لذلك لما عاد الى اوربا واعتلى الكرسي البابوي، دعا الاوروبيين الى تخليص الاراضي التي عاش فيها (المخلص) و صلب وصعد، من أيدي المسلمين. ومنذ ذلك الحين صار الحجاج المسيحيون يأتون مدججين بالسلاح^(٣)، فقلق ذلك بال الحكام، وحملهم على التصديق عليهم خشية منهم

ارغولف: مطران من بلاد الغال، زار الاراضي المقدسة ودمشق، وصور، والاسكندرية، والقسطنطينية في أواخر القرن السابع، وقضى في القدس تسعة شهور وتردد على كل البقاع المحيطة بها. وقد املى أخبار سياحته على راهب انكليزي اسمه ادمان

على ان الاخير هذا لم يوضح كيف وصل ارغولف اليه، ويعتبر كتابه دليلاً صحيحاً ولا سيما انه رسم خُرطاً تقريبية لكنيسة القبر المقدس وغيرها. على أنه لم يستطع ان يتخلص من الروح الدينية العامة التي كانت تسيطر على اذهان الجماعة في تلك العصور،



كنيسة المهد في بيت لحم

امام صفحة ٥٩٩

مقتطف مايو ١٩٣٣

والمبنية على ان للآثار المقدسة فعلاً عجيباً في شفاء الامراض وغفران الخطايا ، فهو يعدد الآثار التي رآها ، مثل الكأس المقدسة الفضية ، والاسفنجة ، والحربة التي شهدت صلب المسيح . وقد لمسها وقبّلها أيضاً . ونحن نعرف منه أيضاً ان الصليب الحقيقي موجود في القسطنطينية ^(١) وقد زار بركة الاردن ووصف النهر ومكان العماد ، والجراد والعسل البري الذي استعمله يوحنا في حياته ، اذ يقول ^(٢) « وفي البرية نوع من الجراد صغير لا يتجاوز واحده حجم الاصبع ، يسهل القبض عليه لانه يقفز ولا يطير ويقلع عندها بالزيت ويستعمل طعاماً وفيها أيضاً شجر له أوراق كبيرة مستديرة ، اذا ضغطت خرجت منها عصارة حلوة . وهذا هو العسل البري » . وذكر أنه توجد على جبل الزيتون (الطور) كنيسة الصعود لاسقفها ، لان العاصفة التي تهب كل سنة في نفس الوقت الذي صعد فيه المسيح الى السماء تعصف بالسقف وبكل المواد لمثل هذا البناء ، كما شاهده بنفسه

ويقول في مكان آخر « اعتاد الناس ان يقدوا الى القدس جماعات كبيرة في الخامس عشر من ايلول (سبتمبر) من كل سنة للاحتفاء بعيد الصليب المقدس ولتبادل السلع والبضائع حتى انه كان من الصعب اختراق طرق المدينة لكثرة الاقدار المسببة عن الحيوانات الكثيرة التي يؤتى بها . ولكن العناية الالهية كانت تبعت على أثر مغادرة الناس للمدينة بمطار غزيرة تنظفها » ^(٣)

✽ منديل المسيح ✽ وبين الآثار المقدسة التي رآها ارغولف المنديل الذي غطي به رأس المسيح في القبر . « وقد سرقه يهودي بعد قيامة المسيح وخبأه . ولما حضرته الوفاة جاء بولديه وخيرهما بين كل ثروته وبين المنديل فكان من جراء ذلك ان شقي الاول وخسر كل ما ورث ، وصعد الثاني واثرى ببركة ما أخذ وبقي هذا المنديل ارضاً في عائلته جيلاً بعد جيل حتى نشب نزاع بين الذين كانوا يؤمنون بقدسيته والذين كفروا بها من أفراد العائلة . فاحتكموا الى الامير (٤) في ذلك . فاشعل النيران في الساحة العامة ثم وضعه فيها ، لكن النيران لم تمسه قط بل أخذ يرتفع وبعد دقائق هبط على الفريق المؤمن أي المسيحيين الذين كانوا طول الوقت يصلون ويضرعون الى المسيح ان ينيلهم إياه » اما القرن الثامن فبطل سياحه ويلبولد الانكليزي الذي زار البلاد في اوائله (٧٢١) —

(٧٢٧ م) وقد كان من عادة الكثيرين من جوابي تلك العصور وحجّاجها ان يكتبوا بذكر اسماء البلاد التي مروا بها قبل وصولهم فلسطين ، فاذا وصلوها ذكروا اخبارها بالتفصيل . وأما ويلبولد فانه يصف رحلته كلها في اواسط اوربا واجتيازه الالب وروما ، والبراكين التي مرّ بها . ويقول مثلاً ان سكان المدينة المجاورة لبركان اتنا في صقلية يدفعون عن انفسهم غائلة ثوران هذا البركان برفع وشاح القديسة « اغاثا » المدفونة عندهم فيبدأ ثائر باب جهنم

ولما كان العرب يحشون عندها تحبس الغربيين بسبب ما كان بينهم وبين الروم من حروب ،

(١) Travel & Travellers p. 65 (٢) Early Travels in Palestine pp. 8—9

(٣) Early Travels p. 1

ولما كان عدد رفاق ويلبولد قد بلغ المائة فقد اتى القبض عليهم وزجوا في السجن الى ان حقق معهم، ومثلوا امام الخليفة يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) فلما عرف بلادهم وغايتهم اطلق سراحهم وزودهم برسائل تمكّنهم من التجول في البلاد، وأعفاهم من ضريبة الحج^(١) واتخذوا القدس مركزاً لزيارتهم، وقد مروا في احداها بجمص فزودهم حاكماً بكتاب لكل اثنين منهم وأمرهم ان يسافروا اثنين اثنين فقط، اذ لم يكن سبيل لهم ان يحصلوا على طعام يكفّهم جميعاً اذا سافروا معاً^(٢)

وقد كان نقل البلسم من فلسطين ممنوعاً وكان عقاب من يخرج الموت ولكن ويلبولد رغب في اخذ شيء منه الى بلاده فلأ انبوبة صغيرة منه، ثم وضعها في انبوبة اخرى اكبر منها وملاً الثانية زيتاً صخرياً لعله النفط او القار، حتى غمرت الاولى. فلما وصل الى صور وفتشوا امتعته، منعهم الزيت ورائحته من ان يعرفوا بوجود البلسم^(٣)

برنارد الحكيم: هذا نموذج سيّاح القرن التاسع الميلادي وهو القرن الاخير من عصر التفاهم والتسامح بين الشرق والغرب الذي سبق الحروب الصليبية. وبرنارد جنى بعض ثمار العلاقات الطيبة التي توطدت بين الدولة العباسية في الشرق والامبراطورية الرومانية المقدسة في الغرب، بسبب صداقة هرون وشارلمان. وهذا سائح لا يبدأ الرحلة قبل ان ينال رضى قداسة البابا وهو يمر بالاراضي الايطالية التي كانت خاضعة للنفوذ الغربي، فيحمّله سلطان باري رسائل الى امير الاسكندرية والى امير القسطنطين في مصر. وكذلك كان شأنه في كل مدينة مرتبها ان يعطى الى السلطة الحكومية في المدينة الثانية رسالة لقاء دينار او دينارين، والطريق التي يسير فيها من مصر الى فلسطين الطريق البري مخترقاً سيناء فاذا وصل الرملة سار الى القدس بطريق عمواس، وحل ضيفاً في النزل الذي بناه شارلمان

وبرنارد اول من ذكر «فيض النور» في يوم السبت السابق للفصح المقدس، فقد قال «ويجد الداخل الى القبر قناديل كثيرة معلقة فوقه. فاذا كان صباح يوم السبت السابق ليوم الفصح بدئت الصلاة في الصباح حتى اذا تم ذلك، انشد الكل بصوت رخيم «كيريا لايسون» الى ان ينزل الملاك وينير القناديل المذكورة وعندها يتقدم البطريرك ويعطي لكل مطران حصته من هذا النور المقدس، ثم يسمح للشعب ان ينير كل قنديله». وعلى ذكر ما اورده برنارد انقل ما كتبه ابوالفرج عن فيض النور زمن الحاكم في اضطراره للنصارى. قيل انه وشى بعضهم الى الحاكم ان النصارى يوم فيض النور يدهنون السلاسل التي تعلق بها القناديل بزيت البلسم فاذا جاء الحارس الغربي المكلف حراسة القبر في ذلك اليوم خشية التلاعب فيه، وختم باباه اشعلوا البلسم الذي على السلاسل من ثقب خفي فتضاء القناديل وعندها تنهمر دموع الفرح من مآقي الناس ويصيحون «كيريا لايسون» حاسبين ان هذا النور قد هبط من السماء وبذلك يقوى ايمانهم»

كتاب الاغاني

لابي الفرج الكاتب الاموي المعروف بالاصبهاني

— ٢ —

واخترن ثروة طائلة من « رواية عالية ، وأدب عزيز » وعلم واسع باللغة والاخبار وصناعة خلفها اصحابها ولما نجد من الاخلاف من يحسنها مثلهم وكان ابو الفرج الاصبهاني من الندماء الخصبين بابي محمد المهلي وزير معز الدولة بن بويه الديلمي . واحتل العلم ودراسته وكثرة الحفظ قلب الكاتب الاموي فلم يكن كثير العناية بظهره . ومثله عدد لا يحصى من المشتغلين بالادب والتأليف حتى في عصرنا هذا . وقد روي ذلك عن « اميل فاجيه » الناقد الفرنسي المحدث . ولم تسلم مكانة ابي الفرج وعلو كعبه في العلم من الحساد . وكان لا يغتفر ذلك والناس يحذرون لسانه ويتقونه لقوته ومقدرته وكان ربما صدر منه شيء من ذلك في حضرة الوزير المهلي فكان ابو محمد يتكلف احتمالها لورودها من ابي الفرج وكان العصر منصرفاً الى البذخ والاسراف . وكان ابو محمد المهلي اشبه بوزير من وزراء لويس الخامس عشر ، روى انه ابتاع له في ثلاثة ايام بالف دينار ورد لكي يجعلها مفارش في مجلسه ! وزاد العصر على اسرافه انه اطرح عنه بعض القيود التقليدية التي كانت تغل انتاجه الفكري والمادي . ولم يخل مع ذلك من شيوع الاوهام والاباطيل التي فوّتت عليه دراسة الحكمة والعلم العميق . فان تلك الظرائف الملكية التي وقفت عندها صناعة الاندلسيين للدمي واشباهها حين وصلت الى القاهرة استحال الى تماثيل كاملة للشعراء وغير الشعراء صيغت من الابرز واتسع استعمال الالوان من التزيين الى التصوير حتى لقد استعمل للاعلان وللانذار . وفي ذلك الوقت كان الكاتب الاموي قد فرغ من تأليف كتابيه الغريبيين « الخرافات » و « الحمارين والحمارات » . وكان مدخراً لمؤرخ رواية كالمقرئ ان يؤلف عن ذلك العصر كتاباً في « طبقات المصورين والمزوقين »

واذا كان كتاب « الاغاني » قد حوى كل ضروب النظر والبذخ والابهة التي انغمس فيها العرب لعهد اتساع دولتهم فان عصر الاصبهاني كان قد بلغ الغاية القصوى في التأنق في اللباس والمآكل . فكان من دون الوزير من عمال الدولة يستعمل صحاف الذهب والفضة فكيف بالوزراء والخليفة . وكان استعمال الكماليات مألوفاً شائعاً . وينسب الى ذلك العصر لبس الجوارب الحريرية والنعال المؤلفة من لونين من الجلد والتخفف بانواع من الاثواب الغالية التي

كانت عزيزة نادرة في غير الدولة الاسلامية . وكذلك نلحظ في كتاب « الاغاني » واخباره
مرآة صادقة لتطرف العصر نفسه وشغفه بادب السمو والنوادر . وحتى في عهد سؤدد الدولة
الاسلامية وسيطرتها بعث الدم العربي في اخلاف الجاهليين حب السمر . بعث فيهم الهوى
القديم الى رواية الشعر الغنائي

ولما اهدى ابو الفرج كتابه الذي جمعه في خمسين سنة الى سيف الدولة بن حمدان كان نصيبه
كنصيب الفردوسي سيد شعراء فارس لما اهدى « الشاهنامه » التي نظمها في ثلاثين سنة الى
الامير محمود سبكتكين^(١)

فاعطاء سيف الدولة الف دينار . وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال : لقد قصر سيف الدولة
وانه يستأهل اضعافها . ووصف الكتاب فاطنب : لقد اشتملت خزانتي على مائتين وستة
آلاف مجلد ما منها ما هو سمي غيري غيره ولا راقني منها سواه

وقيل : لم يكن كتاب « الاغاني » يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره . ومن الممكن
ان نستخلص من ذلك ذوق العصر وطبيعة ميله الى الاطلاع وتقديره للتأليف

وتأني الكاتب الاموي في جمع كتابه وتصنيفه ودل على عناية فائقة بشرح مذاهب المغنين
في صناعتهم . اما طريقة او « اسلوب » التصنيف الذي اختاره ابو الفرج الاصمعي في هذا
اتباعه جيل عظيم من الاخباريين والمؤرخين والرواة . ولما اطلعنا على المقدمة التي صدر بها « ياقوت
الرومي » كتابه « معجم الادباء » وجدنا تفاصيل تعين على تمييز ذلك الاسلوب في التصنيف وتأويله
قال ياقوت في نقد ابني بكر بن عبد الملك التاريخي « ... هذا مع ان كتابه — في اخبار الادباء —
صغير الحجم ، قليل التراجيح ، محشو بالنوادر التي رووها لا يختص « باخبارهم » انفسهم ...
ثم ألف بعده في هذا « الأسلوب »^(٢) ... الخ

و « صنف » فيه أبو عبيد الله محمد المرزباني كتاباً حفيلاً كبيراً على عادته في تصنيفه ... الخ
و « ألف » فيه أبو سعيد السيرافي كتاباً صغيراً في نحاة البصرة نقلنا « فوائده »
« ثم جمع » في ذلك أبو بكر الاشبيلي كتاباً وهو اكثرها « فوائده » و « تراجيح » ...
« وفي « اخبار اهل الأدب » وجدت كتاباً لعل بن فضال المجاشعي كثير التراجيح الا انه
قليل « الفائدة » لكونه لا يعتني « بالاخبار » ولا يعبأ بالوفيات والاعمار^(٣)

وقال ياقوت في تصدير معجمه . و « جمعت » في هذا الكتاب ما وقع الي من « اخبار »
النحويين واللغويين ... وكل من « صنف » في الأدب تصنيفاً او « جمع » في فنه تأليفاً ... الخ
فاستعمل في معنى « التأليف » : صنف وجمع . وصنف الشيء جعله اصنافاً وميز بعضه

(١) كانت تتألف من ستين الف بيت فاعطاء الامير نصف درهم من النضة ثمناً لكل بيت

(٢) اذن هو « اسلوب » في التأليف لا طريقة (٣) يعني بلا شك التواريخ والازمنة « كرونولوجي »

من بعض . ومنه تأليف اللحن وتأليف العناصر . وهي طريقة الاخباريين اتبعوها ليسهل حفظها على الرواة . وجلي ان الأدب شيء والعلم شيء آخر . وقد كان الاغريق واللاتين يذكرون البطل او الخطيب باخباره مرتبة دون اسناد ويخلطونها بكثير من الخرافات «الميثولوجيا» وهم ايضاً اصحاب الطريقة العلمية التي يخاطب فيها المؤلف شخصاً مفروضاً كأنه القارئ نفسه «اعلم وفقك الله ان كذا ... الخ» وقد اتبعها ارسطو والحكيم سنكا وشيشرون من قبل ان يتبعها الغزالي وابن رشد وابن مسكويه

أما الاخبار والشعر فن جملة علوم الادب وقد أشار الاصمهاني الى ان «المغزى في كتابه انما هو ذكر الاغاني باخبارها» . وهذا تأويل لمذهبه في رواية الكتاب . وربما كانت اخبار المغني اذق واصدق شرح لصناعته . ومن مزايا هذا «الاسلوب» في التصنيف : البیان والترتيب ومن تعابير نقدة العرب ان فلاناً العالم او الاديب «حسن الترتيب لما يصنفه» وانه «احسن تصنيفاً من الجاحظ»^(١) . والجاحظ هو صاحب «البیان والتبيين» . وكان الاصمهاني حاذقاً في ترتيب اخباره ممتازاً بجمال أسلوبه وبيانه

ومنبع هذا «الاسلوب» في اعتماد الاخبار موضوعاً للتاريخ ماجرى عليه العرب بطبيعة مزاجهم من حب السمر والحديث . والعرب في الاصل تجار . وكان الشعر العربي من قبل القرآن قد استنفد العبقرية العربية . ولما صار العرب تجار اكفاء بسطوا جناح سيطرتهم على العالم وكان للاسماء في اللغة تأثير في طبيعة التفكير والمزاج . فان معنى «تجارة»^(٢) في اللغة اللاتينية العلاقة الاجتماعية او المعاشرة او التبادل والمحاورة او الترسل ومنها اشتق اسم السمر او الحديث وكانت الصيغة الاخيرة التي اكتسبها هذا الاسم هي بلا شك الرواية او الاخبار . وفي عادات العرب كما هو في كتاب الاغاني روح السمر والحديث وصور العلاقات التي كانت تربط طبقة الادباء والشعراء وارباب الفنون بالارستوقراطية العربية في الاسلام

ولقد غاب العلامة الفرنسي «ارنست رنان» على الشعر العربي انه ذاتي «Objective» وان الشاعر يتكلم فيه عن نفسه وعن حالاته الخاصة به . وان الناحية فيه مفقودة . واصل الرأي للمستشرق «لاسن»^(٣) وهو لا يعيب العنصر العربي ولا الشعر العربي . لان العرب لم يكونوا شعراء بالفطرة الا لان الشعر الغنائي كان نفساً طبيعياً فيهم

ويرى «برونتيير» ان الشعر الغنائي حين تم تكوينه كانت ذاتية اوربا قد تكونت . اذن وافق ترقى الشعر الغنائي عند العرب اكتمال ذاتية «اند فو السم» العنصر العربي وفي الحقيقة ان كتاب الاصمهاني يمثل وحدة علمية وادبية تستحق ان تكون رمزاً لعبقرية العنصر العربي

عبد الحميد سالم

الراديو م والعلم والصحة

[بتصرف قليل عن مجلة العلم العام]

التدجيل بمياه الراديو م جاء في احدث الانباء ان الحرب قائمة على ساق وقدم في امريكا لمكافحة كل الادوية المسجلة حتى الراديو م ، وان موقدي جذوة تلك الحرب العوان هم اولاً — لجنة التجارة المتحدة وثانياً — مصلحة الاطعمة والادوية وثالثاً — فروع الادارات الصحية الحكومية والبلدية — ورابعاً — الجماعات الطبية — وغايتهم منع بيع الادوية المجهولة التركيب في الاسواق ولا سيما العقاقير التي تعزى فوائدها الى الراديو م والراديو م عنصر مقوٍ ، اذا تولى العلاج به خيرٌ ، ولكنه قاتلٌ ، اذا استعمله غير دجال . فيجب ان يكون آخر عقارٍ يُباح بيعه في مخازن الادوية ، لان بيعه ويشترى اعتباطاً كأنه قرص من اقراص تخفيف السعال او جرعة من زيت الخروع . وقد اطلقت الطلقة الاولى في تلك الغارة الشعواء عند ما حجز ضباط حكومة الولايات المتحدة في مدينة بنسلفانيا بولاية نيويورك مركباً شاحناً ١٦٧٠ قارورة ملائ راديو ماً كندياً مقوياً كانت احدى الشركات مزعة توزيعها في الولايات المتحدة وكان الحافز لولاة الامور على القيام بتلك الحملة موت المستر اين بايز Eben Byers متسماً بالراديو م — وهو احد ارباب مصانع الحديد المشهورين في مدينة بتسبرج ، وكان قد اعتاد قبل وفاته بسنتين تناول مقادير كبيرة من احد الادوية الجاهزة المركبة من مياه الراديو م التي كان يعلن عنها « بأنها محاليل املاح الراديو م غير المضرة التي تشفى ١٦٠ مرضاً وتجدد الشباب » ومن نحس الطالع ان ذلك العقار اثر في صحة المستر بايز في بدء الامر كالسحر إذ خيل اليه وهو كهل انه قد استعاد شبابه حتى زعم انه قد اهتدى الى ينبوع الشباب فجعل يهدي الى اصدقائه صناديق من قوارير مياه الراديو م السالفة الذكر — واستمرت حاله على ذلك المنوال بضعة اشهر ثم اعتراه مرض شديد افضى الى موته من عهد قريب مصاباً بداء تنخر العظام (اي يلى وموت العظام) في الفكين وفقر الدم وخراج في الدماغ. وقال الدكتور فردريك فلين (مدير قسم حفظ الصحة الخاص بالصنّاع في كلية الاطباء والجراحين بجامعة كولومبيا) الخبير في علاج التسقم الراديو م ، وهو الذي استفرغ جهده عبثاً في انقاذ حياة المستر بايز ، انه قد توفي رجل آخر من تناول مياه الراديو م وان كثيرين غيره سوف يلاقون حتفهم من ذلك الينبوع المشؤوم . وقد شرحت جثة بايز فوجد فيها اكبر مقدار تناوله انسان من املاح الراديو م . وكان ذلك اكثر من ثلاثين ميكروغراماً وهذا يكفي لقتل ثلاثة رجال

ومن أشهر الأدلة على فظاعة تأثير الراديوم في جسم الإنسان فاجعة فتيات نيو جرزي فقد أصابهن الكساح ثم تسممن بالراديوم وهالكن . وذلك من اعتيادهن دهن موائء الساعات بالدهان المنير المصنوع من املاح الراديوم . وقال حديثاً الدكتور هاريسون مارتلند الطبيب الشرعي الذي درس تلك الحوادث درساً تاماً ان ١٨ نفساً من مستخدمي مصنع شركة راديوم الولايات المتحدة في مدينة اورانج بولاية نيو جرزي (المغلق الآن) قد ماتوا من تسمم الراديوم ايضاً وان اكثر من ثلاثين غيرهم سيصابون بالكساح واغلبهم كانوا يصابون بالتسمم عن طريق الشفاه من ارفاف الفرش المغموسة بدهان الراديوم ايضاً . وبديهي ان الحملة الآتفة الذكر قد ألقت لمناهضة الدجالين الذين يخدعون الناس بمزاعمهم ان الراديوم دواء لجميع الامراض ، لا لمقاومة نفثس الاطباء الذين يستعملون الراديوم . فقد ثبت نجاح الراديوم نجاحاً باهراً في علاج بعض اصابات السرطان . ويتبين ذلك من تصريح القاه رئيس احد المعاهد الكبرى لعلاج السرطان في الولايات المتحدة اذ قال ان عشرة في المائة من المصابين هناك بالسرطان يعالجون بطريقة الراديوم . ويستعمل الراديوم لكثير غيرهم لتخفيف آلامهم تخفيفاً كبيراً

❖ اكتشاف الراديوم ❖ كشف العلامة بيري كوري وقرينته عن الراديوم في ديسمبر سنة ١٨٩٨ في معملهما الكيماوي الخاص ، بضواحي مدينة باريز ، فأخذ الناس من ذلك العهد يشيدون بذكر الراديوم قائلين انه من اجل نعم الله على عباده . وظلوا يعتقدون ذلك الاعتقاد الى اوائل سنة ١٩٢٥ اذ توفي المسيو ديميترو Demenitrou وهو كيماوي كان مساعداً في معمل كوري فاخترته المنون بعد ما كابد آلاماً مبرحة من تعرضه سنوات عديدة للمواد المشعة التي تنبثق من الراديوم ، فشرع الخبيرون وقتئذ يدركون نقيم الراديوم . واصبح غير خاف على العلماء ان الراديوم قاتل ، كما هو شاف للناس بسهولة ، ولذلك ترى الاطباء المخصصين للمعالجة به يتخذون اشد الاحتياطات لوقاية انفسهم ومرضاهم من تأثير الراديوم القاتل

والراديوم اقوى واغرب ما كشفه الانسان حتى الآن من عناصر الطبيعة . وهو يكن سر تحول العناصر . فقليل انه حجر الفلاسفة الجديد الذي قضى علماء الكيمياء القدماء يبحثون عنه ازماناً فلم يظفروا به . ولكن تحوله معكوس لانه يصير احط قيمة بكر الدهر — والراديوم نتيجة انحلال عدة عناصر تبدأ بالاورانيوم وتنتهي بالرصاص بعد انقضاء ملايين السنين — وهو يفقد نصف قوته ونصف وزنه في ١٧٣٠ سنة ويفقد قوته كلها تقريباً في نحو ١٩٠٠٠ سنة وقد توسل به علماء الجيولوجيا (وذلك بمعرفة الزمن الذي يقضيه الاورانيوم مصدر الراديوم حتى يصير رصاصاً) الى تقدير عمر الارض بزمن يتراوح بين بليونين وثلاثة بلايين سنة ، وذلك بمعرفة نسبة مقادير الاورانيوم الى نسبة مقادير الرصاص التي وجدت في عدة طبقات من الصخور المختلفة . واطلقوا على الطريقة التي استخدموها في التقدير اسم (ساعة الراديوم)

ويقذف الراديويم في اثناء انحلاله الغامض المستمر ثلاثة انواع من الاشعة وهي ألفا وبيتا وغمّا . فأشعة ألفا بمثابة اجسام هي نوى من ذرات الهليوم مشبعة بكهرباء ايجابية تقطع في الثانية الواحدة ١٨٠٠٠ ميل . واشعة بيتا مكوّنة من كهارب « الكترونات » كهربائية سلبية تشبه الاشعة السلبية التي تتولد في معامل التحليل الكيماوي باناييب كروكس وهذه تقذف بسرعة تتراوح بين ٦٠٠٠٠ و ١٨٠٠٠٠ ميل في الثانية . واشعة غمّا تختلف عن اشعة ألفا وبيتا (اللتين هما تيارات من ذرات مادية دقيقة) بكونها امواجاً كهربائية سريعة التموج مثل امواج انبوب الاشعة السينية . غير ان الاشعة السينية اطول امواجاً منها وسرعتها كسرعة النور ، وأشعة ألفا ذات قوة ضئيلة في اختراق الاشياء فتقطع $\frac{1}{4}$ من البوصة من مصدرها . أما أشعة بيتا فقد تخترق نحو ٦٠ بوصة . واشعة غمّا اشد من اشعة بيتا في اختراق الاشياء مائة مرة

ثم ان التباين العظيم الذي يحدث من تأثير تلك الاشعة في الانسجة الحية هو سرّ طبيعة الراديويم الثنائية . فأشعة ألفا هي الاشعة المميتة ولعلها اشد الاشعة القتالة التي عرفها العلم حتى اليوم . واشعة بيتا خطرة جداً ايضاً وتحدث حروقاً تسمى « حروق الراديويم » . اما اشعة غمّا ففريدة وهي اشعة الراديويم الوحيدة المستعملة الآن في الطب . ومع ذلك فان هذه الاشعة شافية ولكنها قتّالة ايضاً . ففتى استعملت في اصابات السرطان أهلكت خلايا الاورام الخبيثة أو وقفت نموها واذا احسن استعمالها لا تعوق نمو خلايا الجسم الطبيعية . وقد قال الدكتور (يوسف ميور) احد اطباء مدينة نيويورك الخبير في العلاج بالراديويم ان اشعة غمّا قد تفتك بخلايا البيض والمني

❖ **اضرار الراديويم** ❖ وتحدث اضرار الراديويم المروعة ، للذين يستعملونه بلا خبرة اولمن يتناولونه مشروباً محلولاً في الماء او الذين يتعالجون به بأية كيفية ، من أشعة ألفا القتّالة لانها تؤلف ٩٢ في المائة من جميع أشعة الراديويم

وليست أشعة ألفا مهلكة فحسب بل غدّارة ايضاً ففتى تعاطى المرء الراديويم سرى في جسمه وكن في عظامه . وكذلك اذا أخذ الراديويم محلولاً صيّره الدم بطريقة كياوية غامضة ، مادة مشعة لا تنحل تدخل العظام بهذه الصفة . ولما كانت أشعة ألفا ذات قوة ضئيلة في اختراق الاشياء وكانت المسافة بين المراكز المولدة للدم الواقعة في نخاع العظام قريبة جداً فان هاتيك الاشعة تستطيع الوصول الى تلك المراكز حيث تتجلى طبيعة أشعة ألفا الغدّارة ، وذلك انها تقوي اولاً المراكز المولدة للدم فتكثر فيها خلايا الدم الحمر والبيض عما تكون عليه طبيعة . ومن ثم يشعر المريض انه قد أبلّ من علته واستعاد شبابه

ومرغان ما يحدث رد الفعل — والدليل على ذلك ان فتيات نيوجرزي اللواتي كن يلحسن

ذرات الدهان المشع لم تظهر عليهن علامات المرض إلا بعد انقضاء مدة تختلف من سنة الى اربع سنوات في اعمالهن بمصنع الساعات المنيرة لان القذائف التي تقذفها أشعة ألفا باستمرار على مراكز توليد الدم ، تقوضها تقويضاً بطيئاً . وحينئذ يقل عدد كريات الدم البيض ويفسد تكوين الكريات الحمر فيترتب على ذلك الاصابة بداء فقر الدم

وجرة الراديوم القتالة التي تتكون من ١٠ ميكروغرامات تقذف في الثانية الواحدة نحو ٣٧٠٠٠٠ دقيقة بسرعة ١٨٠٠٠ ميل في الثانية ليلاً ونهاراً ، وعقب هذه الصدمات المتوالية القاسية تأخذ العظام ولاسيما الهيكل العظمي المعرض للثقل او الضغط في التداعي ثم في البلى وهذا ما يسمى بموت العظام اي النخر او التنخر . ولما كان الراديوم يفقد نصف قوته في ١٧٣٠ سنة فان قذائف شعاعه ألفا تظل منطلقة من غير تناقص عدة قرون بعد الوفاة

وقد ظهرت هذه الحقائق ظهوراً عملياً من عهد قريب في تجربة تبعث على الدهشة وهي ان الدكتور الكسندر جتار الخبير في علاج السموم بمدينة نيويورك فحص الهيكل العظمي لاحد ضحايا الراديوم في نيوجرزي حين اخرج من قبره بعد الوفاة بخمس سنوات . فاخذ ربع اوقية من عظم ذلك الهيكل ووضعها أمام عداد جيجر Geiger counter (وهو جهاز يصير اشعة الراديومذبذبات كهربائية) ثم جاء بسماعة لاسلكية مكبرة للصوت ووصلها بذلك الجهاز فحولت الذبذبات الكهربائية التي اصلها اشعة راديوم الى امواج صوتية مسموعة واذا كانت السماعة اللاسلكية تحدث اصواتاً متواصلة كان انبوب مملوءاً غاز نيون يشع نوراً احمر كلما مرت دقيقة من دقائق اشعة ألفا الكهربائية بحجاب ذلك الجهاز . وكان الدكتور نفسه قد سبق فاخذ ايضاً عظمة من عظام قدم ذلك الهيكل فوضعه على لوح فوتوغرافي في حجرة مظلمة فطبعت صورته من تلقاء نفسها

وضحايا التسمم الراديومي تشع من ابدانهم اشعة الراديوم وهم احياء ايضاً . فقد حدث منذ بضع سنوات حادثة فظيعة لا يزال الناس يذكرونها وهي ان احدي عاملات دهن موالي الساعات المنيرة ، كانت نائمة في غرفتها ذات ليلة فاستيقظت لتتناول دواءها وكانت الغرفة وقتئذ حالكة الظلام فذعرت تلك الشابة اذ رأت شعاعاً منعكساً على المرأة منبعاً من جسمها نفسه !! . فكان ذلك الحادث الرهيب محققاً لما زعم الاطباء الذين كانوا يعالجون تلك الصبية التسعة وهي ان اصابها كانت تسمم راديومياً

وقوارير مياه الراديوم الصناعية التي يزعم باعها احتواءها على الرادون أي الغاز الثقيل الذي ينبثق من الراديوم بعد قذفه أشعة ألفا ، قد انتشرت في أسواق امريكا من بضع سنوات وكذلك الاجهزة المسماة « منشطات الابدان » او قذافات الراديوم التي يدعي صانعوها انها تحول مياه الحنفيات العادية ماءً مشعاً في الحال . وقد بلغ ما بيع من تلك الاجهزة الصغيرة

١٥٠٠٠٠ في سنة واحدة وذلك في المدن الواقعة على ساحل المحيط الهادي . وكان صانعوها بعد وفاة بايرز يعلنون عنها اعلانات باهرة ولا سيما لما صرّح محافظ مدينة نيويورك انه اعتاد استعمال جهاز منها عدة سنين فاستفاد منه فوائد جمة . وفي هذا الصدد يقول الدكتور مارتلند ان تلك الأجهزة لا تأتي بفائدة الا من قبيل الاستهواء الذاتي . لان كثيراً من الغاز يفلت في الهواء عند تحضيره فلا تتسع معدة الانسان للمقادير الكبيرة من تلك المياه المحتوية على قدر مفيد من ذلك الغاز — وهذا القول عينه ينطبق على مياه الرادون المملوءة بها القوارير وقد ظهر في السوق أخيراً نوع جديد من مركبات الراديوم ونعني به (شكولاتة الراديوم) التي تصنع في المانيا ويعلن عنها انها من مجدّدات الشباب وانها علاج ناجع لأكثر امراض الجنس البشري . فاذا ألف الانسان أكلها فلا بدّ من اصابته بما لا تحمد عقباه ، والواقع انه «ممن طيب لطاسي يصف لمريضه الراديوم كعقار» لان ما يستعمله الطب انما هو أشعة الراديوم «الراديوم في العلاج» ويموت في الولايات المتحدة كل سنة أكثر من ١٠٠٠٠٠ مصاب بالسرطان وليس لدى الاطباء أسلحة معروفة حتى الآن لمكافحة ذلك الداء العياء سوى الموضع وأشعة الراديوم والاشعة السينية «المشابهة لاشعة غمّا» والمعروف للآن ان الراديوم علاج ناجع لبعض أنواع من اصابات السرطان في ادوارها الاولى . اما في أحوال المرض الشديدة فقد ينفع الراديوم في اطالة عمر المصاب وراحته من العذاب . ولذلك طريقتان وهما (اولاً) الراديوم نفسه كملح مصدر للاشعاع و(ثانياً) منبثقات الراديوم اي الرادون الذي يحقق هذا الغرض والراديوم الفلزي مادة معدنية بيضاء اللون لا يمكن ادخالها دون استهدافها للتغير — اذن الراديوم المستعمل في الطب هو املاح الراديوم اي سلفات الراديوم لاجل طريقة العلاج المباشر . وبروميد الراديوم القابل للذوبان لتوليد الرادون

ومتى كان الراديوم عينه مصدراً للاشعاع ، وجب حفظ ملحه في أنابيب زجاجية محكمة السد توضع في غلاف معدنية مصنوعة من النحاس الاصفر فيمتص الزجاج أشعة ألفا ويمتص المعدن أشعة بيتا ويقوم في الوقت نفسه مقام مرشح تخترقه أشعة غمّا الشافية من دون أن تفقد أي شيء من قوتها غالباً . وفي حالة معالجة أي مريض يتناول الطبيب الغلاف المعدني ويدنيه من جلد المريض مسافة معينة على قدر ما يحتاج اليه من درجات اختراق الاشعة لجلده في كل اصابة ويستعمل ملح الراديوم للعلاج بطريقة اخرى وهي وضعه في أنابيب زجاجية دقيقة تغلف بغلاف معدنية تدعى (الابر) تغرز في أنسجة المريض بكبسات فولاذية وتترك فيه بحسب ما تمس اليها الحاجة . ومن المعادن التي تمتص الاشعة غير المرغوب فيها وترشح أشعة غمّا — الاليومنيوم والنحاس الاصفر والنحاس الاحمر والفضة والرصاص والذهب والبلاتين ولما كان البلاتين افضلها فان الابر المشار اليها تصنع منه الآن

وليس الرصاص افضل معدن رخيص صالح لتلك الغاية فحسب بل هو يفوق الفضة ولذلك يستعمل لصنع الانابيب الكبيرة التي تستخدم لنقل الراديوم . واذا ما استعملت منبهقات الراديوم مصدراً للإشعاع بمثابة غاز رادون ، وقوته تكاد تشبه قوة الراديوم عينه الا انه قصير العمر ، وجب حفظها في انابيب زجاجية دقيقة محكمة السد تُغشى بأغشية من الذهب اللين والبلاطين وتسمى (البزور) وهذه تغرز في الاورام السرطانية بكبراس كما تغرز ابر املاح الراديوم الكبيرة . وقد شاعت في السنوات العشر الاخيرة طريقة منبهقات الراديوم في عالم الطب وأقبل عليها اطباء معاهد السرطان علاوة على العلاج المباشر لان لها عدة فوائد اذ تستعمل أولاً في شتى الاصابات وثانياً انه في حالة استعمال « بزور » الرادون لا يحتاج الامر الى ملازمة الفراش — ولا الى مراقبة المريض بل يكفي وجود المريض في حجرة المستشفى فيحصل على الضمان التام : وكل ما يجب حينئذ عمله ان يغرز مقدار من الراديوم الثمين نفسه في أي جزء من أجزاء جسم المريض . وفي الحالة الثالثة تترك « البزور » ذات الغشاء الذهبي اللين او البلاطين في أنسجة العليل من غير ضرر — وتكون تلك البزور متصلة بخيط لكي يسهل اخراجها عند الحاجة . ويبلغ متوسط ثمن تلك البزرة الصغيرة ٢٠ ريالاً أمريكياً ، وتستعمل مرة واحدة فقط . ولكن طريقة المنبهقات فيها نقص وهو ان الرادون — وله تأثير الراديوم نفسه — يفقد قوته في ثلاثة أيام و ٢٠ ساعة . ويفقد قوته كلها في شهر واحد . اذن كل جرعة من الرادون تضعف بنفسها ولذلك يجب تجديد البزور دائماً لكي تؤثر التأثير المطلوب . وهذا ما يفسر لنا عرضاً مبلغ ضئولة الفائدة التي تجني من شرب مياه الرادون المحفوظة في القوارير . قال الكاتب الأمريكي منشئ هذا المقال : — وقد زرت من عهد قريب معملًا من المعامل الكيماوية التي تحضر فيها بزور الرادون للمستشفيات ولعيادات مرضى السرطان وللأطباء الخصوصيين ، فقادني الطبيب المختص الى حجرة مغطاة بالرصاص فلما دخلتها قال لي مرشدي . ألا تدعش اذا شاهدت الآن من الراديوم ما ثمنه ربع مليون دولار ؟ فأجبتة بالايجاب ففتح لي خزانة فولاذية صغيرة مبطنة بالرصاص فرأيت فيها قارورة . فقلت دهشاً أين الراديوم !!! فأجابني إنه أمامك في تلك القارورة

والاطباء مع ثقتهم العظيمة بكون الراديوم عاملاً شافياً ، موقنون بخطره على الصحة — والدليل على ذلك الاحتياطات المحكمة التي يتخذونها حين استعماله

والواقع ان الاطباء الذين يستعملون الراديوم يتقون أضراره بالقفايز المصنوعة من الصمغ المرن فيلبسونها قبيل تناول الانابيب المحتوية على ملح الراديوم وبزيرات الرادون وقاية لأيديهم من الاحتراق بأشعة بيتا . وتراهم لا يلمسون بتاتاً الانابيب أو الابر وانما يلتقطونها بملاقط خشبية — وينقل الراديوم في المستشفيات من غرفة الى أخرى بصناديق ذات مقابض

طويلة — وعند ما يستعمله الطبيب في العلاج يجب ان يضع حائلاً من ألواح الرصاص بينه وبين الراديوم الذي يعطيه للمريض ويشترط الا يقل ثخن ذلك الحاجز عن بوصة واحدة وفي المستشفيات والعيادات يحفظ الراديوم في تجاويف تجوف في كتل كسيفة من الرصاص تخزن في قبة مبطنة بالرصاص يبعد ما امكن عن حجر المرضى والمكاتب ومحال السكنى ولقدح اسعار الراديوم لا تستطيع المستشفيات اقتناء مقادير كبيرة منه مع ان اثمانه قد نقصت في السنين الاخيرة نحو ٥٠ في المائة. ولكن الراديوم مازال ائمن مادة في العالم اذ يبلغ ثمن الجرام الواحد منه في وقتنا الحاضر ما يتباين من ٥٠ الف الى ٦٠ الف ريال بينما الغرام الواحد من الالماس يساوي ٣٠٠٠ ريال اميركي. وثمان الغرام من الالماس المستعمل في الصناعة ٨٧٥ ريالاً اميركياً والغرام من البلاتين ثمنه ٢ ١/٢ ريال اميركي والجرام من الذهب يساوي ٧٠ سنتاً

❖ استخراج الراديوم ❖ وسبب بهظ اسعار الراديوم صعوبة استخلاصه من التبر الذي يحتويه . وما يذكر في هذا الموضوع ان مدام كوري مكتشفة الراديوم لما زارت الولايات المتحدة منذ بضع سنوات لم تكن تملك من الراديوم حتى ذلك العهد ميكروغراماً واحداً فأهدى اليها حينئذ غرام كامل من الراديوم فتبرعت به الى مستشفى بمدينة وارسو بموطنها بولونيا . والمعروف ان الغرام الواحد من الراديوم يقتضي تشغيل ١٥٠ رجلاً اكثر من شهر في اكثر من ٥٠٠ طن من التبر واستنفاد ١٠٠٠٠ طن من المياه المقطرة و ١٠٠٠ طن من الفحم الحجري و ٥٠٠ طن من المواد الكيماوية

وكان نحو سبعة اثمان محصول العالم من الراديوم يستغل من تبر الكرونوتيت من ولايتي يوتا وكولورادو باميركا . اما اليوم فقد اصبح استخراج الراديوم يكاد ينحصر في بلاد الكينجوالبلجيكية في اواسط افريقية حيث عثر المنقبون في السنين الاخيرة على عروق معدنية كبيرة غاصة بالبتشبلند اي اوكسيد الاورانيوم وغيره من انواع التبر المحتوي على الراديوم — وتهيمن على سوق الراديوم الآن شركة احتكار بلجيكية . ولما كان تبر راديوم الكونغو اغزر مادة راديومية من سواء فهو اسهل تمحيصاً من غيره وذلك سبب انخفاض ثمن الراديوم الى نصف اسعاره الاصلية من عهد قريب

واليك ملخص طريقة تمحيص الراديوم : — يستخرج ركاز الراديوم من مناجمه مخلوطاً بكثير من الصخور التي لا قيمة لها فيصنف ويعبأ في الاكياس ثم ينقل الى حيث يطحن ثم ينقل الى معمل التمحيص حيث يعالج بالمواد الكيماوية التي تزيل جميع املاح الباريوم والراديوم ثم يفصل مقدار الراديوم الضئيل عن مقدار الباريوم الجسيم المقترن به — وذلك العمل وحده يحتاج الى ٢٥ عملية كيماوية منفصلة بعضها عن بعض وآخرها عملية التبلور المكررة اي تبخير المحلول . ومع كل ما استجد من التحسينات العلمية في اثناء الاحدى

والثلاثين سنة التي انقضت على اكتشاف الراديو ما برحت عملية التمهيد الحالية مشابهة من كل الوجوه للعملية القديمة التي اخترعتها مدام كوري سنة ١٩١١

وملح الراديو النقي يشبه اول وهلة السكر المسحوق المعروف عند التجار باسم «سكر بودرة» — وتطلق منه اشعة فصفورية غريبة ضاربة الى الزرقة فاذا وضع في الانابيب الزجاجية المحكمة السد فقد بعض ذلك اللون واكتسب لوناً مائلاً الى الدكنة. واذا اريد استعمال الراديو في الصناعات كدهن ارقام موافي ساعات الجيب والحيطان بالدهان المنير يخلط مقدار دقيق من الراديو بكبريتور الزنك فيتألق بنور اصفر مائل للخضرة

واذا فقدت قطعة منه توسلوا الى العثور عليها بالكاشف الكهربائي المسمى الكترولسكوب وهو جهاز بسيط بديع صغير الحجم مركب من شريطين من الورق الذهبي معلقين على سلك معدني فاذا شحن السلك بالكهرباء انفصل الشريط عن الآخر وظلاً منفصلين مادام الهواء المحيط بهما عازلاً للكهرباء اي غير موصل لها لا يدع الشحنة الكهربائية تفلت من الورقتين. ولما كان الراديو وغيره من المواد المشعة تجعل الهواء موصلاً للكهرباء فاذا اتفق وضع الالكترولسكوب قريباً من الموضع الذي ضاعت فيه قطعة الراديو تضامنت الورقتان كاصلهما ووجد الكنز الضائع. ومما يروى بشأن ضياع قطع الراديو أن جمهوراً من المتنزهين في احد متنزهات برلين دهشوا اذ رأوا زمرة من الجنود حراس المتنزه يقودها ملكي « واحد من غير الجنود » تحف على ايديها وركبها على الارض حول ملعب للتنيس في المتنزه وكانوا يحملون الكترولسكوباً باحثين عن قطعة صغيرة من الراديو زنتها ٢٠ مليجراماً وثمنها الفريال امريكي كانت ضائعة من طبيب فقدتها عند دخوله مقصورة متصلة بذلك الملعب

ويقدر الراديو النقي الموجود في العالم الآن بنحو ٣٠٠ جرام اي ٦ رطل انكليزي منها ١٦٥٠٠٠٠٠ من الريالات الاميركية ونصف ذلك المقدار موجود في الولايات المتحدة (مستشفى بلفيو بمدينة نيويورك) وهو من المعاهد الخيرية التابعة للمجلس البلدي هناك ويُعد هذا المقدار اكبر نصيب من راديو المسكونة اختص به مستشفى واحد. وربما يرخس سعر الراديو اذا امكن تنقيته بنفقات قليلة من الركاك الذي اكتشف اخيراً في منطقة بحيرة الدب الاكبر بكندا وقد ألقى حديثاً الدكتور بيجوت Piggott الطبيب في معهد كارنيجي خطبة في الجماعة الجيوفيزيكية الامريكية في مدينة واشنطن ذكر فيها ان البحر يحتوي على راديو أكثر من البر وقد دلت التجارب على وجود بليون طن منه في قعر المحيط الهادي! فدهش السامعون كل الدهش (انظر مقال الثروة في البحر المنشور في مقتطف فبراير الماضي) ولش تحقق ذلك التكهّن واستخرج ذلك الكنز النفيس أصبح سعر الراديو كسعر سائر العقاقير الطبية المعتادة

عوض جندي

الدين والعلم

في الصورة القلمية التي نشرناها في مقتطف ديسمبر الماضي بعنوان «ملك الحشب»
استشهد الكاتب بنقرات من مقال جليل كان حضرة الباحث الفاضل اسعد باسيلي قد
أنحف به مجلة «الجامعة» منذ نيف وثلاثين سنة. وقد طلبت اليها طائفة من
القرءاء الذين تههم هذه المباحث ان نعيد نشر المقال برمته، لما رأوه في الفقرة
من احكام الفكر فطلبنا الى الاستاذ نقولا شكري ان يمود الى مجلدات الجامعة (١)
وينقل المقال المذكور فلبي الطلب ونحن نشكر له عنايته هذه «الحرر»

بين رجال الدين وبعض رجال العلم تناظر قديم العهد يبدأ تاريخه من يوم اكتشف
العقل البشري أبسط النواميس الطبيعية فوضع بذلك حداً لعبادة الاشياء المحسوسة. والذي
يسوء كل معتدل من هذا العداء ما نراه من تطرف كل من الفئتين: الاولى في الاثبات
والثانية في الانكار. فمن جهة ترى رجال الدين يبالغون في اثبات مذاهبهم وينزلون جميع
عقائدهم وآرائهم — حتى ما كان منها يعارض العقل — منزلة الحقائق اليقينية الراهنة فيقابلهم
رجال العلم بالانكار المطلق وقد يتأدون في انكارهم فيجحدون ان هنالك حقيقة قام عليها بنيان الاديان
وعندنا ان العلم مصيب اذ يعمل على دحض ما غشي الدين من الاباطيل والاوهام لانه
اذ لم يكن من شأن النور ان يضع حداً للظلمة فما يكون شأنه يا ترى؟ الا انه يخطيء كل
الخطأ عند ما ينظر الى العقائد الدينية بعين الازدراء والاحتقار ويحسبها عارية عن كل اساس
يحيط كثيراً من العقل البشري الذي انما عنه ورثت الانسانية ما لديها من الحقائق
ومن ذا يا ترى يرى رجلاً من نوابغ بني الانسان كافلاطون وأرسطو وسان توما وديكار
ونيوتن وكوزين وغيرهم يشغلون قسماً كبيراً من مؤلفاتهم بالبحث في ما وراء الطبيعة واثبات
الاصول الدينية العامة ثم يجرأ بعد ذلك على القول انهم انما كانوا في ما كتبوه من هذا القبيل يحكيون
أوهاماً بأوهام ويشيدون على غير اساس. اولايبعث هذا على الريبة بجميع احكام العقل ومدركاته؟
ولسنا نكتفي بهذا القول وحده لاثبات الحقيقة الدينية العامة بل نحن موردون على ذلك
ادلة اخرى معتمدين فيها على ما كتبه الفيلسوف هربرت سبنسر اشره فلاسفة الانجليز في هذا الزمان
اذا امعنت النظر في توارخ الامم الغابرة ثم عدت بنظرك الى عمران الشعوب الحاضرة ترى
انه ما من امة من الامم قديمة او حديثة خلت من بعض العقائد الدينية ولش اختلاف تلك
العقائد من حيث نوعها ودرجتها في سلم الارتقاء. فهل يسلم عاقل بوقوع مثل هذا بالمصادفة
والاتفاق؟ او ليس من شأنه ان يحملنا على ترجيح صحة ما قاله رنان من ان الانسان ديني اعني
انه ذو نزوع فطري الى الدين

الا انهم يعترضون بوجود بعض قبائل همجية لا نجد عندها ادنى فكرة ابتدائية عن علة الكائنات والخلقة والخلق . وان هذه الافكار لم يبد لها اثر للوجود الا بعد اذ بلغ الانسان درجة ما من الترقى العقلي فنجيب ولو صح هذا فلا يغير شيئاً من النتيجة التي نرمي اليها لانه متى سلمنا ان جميع القبائل التي ارتقت مداركها العقلية بعض الارتقاء وجدت عندها افكار دينية ادركنا ان هذه الافكار تنشأ بالضرورة عن ترقى العقل

وما زاه من التنوع بين العقائد يساعد على تأييد هذه النتيجة اذ انه يدل على أن عقائد كل أمة نشأت مستقلة عن عقائد الأخرى وان وجود الامم الكثيرة في ظروف وأحوال متناسبة مع اختلاف الأزمنة والامكنة أدى الى ايجاد افكار متماثلة ونتائج متشابهة

وزعم آخرون ان جميع ما ذكره لنا تاريخ الأديان من العقائد هو مخترعات عرضية وضعها الكهان والزعماء بقصد مخادعة العامة والتمويه عليهم وهذا زعم لا يستطيع اثباته اذ لا يتفق ان يقوم عند جميع الامم القديمة والحديثة المتعددة وغير المتعددة افراد من الهيئة يتواطؤون على مخادعة الآخرين وتكون الوسائل التي ينالون بها اربهم متماثلة احوالها كل هذا التماثل

وان قيل ان الاختراع الأول للدين وقع قبل ان تفرقت طوائف الجنس البشري في انحاء الارض وان الجرائم الدينية انتقلت مع كل قبيلة عند جلائها عن الوطن الاول قلنا ان علماء اشتقاق اللغات يفتنون هذه المزاعم لانهم يثبتون بالادلة ان تفرق الجنس البشري حصل في زمن لم تكن اللغة ارتقت فيه الى درجة يستطيع عندها التعبير عن الافكار الدينية

ومع هذا فلو أمكن وجود ادلة تثبت كون الأديان مخترعات عرضية فلا يمكن بهذا الافتراض التعليل عن كل حادث في الدين لانه اذا كانت الأديان مخترعات جماعات متفرقة من الكهان فلماذا رى تحت الفروع الدينية المتنوعة أحوالاً ومبادئ متماثلة . واذا كانت جميعها أباطيل واوهاماً فلماذا رى النقد العلمي الذي استطاع اسقاط العقائد الخاصة لم يتمكن من ضعفة الفكرة الأساسية التي قامت عليها تلك العقائد . ولماذا رى العقائد الدينية بعد إذ تسقط سقوطاً عظيماً عند أمة كما حدث في أواخر القرن الثامن عشر في فرنسا لا تلبث ان تنهض ثانية ان لم يكن بمظهرها الذي كان لها من قبل جواهرها القديم يبقى هو نفسه

ثم هنالك من يزعم ان الافكار الدينية هي من نتائج الشعور الديني فهو الذي يجعل العقل يحيك صوراً وهمية لا يلبث ان يتخذها شيئاً فشيئاً حقائق راهنة . وهؤلاء يسمون ضمناً بوجود الشعور الديني اذ لا يرون سبيلاً لانكار شعور يحس به السواد الاعظم من بني الانسان وقد كان له اعظم أثر في التمدن في العصور التاريخية . وما برح لعهدنا هذا أساس كثير من المنظمات الاجتماعية والباعث على كثير من الاعمال العظيمة المفيدة . الا ان زعمهم هذا لا يحل المسألة وانما يبعد قليلاً الصعوبة في حلها . لانه سواء كان الشعور الديني منشأ الفكر الديني

او كان للشعور والفكر مصدر واحد فلا بد لنا ان نسأل من اين جاء هذا الشعور ؟
 وجواباً على هذا نجد أمامنا احد افتراضين : اما ان يكون هذا الشعور خالق دفعة
 واحدة بفعل خلق خاص واما انه نشأ تدريجياً تبعاً لناموس الارتقاء . فاذا اتبعنا الاول الذي
 اتبعه الاقدمون وعليه اكثر البشر لعهدنا هذا فالمسألة تكون قد حلت اذ يكون الانسان
 قد منح الشعور الديني من مبدع حكيم فهو منطبق اذاً على مقاصد هذا المبدع . وان اتبعنا
 الافتراض الثاني وسلمنا بما يوحيه مذهب الارتقاء من ان القوى هي نتيجة التطورات العديدة
 التي طرأت على الانسان بفعل المؤثرات والاحوال الخارجية عليه تعين ان نسلم بوجود احوال
 خاصة أوجبت نشأة الشعور الديني ومن ثم يكون حكمه حكم سائر القوى النفسية واذا صح
 ايضاً ما يوجبه مذهب الارتقاء من ان الغاية التي تتجه اليها التطورات الارتقائية هي اعداد
 الحي لاستعمال ما هو من لوازم وجوده امكننا ان نستنتج من هذا ان الشعور الديني من
 البواعث المؤدية لسعادة البشر . اذن فسواء كان الشعور الديني خلق دفعة واحدة او نشأ
 تبعاً لناموس الارتقاء فالنتيجة من كلا الافتراضين توجب علينا احترام الشعور الديني
 وهناك ملاحظة اخرى ينبغي ان نضرب عنها صفحاً وهي ان العلم مهما اتسعت دائرة
 اكتشافاته فهو عاجز كل العجز عن ان يروي ظمأ العقل البشري الى المعرفة . فهما أعمنا في
 الاكتشاف العلمي فانه يبقى لدينا ولدى من يأتي بعدنا مسألة وهي : ماذا يوجد بعد ذلك ؟
 ومهما تقدمنا في التعليل عن اصل الكائنات فلا يمكننا ان نجد مناصاً من السؤال : ما الذي
 يعلل لنا التعليل نفسه ؟ فاذا كان العلم هو اشبه بدائرة تتسع شيئاً فشيئاً فنموه لا يكون من
 شأنه الا ان يزيد نقط اتصاله بالمجهول الذي يساوره من كل جانب . ويترب على ذلك ان يوجد
 على الدوام طريقان ينتهجهما الفكر البشري وهما العلم والدين
 اذن فالعقل سيشغل في الاستقبال كما يشغل في الحال ليس فقط في البحث عن الحوادث
 الوضعية وعلاقتها بعضها ببعض بل بشيء لا يستطيع اثباته بالدلة الواقعة تحت الحواس ولا
 بد من افتراض وجوده عند النظر الى الحوادث واعتبار علاقتها بعضها ببعض . وينتج عن
 هذا انه ما دام العلم لا يستطيع وحده ان يشغل جميع القوى الانسانية وما دام العقل يوجه
 انتباهه ابدأ الى ما وراء حدود العلم فسيبقى محل للدين على الدوام لان الدين يمتاز بكون موضوعه
 وراء دائرة العلم والاختبار . والحاصل من جميع ما تقدم ان وجود الافكار الدينية عند جميع
 الامم ونشأتها مستقلة بعضها عن بعض وحيويتها المستمرة في المجتمع الانساني ووجود الشعور
 الديني ايضاً كان منشأه واتجاه الفكر الى ما وراء حدود العلم . كل هذا من شأنه ان يثبت ان
 للدين اصولاً عميقة في الانسان لاسطحية كما يتوهم البعض ويدل على ان هنالك حقيقة اساسية
 قام عليها بنيان الاديان

بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِقْتِصَا

صناعة الالبان في القطر المصري

وهل يمكن ان تصبح مورداً للثروة؟

١ - حاجة مصر الى محصول اقتصادي

تنافس مصر الان في قطنها منتوجات اخرى كالحرير الصناعي . كما ان اقطاراً اخرى تنافسها في انتاج القطن نفسه . ذلك في حين ان مصر وهي من ارق البلاد الزراعية ، لا تنفع بالكثير من المنتوجات الزراعية التي تستغلها بلدان زراعية اقل منها شأنًا . ولا شك في ان صناعة الالبان ومنتوجاتها في مصر تكاد تكون معدومة ، والاهتمام بها قليل . وفي هذا المقال بحث ضاف في الموضوع نرجو ممن لهم اهتمام بهذه الناحية او غيرها من مثيلاتها ان يقوموا على بحثها واظهار نواحيها المختلفة . وهذا البحث للاستاذ « مكيفتر » من اساتذة كلية اسبوط الاميركية وله خبرة واسعة علمية وعملية في صناعة الالبان وبحث اصولها واساليبها في الولايات المتحدة الاميركية . وما يلي الجانب الاول منه

تأمرت خصوبة تربة مصر وجوها البديع مع نقص مصادر القوى المحركة فيها على القضاء بأن تعتمد البلاد في المستقبل ، كما كانت تعتمد في الماضي ، على الزراعة . ومن المتعذر الآن ان تنشئ البلاد دور الصناعات الثقيلة ، بما فيها الآن من مصادر القوى المحركة او بما تؤمل ان تنفع به في المستقبل . ومع ذلك فان ازدهار السكان ، واستمرار ازديادهم ، مع ارتفاع مستوى المعيشة وضيق ميدان العمل امام جمهور الشبان الذين تخرجهم المدارس سنوياً ، كل من هذه العوامل يتطلب مخرجاً اما عن طريق الصناعات الثقيلة ، او عن طريق توسيع ميدان العمل في الاستغلال الزراعي المكثف intensive

وقد يفتر ثغر القارئ عن ابتسامة شك عند ما نشير الى زيادة الاستغلال الزراعي في مصر . لم تحسن البلاد الاستفادة من الزراعة في ظرفها الحرج ، ولم تفلح كل شبر من ارضها الصالحة للزراعة المحصورة المساحة او لم تنجح في انتاج معظم قوت الملايين من سكانها وفي نفس الوقت تنتج محصولاً يباع نقداً فتنسد بئمه ثمن حاجياتها الاخرى ؟

ولكن هنا مكان الصعوبة ، فان هذا المحصول النقدي قد انحصر في مادة واحدة لا غير هي القطن . وعدم كفاية الاعتماد الاقتصادي على محصول نقدي واحد يتضح لنا شيئاً فشيئاً على مرور الزمن ، ذلك انه ما زالت الاقاليم التي يمكن ان تنتج قطناً مزاحماً للقطن المصري غير مستكملة الاصلاح وما زالت الطلبات على القطن تتدفق لشراؤه بأي ثمن واستعماله في صنع المفرعات وغيرها من لوازم الحرب ، يظل القطن محصولاً مربحاً . وفعلاً ارتفعت اثمان الارض ارتفاعاً عظيماً بسبب تضخم اثمان القطن ، وظهرت على كل شخص سياء السعادة وعلامات

الثراء . ولكن مثل هذه الثروة تصنع لنفسها اجنحة وتطير ، فان الحروب لا يمكن ان تستمر على الدوام . وليس ثمة حاجة الى القطن لاغراض الحرب الآن . والواقع ان كثيرين من صناع القطن هجروه مفضلين عليه العمل في الحرير الصناعي . فلم يهبط ثمن القطن هبوطاً عظيماً خسب بل مضى متدهوراً من اسعر الى ادنى منه . فحصول نقدي مفرد معرض للمضاربات لا يصح ان يعتبر اساساً ثابتاً تبنى عليه ثروة البلاد القومية

عندما يوضع كل البيض في سلة واحدة يتحتم الاهتمام السكلي بسلامة تلك السلة . ولكن لضمان لحالة من هذا القبيل في مصر الآن فانه رغم تمكنها من وضع كل ما تملكه من البيض في سلة واحدة يتحتم عليها ان تعهد بسلامة السلة الى الايدي الخشنة في السوق العالمية ولقد اقترحت علاجات متنوعة لتخفيف ضرر الاستسلام لمحصول واحد ان لم يكن لرفع الضرر بتاتاً . وها نحن نتناول اهمها باختصار ، ملاحظين ان قيمتها لا تقاس بمقتضى التصور الشخصي او النفع المحلي بل بمقتضى النوااميس الاقتصادية الثابتة

واكثر هذه المقترحات رواجاً هو ان مصر يجب ان تهتم بزراعة اكثر تنوعاً وان تسعى لان تنتج ما يكفيها من الطعام ولو ادّى ذلك الى انقاص محصولها النقدي . وغرض المروجين لهذا الاقتراح مزدوج فمن جهة يزداد انتاج الطعام في البلاد ومن الاخرى يقل المنتج من القطن فيرتفع ثمنه . وان سلمنا بامكان تنفيذ هذا الاقتراح فقد تفوز البلاد بتحقيق الشطر الاول من الغرض اما الشطر الثاني فصيره الخيبة ، لانه عند ما تنقص مصر انتاجها القطني يسرع اقليم آخر الى زيادة المنزرع قطناً فيه . فاتباع سياسة التتقيص المقصود في الانتاج لا يقلل المنتج من القطن ، حتى الطويل الشعرة منه ، ولا يرتفع السعر ارتفاعاً مستمراً

وهل من حكمة اقتصادية في هذا الاقتراح ؟ ان محصول الطعام ، فدائماً بفدان ، اقل قيمة نقدية على وجه الاجمال من محصول القطن ولو الصنف الرخيص منه . ولولا ذلك لما احتاج الناس الى الحاح في العدول عن زراعة القطن بل لكان يتم ذلك من تلقاء ذاته . ان قيمة القطن ، عادة ، اكثر من قيمة غيره فلم لا نزرع القطن ونبيعه ونشتري بثمانه طعاماً ويتبقى القليل من الثمن لشراء الضروريات الاخرى ؟ وهذا امر ضروري فان معظم البضائع المصنوعة ان كانت منسوجات او وقوداً او حتى طامبات الري وآلات اخرى لازمة للزراعة نفسها — كلها — يتحتم شراؤها من الخارج . وبطريقة من الطرق ، ينبغي دفع ثمنها . ومن الواضح انه لا يمكن دفع ثمنها بطعام يستهلك داخل البلاد . فحكمة ابدال محصول باخر او بالتنويع العام في المحصول بدل جانب من القطن تقوم او تسقط بالنسبة لما تأتى به من القيمة النقدية . وبهذا القياس يظهر ان القطن المصري يحفظ امتيازه عند ما يقارن باي نظام من تنويع المحصولات وهناك اقتراح ثان يتجه نحو زيادة انتاج المحاصيل النقدية الثانوية الموجودة . لم لا نزرع

ونبيع مقداراً اوفر من تلك المحاصيل التي رهنّت على مناسبتها للبلاد وجودة انتاجها. والصعوبة في ذلك انه حتى في حالة اثن هذه المحاصيل الثانوية نجد ان قيمته ضئيلة للغاية. فان محصول البصل يأتي في المرتبة الثانية بعد القطن في الصادرات ولكن قيمة المصدر من البصل ليست سوى جانب يسير من قيمة القطن. فقد كانت سنة ١٩٢٩ جزءاً من اثنين وخمسين جزءاً من الصادر كله، بحسب تقويم الحكومة، فضلاً عن ان مقدار ما يمكن ان يباع من البصل محصور لان اسواق العالم تكتظ سريعاً بهذا الخضار المدرّ للدموع — اذ ان طلبه ليس قابلاً للتوسع ومحصول ثانوي ثان تصدره مصر هو البيض. فقد كان قيمة ما صدرت مصر من سنة ١٩٢٩ بالمقابلة مع القطن كنسبة ١ — ١٤٠. ويمكن اعتبار معظم هذا المحصول، في الوقت الحاضر، انه محصول فضلة. فكون الفلاح، او بالحري زوجته، تربي في المنزل بضع دجاجات تطعمها الفتيات والفضلات، ولولا ذلك لرميت بدون نفع — هذا — امر يختلف عن انشاء امكنة للتفريخ التجاري تقتضي نفقات كبيرة للطعام والعمل. وحتى تنجح مشروعات من هذا القبيل يتحتم ضمان الانتاج معظم السنة وهو امر لا يتوفر الا على سواحل البحر الابيض المتوسط. فان حر الصيف يقلل الانتاج ويخفض صنف البيض ويضعف حيوية الدجاجة نفسها. ومن المرجح ان مقدار المحصول الحاضر من البيض يمكن زيادته زيادة مكسبة اذا بقي كما هو، شيئاً ثانوياً ويمكن تحسين صنف الدجاج وتنظيم سوق البيض بحيث يرتفع ثمن الصنف الافضل الطازج منه. ولكن حتى اذا سلمنا بذلك كله فان انشاء مزارع الدجاج في مصر يكون مشروعاً محفوفاً بالمجازفات فان الثمن الذي يدفع للبيض عادة لن يعادل نفقات تحصيله

وثمة اقتراح ثالث يوجه نظر الفلاح المصري الى انتاج الحبوب انتاجاً كثيفاً intensive. ولكن الحبوب محصول عالمي، كثيراً ما يزرع في ارض رخيصة، وبمساحات واسعة، وبمعاونة آلات دقيقة الصنع وسريعة الاثر. ولما كانت الحبوب لا تعطب بسرعة فانها تنقل بسهولة من مكان الى آخر ولذلك فان حث الفلاح المصري على زيادة مجهوده في زراعة الحبوب معناه حثه على وضع ارضه المرتفعة الثمن وعمله اليدوي في موقف منافسة لارض رخيصة الثمن تفلحها آلات قوية. واذا زيدت رسوم الجمارك على الحبوب الواردة من الخارج ليمكن الفلاح المصري من احتكار السوق الداخلية فلا يكون ذلك سوى نقل هذه الخسارة الاقتصادية من على كتف المنتج المصري الى كتف اخيه المستهلك المصري

ويشابه هذا الاقتراح اقتراح آخر يجتذ زيادة اهتمام مصر بتربية الماشية حتى تتمكن من سد كل حاجتها الى اللحوم وربما يصدر بعضها الى الخارج وهذا أيضاً يحملها على منافسة ارض ارخص جداً من ارضها هي ارض المراعي بالارجنتين وكندا واستراليا وغيرها واتجه فكر البعض الى الاهتمام بمحصول الفاكهة والخضراوات وتصديرها الى الاسواق

الاوروبية . ويظهر ان هذا المشروع له أساس اثبت من المشروعات الاخرى فان مصر الآن تنتج مقادير وافرة من الفاكهة والخضروات الجيدة الصنف . على ان وارد مصر الآن من الفاكهة — الطازجة ، والجففة ، والمحفوظة في العلب — يزيد زيادة محسوسة عما تصوره منها . وهذا ضروري بسبب الرغبة في أنواع من الفاكهة لا تجود محلياً وايضاً لان مواسم الانتاج — كموسم البرتقال اليافوي مثلاً — لا تتفق تماماً مع مواسم مصر

ومع كل ما يمكن عمله في تحسين زراعة الفاكهة والخضراوات وتصديرها الى الاسواق الخارجية يجب ان نذكر انه لا طريق سلطاني للنجاح تستطيع مصر ان تسلكه دون ان تجد منافسة ومزاومة . فان ايطاليا وفرنسا تنتجان فاكهة وخضراوات من أصناف جيدة . وحتى تستطيع مصر ان تدخل هذا الميدان ينبغي الاعتناء التام بتحسين الاصناف والتدقيق في فرز البضاعة وحزمها للتصدير . وقد رأى الكاتب منذ بضعة أشهر شحنة كبيرة من الطماطم مرسلة الى اليونان وهي ثمار ليس لها حجم منتظم فيها تجويقات الزور كبيرة وكانت وقت شحنها ، لم تمتلئ ، سوى امتلاء جزئياً ، بالب . وذلك مما يرى له إذ أن البلاد تستطيع أن تنبت صنفاً ناعماً جذاباً مملوءاً بالب وبه قليل من البذر وخال من التجويقات النارغة ولا يحتاج الامر الا الى الحصول على بذار نقية من هذا الصنف الراقي

والدول الجنوبية في اوروبا يسهل عليها ، ايضاً ، الوصول الى الاسواق المرغوب فيها . فان حزم مثل هذه المحصولات الضخمة وتبريدها وشحنها تضع العراقيل القوية في طريق المنتج البعيد عن السوق اذ ان الاسواق يسهل ان تكتظ بمثل هذه المحصولات السريعة العطب ولذلك كثيراً ما ينخفض الثمن فجأة . وثمة حالات كان فيها كل المتحصل من الشحنة اقل من نفقات الشحن والنقل . وتخفيف الفاكهة والخضراوات يخفض وزنها الى العشر تقريباً وتجعلها غير قابلة للعطب وبذلك تستطيع مصر أن تنافس الممالك الاخرى بعدل ، على ان هذا ميدان واسع ويستلزم تحريماً دقيقاً وبين كل هذه ، من المقترحات التي يقصد بها تخفيف الضغط عن الزراعة بمصر لم تذكر صناعة الألبان سوى همساً . ومع ذلك فان الألبان وما يصنع منها هي موضوع اقتراحنا الذي يزيد التوصية به كمصدر دخل لمصر مكمل للقطن . ولا نقصد بذلك مجرد وضع رسم جبركي عال يمنع ورود المقدار الذي لا يذكر من منتجات الألبان التي تأتي مصر الآن من الخارج . فانه لو رفعت اسوار مصر بتعريفة عالية تحول دون ورود هذه المنتجات بتاتاً فان ذلك لن ينفع صناعة الألبان بمصر شيئاً ، تقريباً . لان هذه الوسائل السياسية لا تجدي نفعاً والنجاح لا يبنى إلا على أسس اقتصادية ثابتة . فبدلاً من أن ترفض مصر الواردات يجب ان تسعى لان تنتج صادرات . لذلك سوف نحاول ان نبين ان مصر تملك مصادر طبيعية كافية تستخدم كأساس اقتصادي ثابت لانشاء صناعة ألبان تنافس أمثالها في سوق العالم بامتيازات محسوسة

مكتبة المقتطف

Contribution à une théorie Sociologique de l'Esclavage
par le Docteur Aly Abd Elwahed

هذا من الكتب التي يجدر بنا ان نجعلها تلقاء الكتب التي يؤلفها الافرنج . ذلك لانه مبني على الاسلوب الحديث في البحث والتأليف . وموضوعه الرق والغاية منه اثبات نظرية جديدة تعلق وجود الرق في العالم قديماً . ومؤلف هذا الكتاب الدكتور علي عبد الواحد مدرس الفلسفة في دار العلوم وفي قسم التخصص في الأزهر . وقد قدم الكتاب في السوربون لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب فناها بتفوق . ولنذكر شيئاً عن ذلك الكتاب مرتقبين ترجمته لنسهب في وصفه :

ان بحث الدكتور عبد الواحد ينبسط على عدة امم . فهو يتناول العبرانيين والاغريق والرومان والمسلمين وسكان جزائر الانتيل (الهند الغربية) فيما بين امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية وبحث الدكتور قائم على درس الاوضاع القانونية والنظم الدينية والمؤلفات الادبية والنصوص التاريخية . وقد قسم الدكتور كتابه الى قسمين : فانه وقف القسم الاول على وصف الاحوال التي يترتب عليها الرق ووقف الثاني على تحليل تلك الاحوال . ففي القسم الاول بسط كيف ينشأ الرق (١) عن الولادة على شرط ان يموت الوليد بسبب الى ارقاء (٢) عن الأسر في الحرب وعن السبي (٣) عن العجز عن دفع الديون (٤) عن الزنا — وقد عزا كل حال من تلك الاحوال الى الامة التي اختصت به . واما في القسم الثاني فقد اخذ المؤلف يدفع تعاليل العلماء للرق ثم شرح تحليله فقال ان الارقاء يجلبون من افراد مهدين بالموت بموجب قوانين طبيعية او اجتماعية ، وما الرق الا حال تحمل محل الموت . وبعد ما اثبت المؤلف نظريته اخذ يدعمها بالحجج وهنا نلن انه اغتصب الوقائع شيئاً الحين بعد الحين لكي تسير نظريته

ولهذا الكتاب الجليل ذيل عنوانه « تمييز المرأة من الرجل من حيث الرق » . وموضوع ذلك الذيل فريد في بابه

المرافعة والقضاء

المرافعة — للاستاذ حسن الجداوي وكيل النائب العمومي . فن القضاء — للاستاذ حلم سيفين
فاض متقاعد ومحام

لا بد للقاضي العظيم من ان يكون رجلاً عظيماً . يجب ان يكون حائزاً ادراكاً كاملاً
لنسيج الحياة المتصل ، وفهماً للتقاليد التي لا نستطيع ان ننجو منها . يجب ان يكون قادراً
ان يفكر تفكيراً منطقيّاً مجرداً ولكن يجب ألا يضحى بآمال الناس وامانيهم وحاجاتهم على
مذبح المنطق المجرد . يجب ان يكون قادراً على لمح المغزى الازلي في الشأن الحالي ، والمعنى العام
في القضية الخاصة . ان ما يفعله القاضي هو تكوين المسارب التي تتصرف فيها الحياة فعليه ان
يكون فاهماً خطر العمل الذي بين يديه . يجب ان يشعر بالقوة التي تحت تصرفه وبالذعة في
استعمالها . يجب ان يكون خادماً للعدالة لا سيدها ومنفذاً لضمير المجموع لا لاغراض اصحاب
المصالح القوية فيه . يجب ان يتخلى عن الطموح الذي يحمل السياسي على السعي الى السلطة
ويدفع بالمفكر الى وضع نظام عقلي مجرد قد لا يستطيع تطبيقه . ان القاضي العظيم من اندر
الشخصيات لانه وهو السامي بتقرير استقلاله يجب ان يكون اعظم الناس سموّاً عن الغرض
الشخصي . ان في القاضي الذي من هذا الطراز قسماً من روح الاله

والكتابان اللذان بين ايدينا يوضحان ما تقدم احسن توضيح . فالنيابة تشترك مع الدفاع
في توضيح اصول القضية التي ينظر فيها القاضي وليس بين النيابة والدفاع خصومة الا خصومة
الحق (المرافعة صفحة ٣٩) لذلك يجب ان يكون القضاء مستقلاً عن اصحاب الحكم ، والنيابة
مستقلة عن القضاء في تأدية واجبها . ويلتقي الجميع في نشدان الحقيقة والعدالة

اما الكتاب الاول فلرجل من خيرة الادباء ، خبر المرافعة محامياً وفي مواقف النيابة .
فهو يبسط اسرارها واساليبها ، بسطاً احاذاً ، لوكلاء النيابة واعضاءها والمحامين على السواء .
فيبين من ناحية ، التبعية الملقاة على عواتقهم في كشف الحقيقة ، واقرار العدل ، ويبسط من
ناحية اخرى علاقة النيابة بالدفاع وعلاقتهما بالقضاء وبوزير الحفانية والمصلحة العامة ، وكل ذلك
في اسلوب يحمل غير المعني بشؤون القضاء الفنية ، ككاتب هذه السطور ، على مطالعة فصول
الكتاب كأنه يطالع فصلاً من الادب العالي . ولا غرو فادة المرافعة هي مادة الحياة . فاذا
اجتمع في نفس المرافع — كما اجتمع في نفس الاستاذ الجداوي — القانون والادب ، كان النتيجة
أمثال هذا الكتاب النفيس

اما الكتاب الثاني فلقاض متقاعد ومحام خبير . يبسط لك الموضوع من ناحية القاضي
فيصف لك الصفات التي يجب ان يتميز بها في المعرفة وحسن التفكير وصدق الشعور والتجرد .
فيقول في العقل القضائي مثلاً صفحة ٤٦ : « في هذا العصر الذي اتصلت فيه جميع مناحي

الحياة بالاختراعات المتوالية — ونشأت فيه علوم جديدة ذات علاقة دقيقة بالشؤون القضائية كعلم النفس والاجتماع ، صار لا يصلح لوظيفة القضاء رجل قانوني وحسب ، بل وجب على من يتولى الحكم في شؤون البشر ان يكون ذا نزعة علمية في تفكيره وذا اسلوب علمي في اجائته وتحقيقاته التي يريد ان يتوصل بها الى الفصل في المنازعات »
فالكاتبان يكمل احدهما الآخر ، ويجب ألا تقتصر قراءتهما على اصحاب الفن من القضاء واعضاء النيابة والمحامين

صدرنا هذه الكلمة بوصف القاضي الفاضل . ولا ريب في ان أي نظام يخرج قضاة من هذا الطراز يجب أن يقنع أصحابه والذين يراقبونه بأنه نظام سليم . وقد اثبتت مصر في ادوارها المتعاقبة ، ان في مصر قضاة واسعي الاطلاع احرار الضمائر اقوياء التفكير . يصح ان يقال فيهم ما قاله لفردريك الكبير ذلك الطحان الذي أمر ببيع مطحنته للامبراطور فرفض وقال : — هل في قدرتك ان تأخذ طاحونتي . كان ذلك ممكناً لو لم يكن لنا في برلين قضاة

مناخ العالم

بقلم محمود حامد محمد — مفتش ادارة المتيورولوجيا — مصلحة الطبيعيات بمصر

نهوض الامم وانحطاطها او بالحري تاريخها ، مرهون بخمسة عوامل أساسية ، في مقدمتها العاملان الجغرافي والبيولوجي . وكتابة التاريخ من وجهه الاقتصادي لا يقوم في الواقع على الاصول الاصلية التي شيد عليها صرح العمران البشري . لان المعيشة الاقتصادية تقوم على اركان بيولوجية . فالاقليم من جهة وتكوين الارض الجيولوجي من جهة أخرى يعينان الاماكن التي تكثر فيها المواد اللازمة للصناعة والبلدان التي تترعرع فيها الصناعات وتزدهر . كذلك يعين الاقليم المنابع التي تفيض منها القوى الانسانية وتنطلق . ويسيطر على توزيع النبات والحيوان . وتغير الاقليم يبعث على الهجرة . والهجرة تسبب الحروب وما يأتي في أثرها من اختلاط وتلاقح بين السلالات والافكار

وهذا الكتاب يبين عناصر الاقليم — وقد دعاه المؤلف بالمناخ — واخترنا نحن لفظ الاقليم لان Climate مأخوذة من لفظ يوناني clima معناه الاصل انحرف او مال استعمالها اليونان لتدل على ميل محور الارض . فالتغير في « السكيا » ينشئ تغييراً في مركز خطوط العرض بالنسبة الى الشمس وهذا يحدث تغييراً في احوال الجو وطول النهار وقصره . وراجعنا المعجمات العربية التي بين أيدينا فوجدنا بعضها يقول اقليم يونانية معربة فلفظ « اقليم » يجب ان يدل على المقصود بلفظ Climate وهو متوسط احوال الجو في عدد كبير من السنين لكل ساعة ويوم وشهر كما يقول المؤلف في حين ان الطقس Weather هو حالة الجو في وقت محدود

وقد بسط المؤلف ظواهر الاقليم كدرجة الحرارة في طبقات الهواء السفلى والعلية والقشرة الارضية والبحار والضغط الجوي والرياح على اختلافها والتبخر والتكاثف والرطوبة والضباب والسحب والعواصف وصفاً علمياً طيباً . ثم تناول بلدان الارض ووصف مناخ او اقليم كل منها . وعمد المؤلف في بحثه الى الارصاد من جميع ادارات الظواهر الجوية في الممالك المختلفة ، عدا ما يرد على مصلحة الطبيعيات بمصر من النشرات العامة فجاء كتابه وافياً بالموضوع يصح ان يكون مرجعاً وكتاباً مدرسياً في آن واحد

كواكب في فلك

توفيق وهبه صاحب هذا الكتاب صحافي بارع يكتب بقلم أديب . وشاعر مقل ولكنّه مجيد . فانت تنتقل في كتابه هذا من بحث اجتماعي في المبارزة الى آراء صحيفة في السياسة والاجتماع الى قصائد رنّانة في موضوعات تغلب عليه سمّة الاجتماع والوطنية . وقد نشرنا له بحثاً موجزاً في مقتطف يناير الماضي في «الرأي العام» يتبين منه القارىء اسلوبه في تصفية الحقائق الاجتماعية والتعبير عنها

يراسل المقطم والبصير من باريس . وينشئ المقالات في « لسان الحال » و « البرق » و « الصحافي التائه » وهي من امهات الصحف اللبنانية ، ويكتب في صحيفة الليبرتيه الباريسية في موضوعات شرقية ويشارك في ما يبذله طلاب العلم الشرقيون في باريس من نشاط ادبي وفني . فهو حركة ادبية دائمة وصلة متينة بين الشرق والغرب . وكتابته هذا صورة من نفسه . بل صفحة من حياته . فانت تلعب في سطورهِ روحاً شرقية صقلتْها المعيشة في باريس وطبعها بطابع الثقافة العالية ، ولكنها ما تزال روحاً شرقية في نزعتها الوطنية وحبها خدمة الشرق . فيجب ان يكون الكتاب وكتبه مثلاً حياً لكثير من شباننا الذين لا يرون خيراً ، بعد زيارتهم اوربا ، الا الاخذ بكل ما فيها ، كأن الزرع يجود في كل تربة على السواء

هرمن ودروثيه

تأليف جوته — نقلها عن الالمانية — الدكتور محمد عوض محمد

كتب الدكتور عوض فصلاً في جوته . على ذكر الاحتفال بانقضاء مائة سنة على وفاته جعلناه ملحقاً لمقتطف ابريل سنة ١٩٣٢ ، فكان له وقع كبير في نفوس القراء . لشموله اهم ما يعرف عن حياة جوته وادبه ، والدكتور عوض لا يكتفي بأن يقرأ سيرة جوته كما يكتبها المؤرخون بل يعمد الى مؤلفاته نفسها يقرأها ويعيد قراءتها ، ليمتلئ ما فيها من جمال وروعة وحكمة وفلسفة . ولا غرو فترجم فوست لا يستطيع ان يفعل ما هو دون هذا من العناية

بآثار هذا العبقري العالمي". وها هي ترجمة «هرمن ودروثيه» تثبت لنا ان الدكتور ماض في عنايته بآثار جوته لا يثنيه ما يلقاه قارئ جوته من صعاب وغوامض. بل ان الترجمة الناصعة التي بين ايدينا تبين انه تغلب بالعزم والذكاء على الصعاب فتخطاها وعلى الغوامض فاجتلي حقيقتها. وقد وضع الدكتور طه حسين فصلاً ادبياً بليغاً في تقديم هذه الرواية، حبذا الحال لو ان المقام اتسع لنشره برمته او لاقتباس اهم ما جاء فيه. فنكتفي بحملة قالمها في وصف ابطال جوته. قال في صفحة ٣ من المقدمة:

ابطال جوته كأبطال هوميروس. فيهم سداجة حلوة. وفيهم دعة كلها عذوبة. وفيهم على ذلك شدة فيما لا بد من الشدة فيه. يتحدث بعضهم الى بعض فيمزجون اغراض الحياة اليومية بهذه الحكمة الشعبية الخالدة. ويصورون لك انفسهم في هذا الحديث. وهم اذا تحدثوا احيوا من حولك كل شيء. وأجروا الحركة في كل شيء. واشركوك معهم ومع الاشياء في هذه الحركة وهذه الحياة. وهم لا يحبون ما نألفه نحن من الایجاز في الحديث والاعراض عما لا حاجة اليه ولكنهم يأمون بكل شيء ويفصلون كل شيء ويكشفون لك من اشياء قيمة في هذا التفصيل الذي كنت ترى ان لا حاجة اليه»

وبعد فعندنا ان ترجمة الخالد من آثار الادباء النوابع في الغرب، ترجمة امينة بليغة — كترجمة الدكتور عوض — خير وسيلة لدرس الادب الغربي وتلقيح الادب العربي بخير ما انتجته القرائح في الغرب. وان الاكتفاء بالتلخيص وترجمة الشذوذ لا يحقق هذين الغرضين

الامواج

نظم احمد الصافي النجفي يقع في نحو ١٤٧ صحيفة من القطع المتوسط

لسنا نتردد «في حسابان هذا الكتاب من البواكير المجيدة التي تدل على رغبة الشعر العراقي في التخلص والافتكاك من اغلال الشعر التقليدي الذي لا يزال غالباً على شعر هذا القطر العربي الاصيل. وكم كنا نود وقد نجح الاستاذ النجفي او كاد ينجو من أسر التقليد العربي ان لا يقع تحت تأثير ما. غير اننا مع احساسنا بطبعه الحر لشعر ايضاً بالروح الفارسية تظالنا في جانب كبير من شعره. ولا شك ان هذا الاثر قد جاءه من طريق اتقانه للفارسية وولعه بمطالعة الخيام. وقد يما نغذت الروح الفارسية الى اساليب البيان العربي ولا سيما في شعر ابن المعتز ولكننا الآن نحمد هذه الروح الفارسية محاكية لشاعر بالذات هو الخيام في الغالب والفردوسي. اما في شعر ابن المعتز فهذه الروح الفارسية لا نجد لها محاكية لشاعر بعينه وانما نلمحها هناك لمحاً شائعة في ادب عام هو ادب الفرس الرقيق. وليس هنا موضع استقصاء هذا البحث وانما نريد الاشارة اليه لاغير. على ان تأثر الصافي بالروح الفارسي لم يقف به عند حد تقليد الفرس

وحسب بل قاده أيضاً الى محاكاة ابن المعتز فهو يقول في قصيدة الشاي (مذاب عقيق صب في كأس جوهر) ونجد ابن المعتز يقول في شيء قريب من هذا ان لم يكن هو ومنطق يسعى الى الندماء بعقيدة في درة بيضاء

وطبيعي ان محاكاة الصافي لابن المعتز طبيعية ما دام ان الاخير كان هو الشاعر الوحيد الذي غلبت عليه هذه النزعة الفارسية حتى كاد يعد في شعراء المتقدمين صاحب لوائها اما الروح السائدة في هذا الكتاب فهي الروح الشعبية التي تعم الاقطار العربية الآن وتستطيع أن تلمح ذلك مجسماً في قصيدة الفلاح ولعل ذلك ما حدا بالناظم الى الابتداء بها. كذلك لغة الديوان واكثر اخيلته ومعانيه فقاما يرتفع الناظم في ذلك كله عن الشعب. خذ مثلاً قصيدة اليتيم والنظر كيف تصور لك بؤسه وانا واثق انك لن تجد في هذه القصيدة الطويلة الا وصف البؤس المادي الذي لا يخرج عن حزن اليتيم لاجل لعبة يلعب بها . او ثوب يفرح به . وهذا حسن ولكن الذي ليس بالحسن هو أن يسكت الشاعر عند هذا الحد المادي كأن بؤس اليتيم وشقاء اليتيم هو في الفقر الى المال لا غير اما فقد الحنان الابوي في ذاته اما الحزن الممض المبهم الذي يصيب روح اليتيم فيكسو وجهه صفرة حائلة لا يعرف لها مأنى اما هذا الالم النفسي الذي تحس به روح اليتيم قبل ان يدركه عقله كل هذا فليس له نصيب في هذه القصيدة لا شيء الا أنها الروح الشعبية العامة في بلاد العرب وهي هذه الروح الحسية المادية التي يجب على الشعر ان يعالجها في اول ما يطلب من اغراض

على ان الاستاذ الصافي عند ما لمس الموضوع الذي ينظم فيه نفسه واطارده فانه محلق بك الى سماوة الشعراء المجيدين وناهيك بقصيدة (سراجي) وشرعك بالقصيدة التي جعل عنوانها (ماسم هذا اليوم) فانها والحق يقال جمعت اهم عناصر الشعر المختار فهي في مبنائها ومعناها وغايتها تدنو بصاحبها الى غاية الشعر العالي الذي يذهب اليه ولا يسعنا الا استرعاء القراء استرعاءً خاصاً الى ما جاء في هذا الكتاب تحت عنوان (انغام مشوشة) فلعل تحت هذا العنوان احسن النظم الذي في هذا الكتاب « زهير »

رواية مريض الوهم

هي رواية تمثيلية هزلية أدبية مضحكة اصدرتها مكتبة صادر في بيروت وهي من مؤلفات مولير الروائي الفرنسي الشهير وتعريب الشاعر الناصر الياس ابو شبكه . ثمنها سبعة فرنكات خالصة اجرة البريد ترسل حواله بواسطة باسم سليم ابراهيم صادر صاحب مكتبة صادر في بيروت صندوق البريد رقم ١٠

الفكر والعالم

مجموعة دراسات اجتماعية وأدبية مذبذبة بدرامة - بقلم ابراهيم المصري - في ٢٩٢ صحيفة قطع متوسط -
نشرته مكتبة سابا بمصر

الفكر والعالم قوتان تحاول كل واحدة منهما أن تصرع الاخرى ، وفي صحائف التاريخ صور رائعة لهذا النضال ، فأبطال الفكر يقومون بنشر آرائهم فيجدون في العالم قوة جامدة تحاول أن تصدهم فلا يخضعون لها ويمضون في سيرهم حتى يصطدموا بتلك القوة فتحطمهم . وهنا يغطي الستار الذي يستدل على حياة الضحية ورائه مشاهد أروع فاذا ارتفع الستار بعد حقب وجدت تلك الافكار التي حاولت ضخمتها أن تذيبها قد صرعت العالم وصبغته أو كادت تصبغه بلونها

وكتاب ابراهيم المصري الأخير « هو صور عابرة من ملايين الصور لبعض وجوه هذا الصراع الابدئي » وقد عالج فيه بعض المواضيع التي تشغل العالم الآن فهو في مقاله «معنى الحضارة» يرى أن الحضارة وهي تلخص في ظاهرتين : رغبة الانسان في حاجات متعددة ، والعمل الذي يقوم به لقضاء هذه الحاجات . يراها لا تستقيم إلا بظاهرة أخرى ولا توجد إلا متى توافرت عناصرها وهذه الظاهرة هي الاحساس بالحق . ولانعدام هذه الظاهرة يرى ان الحضارة الحديثة ناقصة لأنها ما تزال أنانية النزعة لا تقيم للاعتبارات الانسانية كبير وزن ومن هنا تنشأ المعطلة ويتفشى الفقر ... وفي مقاله « الحضارة والآلات » يعرض للموضوع الذي يراه بعض الكتاب في اوروبا وأميركا خطراً عظيماً تهدد فيه الآلات مستقبل الحضارة ومصير البشرية ، فهو يرى ان الاضطراب الذي نشهده في العالم ليس المسئول عنه تلك الآلات وانما الاضطراب فينا فكما اخترع الانسان الآلة بعقله في وسع عقله ان ينظم انتاجها بحيث يفضي هذا التنظيم الى اجراء التعادل بين مطالب البدن ومطالب الروح ... وفي بقية مباحث الكتاب « الفنون والآداب في عصر الآلات » و « اضطراب أوروبا » و « الفن والقوة » وغيرها يبدو ابراهيم المصري المطلع الذي يقرأ ثم يخرج برأي متزن

وقد وازن بين الكاتب الالماني اميل لدوج والكاتب الفرنسي اندريه مورو فيما يكتبان من التراجم ، فالأول له نزعة يغلب عليها الطابع الرومانتيكي فهو يبالغ في رسم العواطف والحوادث مضافاً عليها ثوباً من الخيال الشعري بعد أن يجسمها كما يفعل القصصيون ، أما الثاني فهو ينزع الى البساطة والدقة وتحري الحقائق التاريخية الممكنة والبحث عن مستندات تكشف عن بعض الجوانب الغامضة في حياة المترجم له وهو في ذلك لا يجبرك كأميل لدوج أحياناً على قبول تلك الشخصية كحقيقة مقطوع بها ... وقد رسم المؤلف صوراً صغيرة ولكنها تبعث في القارئ تأملات طويلة صوراً فيها الشاعر بودلير والقصصي مارسيل

بروست — أما مقاله «غرام ميكل انجلو» فهو قطعة من الشعر كتبها من روحه ...
 وابراهيم المصري أحد الكتّاب الذين يحرقون أنفسهم فيما يكتبون فتحس في كلماتهم
 نفحات لا تحمد ، ولهذا فهو دائماً يكتب ما يريد لا ما يريد الجمهور ، يحاول ان يرفع القارىء
 معه لا أن ينزل حيث القارىء

ودرامته «نحو النور» التي تملأ حوالي ١٦٠ صفحة من هذا الكتاب في أربعة فصول
 هي دون مبالغة إحدى روائع الأدب العربي الحديث والتي لو عني بترجمة عيون أدبنا كانت
 إحدى هذه العيون . أحس كأن الكاتب يفنى وهو يكتبها ، وأشعر كأنه قد كتبها بأعصابه
 يتمثل فيها صراع الفكر والعالم بأروع مشهد ... أديب يحاول أن يحرر أفكار اهل وطنه ،
 يحاول ان يرفع مستواهم ، يحاول غير ذلك من المشل العليا وفي هذا السبيل يدوس على كل
 رغباته الذاتية او يشيح بوجهه عما يحاول صدّه من متاع الدنيا ويأبى العالم إلا أن يكون
 قاسياً فتتكاثر عليه جميع عناصر قوته ، ويأبى أنون الألم إلا ان يكون ملتهاً الى النهاية
 لا يرحم الضحية التي تقدم نفسها طواعية اليه وتذب أفعى الانسانية ظمأى الى دم الضحية
 نهمة تشتهي نهش لحمها وتتغلب القوة التي لا تعرف نظاماً أو واجباً فتسدل الستار على خيفة
 مؤلمة ، ويخبو الفكر الذي اشتعل ولكن لن تموت مبادئه وانما تسري من وراء الستار في دم
 العالم حتى يثوب الى رشده فيظهر أثرها

غير أني ما زلت أعثر على تعبيرات أشرت الى مثيلاتها عند ما كتبت في العام الماضي
 هنا عن كتابه «الأدب الحديث» وقلت ان هذه التعبيرات التي سرت اليه من مطالعته في
 الأدب الفرنسي قد لا تتفق وأظنها لن تتفق مع روح الادب العربي ، ولست في هذا بالجامد
 وانما أنا من المولمين بتلقيح أدبنا بما يمكن وما يصلح من غيره إلا ان أمثال هذه التعبيرات
 كالنكتة لا تصلح في الطبقة «البلدية» منها ما تصلح في الطبقة الراقية . وقد حاولت أن أجد
 في مقاله «فن الاسلوب» ردّاً على هذا فلم أجد إلا حجة ضده فهو يؤخذ من يطالبون الكاتب
 بأن يصطنع التعبيرات التي مشى عليها الجاحظ والجرجاني وابن المقفع والمبرّد وغيرهم ويرى
 أن «المطالعة ان هي ربت في الكاتب ملكة اللغة وزودته بالمحصول اللفظي الذي هو في حاجة
 اليه فهي لا تخلق أسلوبه وكذلك السطو على التراكيب العربية لن يموّه على الناس ان الكاتب
 صاحب شخصية مستقلة وأن له اسلوباً» ويرى انه «يجب ان يقف الكاتب على جميع
 الاساليب ويشرها نفسه ويتغذى بها ثم يهضمها ويبدع منها أسلوباً حياً طريفاً لا يمت
 لأحد منها بصلة»

وهنا أسأله أما تمت هذه التعبيرات الى شيء آخر بصلة إما ؟ يجب ان نجد وان نبذع
 تعبيرات مبتكرة أو مأخوذة ولكنها تتلاءم وروحنا الأدبي حسن كامل الصيرفي

مقاييم الكتب

١ - كتاب « حافظ وشوقي »

تأليف الدكتور « طه حسين » مطبعة الاعتماد سنة ١٩٣٣

الدكتور طه حسين رجل غير مجهول حتى نعتي انفسنا ونعتي القراء معنا بالقول في آثاره الأدبية الكثيرة والتي استفاضت في هذه المدة الأخيرة أكثر من ذي قبل . وكتابه هذا فيه آراء له كثيرة مشهورة لانه مجموعة مقالات نشرت قديماً وحديثاً أحبّ الدكـور طه ان يذيعها بين الناس في كتاب يسهل تناوله اذ كانت مشتتة في الجرائد والمجلات التي نشرت فيها . وليس هذا الكتاب كما يفهم من عنوانه - كتاباً في حافظ وشوقي ليس فيه غبرها . لا بل كما سميت مختارات ابى تمام بالحماسة لان الباب الاول من ابوابها الكثيرة هو باب الحماسة فكذلك سمي الدكتور كتابه هذا باسم « حافظ وشوقي » بالمقالات الأخيرة فيه عن حافظ وشوقي ، ولأنه صدر بعد الحدث الذي اشتغل به العالم العربي بموت هذين العظمين في الادب . ومقالات الدكتور طه التي في هذا الكتاب لا تحتاج إلى كلامنا فانما هي مقالاته التي احبها كثيرون من اجل آرائها فيها وتحامل عليه آخرون من اجل هذه الآراء . فليس من الرأي ان تناول هذا الكتاب في باب المكتبة لان ما فيه من الآراء يحتاج في نقده الى إطالة وتوسّع تضيق بهما هذه الصفحات القلائل

٢ - كتاب الرثاء

في شعراي تمام ، والبحري ، والمتني - تأليف أدبية فارس - مطبعة الاعتدال بدمشق الشام
هذا الكتاب (رسالة اجتازت بها مؤلفتها امتحان شهادة الآداب العليا بالجامعة السورية سنة ١٩٣٢) وقد اجادت الآتسة الادبية « أدبية فارس » فهم الشعر الذي تعرضت له . فاختارت من شعر ابى تمام قصيدته في رثاء ولده التي اولها

كان الذي خفت ان يكونا انا الى الله راجعونا

ومن شعراي عبادة البحري قصيدة في رثاء خليله جعفر المتوكل الخليفة العباسي المقتول وأولها
محل على القاطول اخلق دائرة وعادت صُروف الدهر جيشاً تُغاوره

ومن شعر ابى الطيب المتني رثاء لجده الذي اوله

ألا أرى الاحداث مدحاً ولا ذمّاً فما بطشها جهلاً ولا كفها حلاً

وقد وضعت المؤلفة الموفقة القصائد تامة في اول رسالتها مع ترجمة مختصرة لكل شاعر من هؤلاء الثلاثة ثم اتبعت ذلك بكلامها وفهمها وبحمها في الرثاء ما هو وقد اجادت . ثم اخذت كل قصيدة بمفردها فنظرت فيها وفي بلاغة الرثاء فيها نظراً جيداً وتكلمت على ابيات كل منها وموضع الاحساس في ابياتها وطارضت بين الشعراء الثلاثة معارضة صادقة . والذي يفرحنا من

هذه الرسالة ان مؤلفتها امرأة ، ثم امرأة متعلمة ، ثم اديبة ، ثم ناقدة . وقل ان تجد في النساء الاديبات اللواتي يفرغن للادب ولذته وهمة ايضاً . وللاسة اديبة فارس ، اسوة بمجدها سكينه بنت الحسين رضي الله عنها التي استخذى لنقدها وبصرها بالأدب فحول الشعراء من الاولين كعمر بن ابي ربيعة وذي صيب الاسود وجميل العذري وكثير عزّة الخزاعي وغيرهم من شياطين الشعر . وللاسة « اديبة » فكر جيد في فهم الالفاظ العربية ومواقفها من الكلام وابن هي من معانيه المقصودة التي توافقها . وهذا اول اثر نراه لها فنسألها ان لا يستغرها ثناؤنا على كتابها هذا ان تطلب الاستزادة لتصحيح الرأي وتقيم الفكر واللسان والقلم . فان هذه اللغة الدقيقة العجيبة التي اختارها الله من لغات الناس لكتابه المحكم صعبة شرود لا يصبر على معارفها ومجاهلها الا من أوتي جلدًا لا يستضعف ، ورزق من دقة الاحساس نصيباً وافراً لا ينفد . وهذه الكتب العربية التي انقطعت بيننا وبينها الاسباب فاستعجمت على كثير منا تحتاج الى اجتهاد وجدّ حتى يعرف طالبها اسلوبها وما تنطوي عليه من معاني الجمال والفن كما يقولون الآن . ولنا اكبر الامل في هذه الادبية الناشئة ان تكون من اللواتي يذكرهن تاريخ العربية من النساء بأجل الذكر

٣ - كتاب الخط الكوفي

تأليف الاستاذ يوسف احمد مدرس الخط الكوفي بمدرسة تحسين الخطوط الملكية بالقاهرة

لقد أتى على الخط الكوفي القديم زمن والناس لا يعرفون منه الا اسمه ، ويرونه في المساجد ولا يحسن احدهم أن يعرف ألفه من يائه . ومن المخزيات ان لا تعرف الامة آثار آبائها واسلافها ، فانظر اي شيء هو حين لا تعرف الخط الذي به تعرف ما هي آثار آبائها وأسلافها . وكان من فضل بعض الناس علينا أن نشروا آثار اسلافنا ، وكان من فضل الاستاذ يوسف احمد على العربية ثم علينا أن رمى بنفسه في ظلمة الآثار البالية حتى استنارت بعلمه في معرفة اصول الكتابة الكوفية القديمة وتولى قراءة ما بقي لدينا من آثار آبائنا العرب . وهاهو قد أخرج للناس الكتاب الصغير الجرم العظيم الفائدة جعله موجزاً وذكر فيه رأي مؤرخي العرب في اصل الكتابة العربية ثم اشتقاقها من الخطوط سابقتها وما حدث من التغير والتبدل والتدرج في الخط الكوفي وما تلاه من انواع الخطوط العربية وأردف ذلك بأمثلة وصور كثيرة للخط الكوفي . ونأمل ان يخرج المؤلف كتاباً مفصلاً في هذا وما ذلك على مثله بعزير

٤ - صلاح الدين وشوقي

تأليف ، محمد اسعاف النشاشيبي ، مطبعة بيت المقدس باقدس سنة ١٩٣٢

الكلمة الاولى فيه عن شوقي رحمه الله وقد قيلت في تأيينه بيت المقدس والاخرى عن صلاح الدين نغر الامارة الاسلامية والحكم الاسلامي ورجل العدل والامانة وقيلت في مدينة

حيفا من فلسطين يوم ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٥١ وذلك في ذكرى موقعة حطين في الحرب الصليبية . والكلام يتوجه فيهما - كما قال صاحب الكلمة - الى نصارى الغرب الذين يسومون الشرق سوء المعاملة لا الى مواطنينا من اهل الكتاب من نصارى العرب . وفي الكلمتين المذكورتين روح اسعاف النشاشيبي بعروبته واخلاصها للعرب والشرق ، واللغة العربية الصحيحة التي توفر على دراستها فأجادها وصار من بلغائها وخطبائها

٥ - كتاب الشخصية

تأليف السيدة « لى أن » ترجمة الانسة « دلال صفدي » مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٩٣٢

يعنون بكلمة « الشخصية » ما كانت تعني العرب قديماً بكلمة « السؤدد » و « السيادة » وذلك ان يكون في خلق الرجل من المروءة وبعد الهمة والتواضع والاخلاص والورع عن دنياات الامور والحلم والتغابي لا عن غباء والصمت لا عن عي ما يسود به في بيته ثم عشيرته الاقربين ثم الذين يلونهم حتى يكون سيداً مطاعاً في امة أو أم او عقلاً محترماً في جيل او أجيال . وكانوا قديماً يطلبون الاخلاق التي هي طريق السؤدد لانها من المروءة ، وقد ألفوا قديماً كتباً كثيرة في ذلك . واليوم تهتم امم الاعاجم من اوربا واميركا بالبحث عن اصول تكوين الشخصية وكيف يتيسر للرجل من الناس ان يكون لنفسه شخصية وقد ألفوا في هذا كتباً كثيرة خلّت من مثلها العربية في هذا العصر . ولم أقف الا على كتابين بالعربية في موضوع الشخصية وثالثهم هذا الكتاب الذي ألفته امرأة وترجمته امرأة . وعلى صغر هذا الكتاب فان له فائدة كبيرة . وقد ترك في نفسي اثرأ قوياً لا اقول لانه جيد جداً ولكن لانه أثار في نفسي الرغبة في الاستزادة من هذا البحث . ولولا ضيق المقام وان ابواب نقد الكتب في مجلاتنا لا تحتمل الاطالة والتوسع لاتسّع لي مجال القول في تفصيل الرأي في معنى الشخصية حديثاً ومعنى السؤدد قديماً والفرق بين الطريقتين واي السبيلين اهدى واقوم ولاستطعنا ان نبين الرأي في تأثير المدنية الاوربية الطاغية في العلوم والآداب والاخلاق إلى آخر ما يقال في هذا الشأن

ونقول في هذا الكتاب ان ترجمته لا بأس بعريبتها من آنسة ، ونود ان نرى لها آثاراً قوية خيراً من هذا الاثر وبخاصة في مثل هذا الموضوع « الشخصية » الذي يرجع اكثره الى المرأة فانها هي مربية العالم من المهند الى اللحد . وهي المدرسة التي يتخرج عليها عظماء الرجال وقد قيل لام معاوية بن ابي سفيان حين رزقت بولدها معاوية : « ليسودنّ قومه » فقالت : « نكاسته ان لم يسدّ الا قومه » فاهدأت فتنة دم عثمان رضي الله عنه حتى وضع معاوية يده سيداً مطاعاً على اعظم امة في ذلك العصر . . . وذلك بفضل امه وما اخذته به من ادب حتى ضرب به المثل في المروءة والحلم

٦ - كتاب امير الشعراء شوقي

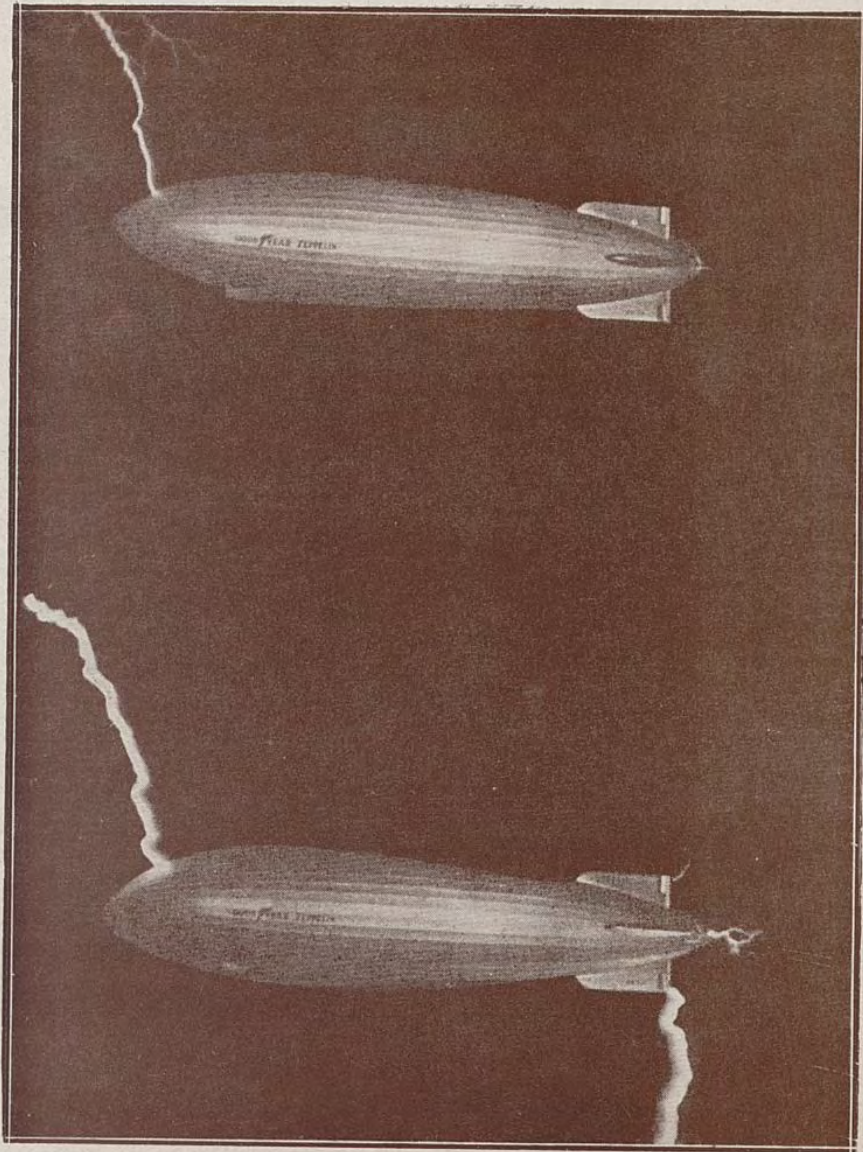
جمع وترتيب « محمد خورشيد » استاذ الادب العربي بمدرسة النجاح بنابلس مطبعة بيت المقدس
كان شوقي وقد (ملا الدنيا وشغل الناس) كما قالوا في المتنبي ، فلما ذهب به وانطلقاً
السراج واطلم البيت امتلأت الدنيا به مرة اخرى وقد خلت من شخصه وشغل الناس بذكره
فاضطربوا وخابوا بالقول فيه ونشر ما قيل فيه في جرائد العربية ومجالاتها في انحاء العالم
وصارت شتانا لا يجمعه الحصر قام كثير من الناس يجمع شتات ما قيل في شوقي ، فأول ما وصل
اليانا من ذلك هذا الكتاب وقد جمع فيه جامعه ما اختار مما نشر عن شوقي ونسب
ما اختاره الى الجرائد والمجلات التي اختاره منها فكانت همة مشكورة له وقدّمه بمقدمة جيدة
في شوقي وحياته

محمود محمد شاكر

كتاب ٢١ صناعة تغنيك

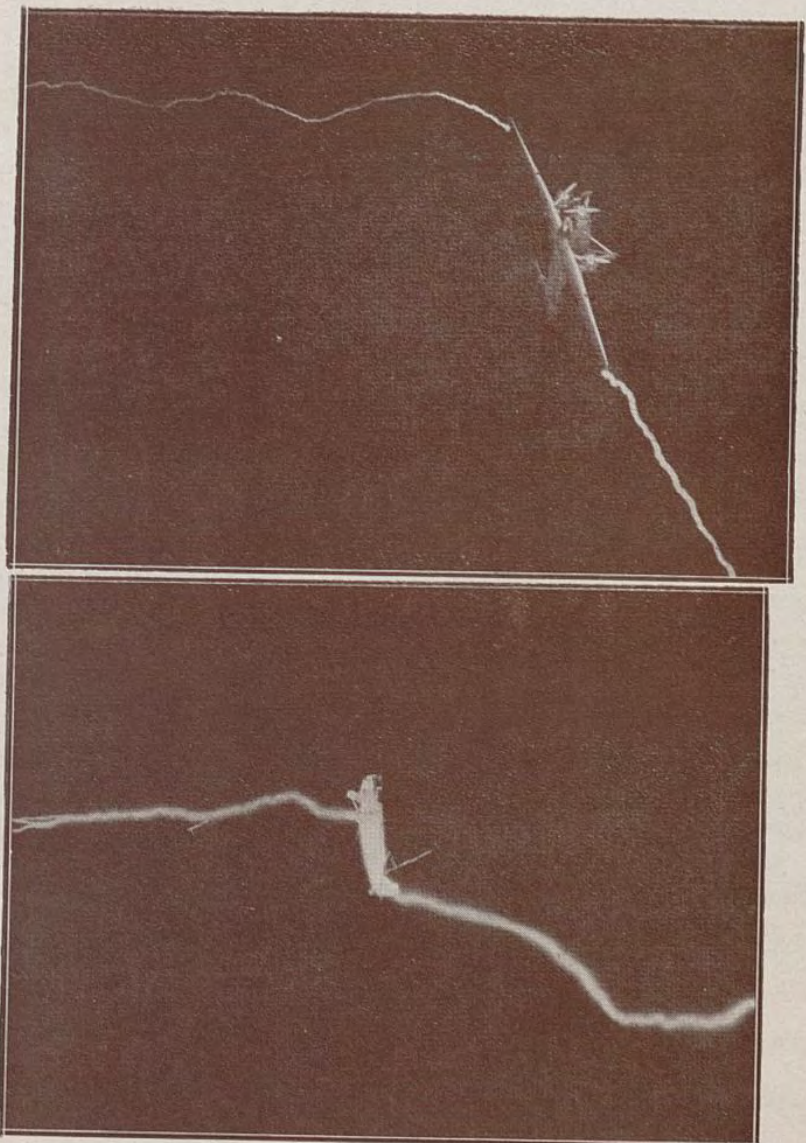
لقد أسن الاستاذ حسني يوسف صاحب جريدة « لسان الشعب » بمصر اذ اخرج هذا
الكتاب الذي يحتوي على « ٢١ صناعة تغنيك وتعلمك مختلف الصناعات والفنون بأسهل
طريقة » فهو دعاية طيبة للصناعات وخطوة اولى في سبيل تركيزها في الازهان . وبما يزيد في
فائدة الكتاب انه سهل الأسلوب وقد عني به من حيث الترتيب والتبويب ، فهو مفيد للعمال
والصناع وربات البيوت ويطلب من مؤلفه بالمبيضة رقم ٨ بالجمالية وثمنه ١٥ قرشاً
المطبوعات الجديدة

نقرُّ اننا لم نشهد في خلال السنوات العشر الماضية نشاطاً في تأليف الكتب وطبعها كالنشاط
الذي نشهده اليوم رغم الضائقة المالية الآخذة بالخنق . ولكن الفكر الحر لا يحفل بالضائقة ،
بل قد تكون الضائقة حافزاً له على الابداع والانتاج . لذلك نطلُّ مقصرين عن الحق بسيل
المؤلفات التي تخرجها المطابع . وقد تناولنا في هذا الشهر نحواً من عشرين كتاباً بين اسهاب وإيجاز
وعلى الرف امامنا عشرون اخرى او تزيد نشر بوجه خاص الى « علم النفس » في جزئين
تأليف الاستاذ حامد عبد القادر والاستاذ محمد عطية الابراشي . وقد اشترك معهما في تأليف الجزء
الاول الاستاذ مظهر سعيد . وثمة كتاب آخر في علم النفس النظري والتعليمي للاستاذ مظهر سعيد .
وكتاب « فن الصحة » للطبيب الجرائمي احمد حمدي الخياط . وكتاب « الامراض المعدية
في الاقطار العربية » للدكتور حبيب صادر . وكتاب « حضارة مصر الحديثة » وهو مجموعة
فصول اكبار الكتاب واصحاب الرأي في مصر جمعتها الجامعة الاميركية في القاهرة واخرجته
المطبعة العصرية . وبحثنان في « تطور الصناعات المصرية » و « واحة سيوه » للدكتور حسين
علي الرفاعي المفتش الاقتصادي بمصلحة التجارة والصناعة . كل هذه الكتب وغيرها مما اهدي
اليانا ستحفل بذكرهم مكتبة المقتطف في الجزء القادم ان شاء الله

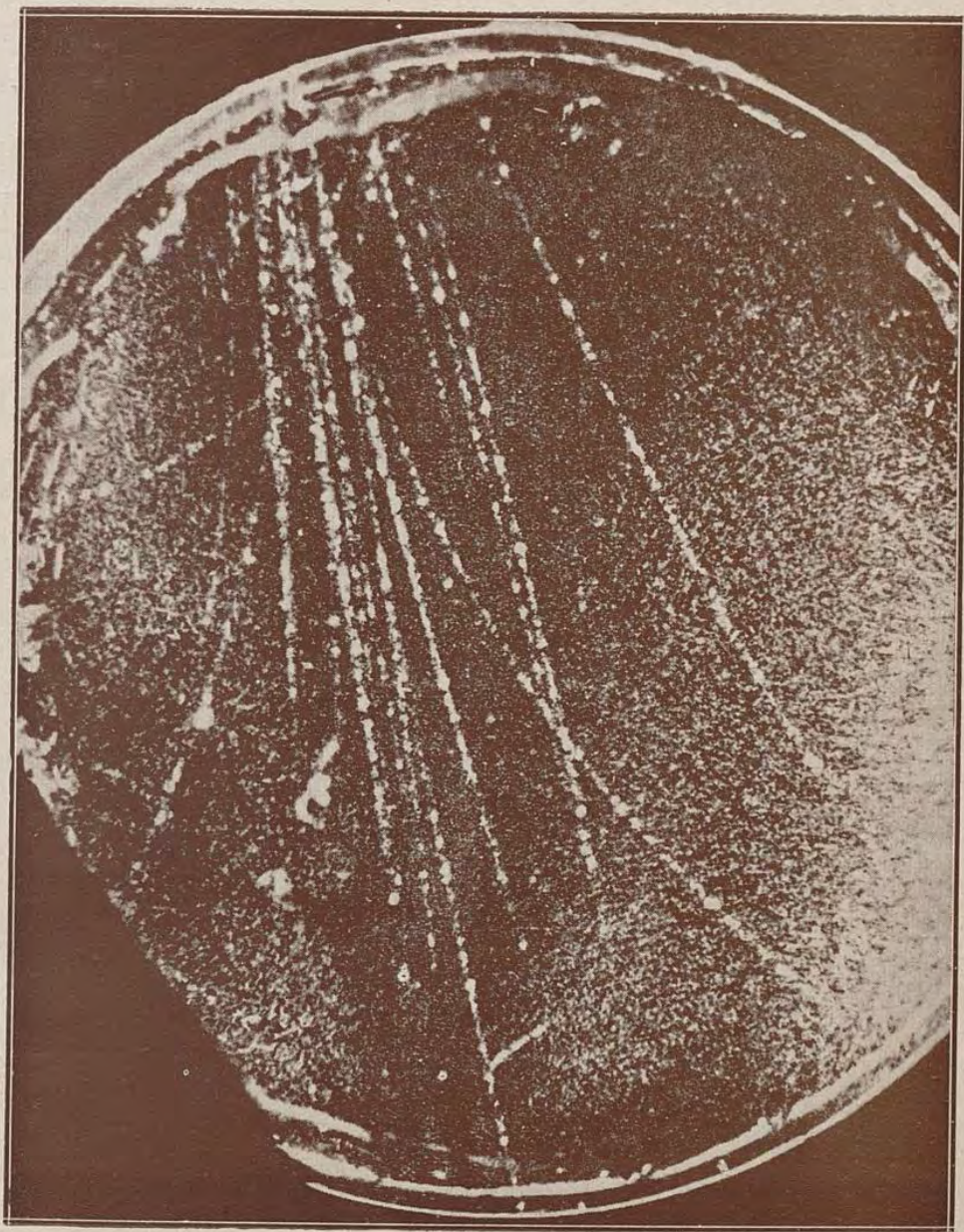


أثر البوارق في البلونات

فصلت الصحف اليومية الفاجعة التي حلت بالبلون الاميركي الضخم «اكرون» وهذه الصورة تمثل تجارب جربت ببلون يمثل «الغراف تسيلين» ليعرف ما يحل به إذا أصابته شرارة برق وهبوطاً. ففي الصورة السفلى يرى كيف أصابته الشرارة في مقدمه فسرت في هيكله الى ذيله ثم اتصلت بالارض. وقد ثبت من التجارب ان البلون لم يصب بأذى كبير



مثال آخر للتجربة المذكورة في الصفحة السابقة ولكن الطائرة حلت في هذه التجربة محل البلون



الصورة التي اثبت بها وجود « الالكترون الموجب » او « الپوزيترون »
مقتطف مايو ١٩٣٣
امام صفحة ٦٣١

الان
والد
بكبر
كارل
في س
الان
الذر
والك
اصب
نعر
الايد
وهو
الذي
الان
حش
وهي
الموج
التص
بعض

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

الالكترونون الموجب

أو «الپوزيترون»

التي تنطلق من الراديوم ومنها تتألف نواة ذرة الهليوم . ولكن ما يربط هذه الدقائق معاً حتى تتألف منها نواة الهليوم؟

البروتون والالكترونون دقيقتان من كهربائيتين مختلفتين الاولى موجبة والثانية سالبة . ولكن كتلة البروتون تزيد ١٨٤٥ ضعفاً على كتلة الالكترون فكل كتلة الذرة تقريباً هي في البروتون . جرد الذرة من الكتروناتها فتبقى كتلتها ما كانت عليه قبل تجريدها تقريباً

والبروتون كما قلنا هو نواة ذرة الايدروجين ولكن الالكترون لا يمكن تعريفه بنسبته الى اية ذرة واحدة دون غيرها

ففي امكان الباحث ان يولد تيارات من البروتونات ولكنه اذا وزنها وجد وزن كل منها يقابل وزن ذرة من الايدروجين . فيخطر على البال بداهة ، ان الالكترون «كهربائية» مجردة وان البروتون مادة عليها شحنة كهربائية . ولكن فصل الشحنة الكهربائية عن البروتون ظل متعذراً حتى قام اندرسن وبلاكت وأكسيليني بتجاربهم الخطيرة . والشحنة الكهربائية التي

ذكرنا في مقتطف مارس الماضي ، في باب الانباء العلمية ، ان الدكتور بلاكت حقق هو والدكتور أكسيليني ، في معامل كافندش بكمبردج ، ما كان قد ذهب اليه الدكتور كارل اندرسن أحد اساتذة جامعة كاليفورنيا في سبتمبر الماضي ، من وجود الكترون موجب واذن فالبساطة التي صحبت النظرية الالكترونونية في بدئها قد زالت ، اذ كنا نحسب الذرة كنظام شمسي فيه نواة في الوسط والكترونات او كهارب تدور حوا اليه . وقد اصبحت لبنات الكون الاساسية ارباعاً على ما نعرف الآن فثمة «البروتون» وهو نواة ذرة الايدروجين . وثمة الكهرب او الالكترون وهو ذرة الكهربائية السالبة . وثمة النيوترون الذي اكتشف في السنة الماضية وهو يحسب الآن بروتون واحد والكترون واحد وقد حُسِسَ معاً حتى كادا يتحدان . وثمة الفوتونات وهي ذرات النور والطاقة . وها هو ذا الالكترون الموجب أو الپوزيترون قد اقبل متشجاً بجلالة التصريح العلمي . ومن يدري ما يتبعه . ويضيف بعضهم الى ذلك دقائق «الفا» وهي الدقائق

الايدروجين يحتلان مكاناً واحداً في جدول العناصر . فنوعا الايدروجين يحتلان المكان الاول ونوعا الكلور يحتلان المكان السابع عشر . وفي جدول العناصر بحسب ترتيب موزلي يوجد ٩٢ مكاناً

وكيف يعين مكان العنصر في هذا الجدول ؟ يعين بالشحنة الكهربائية التي على نواته . ولما كان نوعا العنصر الواحد يحتلان مكاناً واحداً في الجدول فيجب ان يكون عدد الشحنات الكهربائية على نواتيهما واحداً . ولما كانا يختلفان وزناً ولا يختلفان في عدد شحنتيهما فهذا دليل على ان بناء النواة يمكن ان يتغير ولكنه يظل محتفظاً بعدد واحد من الشحنات الكهربائية عليها . وليس ثمة من يعلم كيف تبني النواة . ولعل في اكتشاف الپوزيترون سبيلاً الى جلاء هذا السر

ولما كان معنى «الكترن» وحدة الشحنة الكهربائية سواء أكانت موجبة او سالبة اقترح احدهم ان يدل الالكترن الموجب «پوزيترون» Positron ويطلق على الالكترن السالب وهو ما كان معروفاً حتى الآن بالالكترن فقط لفظ «النجاترون» Negatron

كبد السمك

نشر الدكتور دايفدسن الاستاذ بجامعة ابردين رسالة في المجلة الطبية البريطانية صرح فيها ان لا كباد السمك فائدة عظيمة في علاج الانيميا الخبيثة . والاسماك التي جرب فعل

تجرد من بروتون واحد هي ما يعرف بالالكترن الموجب أو الپوزيترون . فالبروتون ليس صنو الالكترن في تركيب الذرة ولكن الپوزيترون هو صنوه حقيقة

اذا قال الطبيعي ان كتلة البروتون تزيد ١٨٤٥ مرة على كتلة الالكترن واجه مسائل معقدة كثيرة يثيرها هذا القول . لماذا تفوق كتلة الاول كتلة الثاني ١٨٤٥ ضعفاً لا التي ضعف او ٢٥٠٠ ضعف او ٣٠٠٠ آلاف ضعف او اي عدد آخر ؟ ولا ريب اننا اذ نصطدم برقم كهذا في موضوع اساسي كموضوع بناء ذرة الايدروجين لا بد ان يكون لهذا الرقم معنى خاص . فما هو هذا المعنى الخفي ؟ لعل اكتشاف الالكترن الموجب او الپوزيترون يمكننا من الاجابة عن هذا السؤال

كان من المتعذر حتى الآن ان يفصل الطبيعيون البروتون عن شحنته الكهربائية الموجبة . لذلك تعودوا ان لا يفرقوا بين البروتون — وهو نواة الايدروجين — وبين شحنته . اما وقد اثبت اندرسن وبلاك ان الشحنة الكهربائية على البروتون مستقلة ، فقد ارغما العلماء على النظر الى الموضوع نظراً آخر فال معروف ان كل عنصر من العناصر تقريباً مزيج . فثمة نوعان من الايدروجين ممتزجان معاً في الغالب . وثمة نوعان من الكلور . كذلك الپوتاسيوم نوعان احدهما مشع والآخر غير مشع . وهذه الانواع تعرف بالنظائر Isotopes ومعنى لفظه ايسوتوب ان نوعي

والنقابات والجمعيات حتى اذا عقد السلم وازادت هذه الدول الرجوع الى ما كانت عليه قبل هذه المجزرة الغزيرة وجدت نفسها امام جموع منظمة ذاقت لذة الاشتراك في الحكم وعرفت قيمة الخدمات التي ادتها للدولة لذلك لم يكن من المتيسر الخلاص من سلطتها بل ان الحرب زادت هذه السلطة قوة على قوة

وما جفت دماء القتلى في الميادين الا والامة الالمانية في ثورة لا تدري ماذا تصنع ، ذلك لان الامبراطورية الجرمانية التي قامت على تعاليم (هيجل) وانبسطت على مبادئ (فريدريخ نيتشه) العنيفة انهارت ، فلما ارادت ان تبتأسك لم تجد امامها مستنداً غير الطريقة البرلمانية لا لانها خير الطرق واجمعها للمذهب المشتتة بل لانه ليس في الميدان غيرها ، وقد غادر انهيار الامبراطورية الهيجلية فراغاً في ذهن الالمانيين لما يمتلئ ، وقد اظهروا في انتخاباتهم المتكررة انهم غير راضين عن الحكم الديمقراطي ، وآخر تجاربهم وأهمها تسليم مقاليد الامور لهتلر زعيم (النازي) وهي الفاشستية الالمانية ، وفي عقيدتي ان هذه التجربة ستجد اقبالا عندهم وتأييداً عظيماً لانطباقها على ميراثهم الفلسفي الوطني من جهة وللملاءمتها للتدرج الحاضر من جهة اخرى ، على ان التكهن بمصير العمال في بلاد صناعية كالمانيا حافلة بهم امر متعذر ولا بد لكل حكومة تؤلف هناك من العناية بشأنهم والالتفات الى مصالحهم ولعل في ذلك ما يحول دون خطرهم على الوضع الحاضر

اكبادها في علاج الانيميا هي البقلة (Cuc معجم حيوان للاب انستاس الكرمل) والحساس (Haddock معجم شرف) وضرب آخر يدعى whiting واسمها العلمي Gadus Vulgaris فيصح ان يترجم بالبقلة المألوفة ، اذا جارينا معلوف باشا والاب انستاس على استعمال بقلة ل Gadus

قتل الميكروبات بالبرد

يؤخذ من التجارب التي جرت حديثاً في جامعة تورنتو بكندا ان البرد الشديد لا يقتل البكتيريا . فقد أخذت طائفة منها ووضعت في اناء يحيط به الهليوم السائل — ودرجة برده ٤٥٠ درجة تحت الصفر بيزان فارنهایت وهي نحو ٢٦٨ درجة مئوية تحت الصفر — وظلت هذه الميكروبات بضع أسابيع في الاناء المذكور ثم اخرجت فثبت انها تتوالد والتوالد آية الحياة او احدى آياتها. وهذه التجربة تدل ، على ان البرد الشديد في رحاب الكون لا يميت بعض اشكال الحياة الدنيا في انتقالها خلال هذه الرحاب على مطايا من الغبار الدقيق . ثم انها تدل على ان البرد الشديد يحفظ الاطعمة من الفساد ولسكنه لا يميت ميكروبات الفساد التي فيها

الحرب العالمية والثورات

[تابع مقال القضايا الاجتماعية]

ثم لما نشبت الحرب العالمية اضطرت الدول المتحاربة الى الاستعانة بكثير من المتحركات

الجزء الخامس من المجلد الثاني والثمانين

صفحة	
٥٠٧	مندليف (مصورة)
٥١٧	ماركس ومذهبه
٥٢٣	غرائب المناعة
٥٢٦	الله والشاعر (قصيدة) لعلي محمود طه
٥٣٦	في اي طريق تساق الحضارة . لاسماعيل مظهر
٥٤٢	معرض المذاهب السياسية . للدكتور عبد الرحمن شهنندر
٥٤٧	اشراف بلاد العرب . لفؤاد حمزة بك
٥٥٣	فكاهة في نظرية النسبية . لنقولا الحداد
٥٥٦	فلسفة تاريخ الفلسفة . لعلي آدم
٥٦٢	الحياة (قصيدة) لعباس الخليلي
٥٦٤	ظاهرة دُبلر . لجزه بها
٥٦٨	السوبرمان . لابراهيم مسلم
٥٧٥	شم النسيم . لناشد سيفين
٥٧٨	ولز الاديب . للدكتور ابراهيم ناجي (مصورة)
٥٩٠	من الارز الى الزوفى . للدكتور امين المعلوف باشا
٥٩٦	الرحلة والرحالون . لنقولا زيادة (مصورة)
١٠٦	كتاب الاغانى . لعبد الحميد سالم
٤٠٦	الراديوم والعلم والصحة
٦١٢	الدين والعلم . لاسعد باسيلي

٦١٥	باب الزراعة والاقتصاد * صناعة الالبان في القطر المصري . للاستاذ مكفيتز
٦١٩	مكتبة المقتطف * بحث في الرق . المرافعة والقضاء . مناخ العالم . كواكب في فلك . هرمن ودرونية . الامواج . رواية مريض الوهم . الفكر والعالم . مقاليد الكتب . حافظ وشوقي . كتاب الرناء . كتاب الخط الكوفي . صلاح الدين وشوقي . كتاب الشخصية . كتاب أمير الشعراء شوقي . كتاب ٢١ صناعة تفنيك . المطبوعات الجديدة
٦٣١	باب الاخبار العلمية (مصورة)

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

صندوق بوست ٩٥٤ مصر تليفون رقم ٩٧٣٦

- | | |
|---|--|
| ١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فري) | ٣٥ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية) |
| • خواطر حمار (الاستاذ الجمل) | ٧٠ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة) |
| • التعليم والصحة | ٣٥ القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة اولى) |
| ١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد) | ٧٠ القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة ثانية) |
| ١٥ ذكراً وانثى خلقهم » » » | ٣٥ القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس |
| ٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران) » » | ٣٥ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس |
| ١٥ اسرار الحياة الزوجية » » | ٢٠ قاموس الجيب عربي انكليزي فقط |
| ٢٥ المرأة وفلسفة التناسليات (للدكتور بخري) | ١٥ قاموس الجيب انكليزي عربي فقط |
| ٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها » » | ٧٠ » سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ) |
| ١٥ الزنقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي) | ٥٠ » سقراط سبيرو انكليزي عربي (باللفظ) |
| ١٠ تاييس » » » | ١٠٠ » سقراط انكليزي عربي وبالعكس |
| • مكاييد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر) | ١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطلول) |
| ١٠ القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة) | ١٢ الهدية السنوية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ) |
| ١٠ مسارح الازهار (٣٥ قصة كبيرة مصورة) | ١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكلك) |
| ١٢ رواية احوال الاستبداد ، مصورة | ١٠ عشرة ايام في السودان » » » |
| ١٠ رواية فاقنة المهدي ، او استعادة السودان | ١٢ مراجعات في الادب والفنون (للاستاذ عباس المقاد) |
| ٨ رواية الانتقام المذب (اسعد خليل داغر) | ١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة |
| • فقر وعفاف (الاستاذ احمد واغت) | (الاستاذ محمد زعير) |
| ١٢ رواية باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله) | ١٥ روح السياسة » » » |
| ١٢ غرام الراهب او الساحرة المجدورة | ١٠ الاراء والمعتقدات » » » |
| ٧٥ رواية روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده) | ١٠ اصول الحقوق الدستورية » » » |
| ٢٥ رواية ام روكامبول ، ٥ اجزاء » | ٢٠ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون) |
| ٢٠ رواية باردليان ، ٣ اجزاء » | ٨ مقدمة الحضارات الاولى » » |
| ٢٠ رواية الملكة ايزابو ، اجزاء » | ١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد) |
| ٢٠ رواية الاميرة فوستا ، جزآن » | ١٥ ملقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء |
| ٢٠ رواية عشاق فنيسيا ، جزآن » | ١٠ اليوم والغد (الاستاذ سلامة موسى) |
| ١٦ رواية كايتان ، جزآن » | ١٠ مختارات سلامة موسى |
| ١٦ رواية الوصية الحمراء ، جزآن » | ٨ نظرية التطور واصل الانسان » » |
| ١٢ رواية قلمبرج ، جزآن » | ٢٠ انا تول فرانس في مبادله (الامير شكيب ارسلان) |
| ١٠ رواية فارس الملك » | ١٥ الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر) |
| ١٠ رواية ضحايا الانتقام » | ١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (حسين عبد الله) |
| ٥ رواية المتنكرة الحسنة » | ١٠ حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني) |
| ٥ رواية صروخة الاسود » | ١٠ قبض الريح » » » » » |
| ٥ رواية شهداء الاخلاص » | ٨ نسيمات وزوايع شمر منثور مصور |
| ٨ رواية المرأة المفترسة » | ١٠ رسائل غرام جديدة (للاستاذ سليم عبدالواحد) |
| ١٦ رواية دار المعائب جزآن (نقولارزق الله) | ١٠ الغربال في الادب المصري (للاستاذ نحمائيل نعيمة) |
| ١٠ » فرنسا الاول » » » | ٥ حكايات للاطفال ، اول (مصور بالالوان) |
| | ٥ » » » » » ثانياً » » » » » |

المقتطف في الشرق الادنى

تطلب اعداد المقتطف - للبيع - في جميع بلدان الشرق الادنى -
فلسطين وسورية وشرق الاردن ولبنان والعراق - من فروع شركة فرج الله
للسياحة في القنطرة وحيفا ويافا والقدس ويبروت وبغداد

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما آتي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر
باللغة العربية مرتين في الشهر - صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في
تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل
وبدل اشترى كها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

Journal Oriente

وعنوانها

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

مكتبة العرب

لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني

بشارع الفجالة بمصر

من اكبر المكاتب واوسعها نطاقاً حاوية على جميع الكتب النادرة من الكتب المطبوعة
في جميع الاقطار ولها قائمة مطولة ترسلها مجاناً وايضاً قائمة بالكتب الخطية النادرة وتطبع
وتشارك المؤلفين في طبع مؤلفاتهم ولها معاملات مع اكبر مكاتب اوربا واميركا والشرق
الاقصى والادنى وتلي جميع طلبات المهاجرين بأسرع ما يمكن